الولاء والبراء

تأليف

خالد بن علي المرضي

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغامدي، خالد علي

قواعد الولاء والبراء./ خالدي علي العامدي.- جدة، ١٤٣٦هـ.

٢٦٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٧ - ٧٩٢٣ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- الولاء والبراء في الإسلام ٢- التوحيد أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٦/٤٢٨٤

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٤٢٨٤

ردمك: ٧ - ٧٩٢٣ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الولي الأولى والنصير الأعلى ، الموجب على عبيده البراءة من الكافر الأقصى والأدنى ، والمتوعد مواليهم بالنار وبئس المثوى ، والصلاة والسلام على المبعوث بالسيف حتى من دماء المشركين الأرض تروى ، وعلى الأصحاب والأتباع جمعنا الله بهم في جنة المأوى .

ثم أما بعد :

فإنه لما صارت موالاة الكافرين أعداء المولى تعالى سمة ظاهرة للعيان في هذا الزمان، يراها كل من لم يطمس الله بصيرته بالنفاق والردة ونجا من شبهات الجهمية الخائضة بجهلها لتفسد حقيقة الدين والساعية في رد هذه العقيدة وطمس آثارها ودفن معالمها ، صار لزاما على أهل العلم الصادقين في المقابل تبيين هذا الأصل وكشف شبه المبطلين ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا خشية منافق كافر.

لذا وجب الاشتغال بتبيين مسائل التوحيد التي بلينا في زماننا بصرف الناس عنها وتحريف حقائقها وإدخال الشبهات عليها ، وبالأخص منها الشروط والنواقض والولاء والبراء ، حيث كان لهذه الأبواب الثلاثة أوفر النصيب من هذا التلبيس الخسيس والتدليس الخبيث والكلام الغثيث.

فصارت موالاة الكفار التي أخبرنا الله تعالى أنها تسبب ﴿ فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾، عند أهل النفاق والردة فيها خير في الأرض وصلاح كبير، وإذا أُنكر عليهم فعلهم و ﴿ قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ .

هذا وإنه من فضل الله علي أن قمت بوضع كتاب للورى في قواعد الولاء والبراء في رجب عام ألف وأربع مائة وأربعة وعشرين ، جمعت فيه مما جاء في الكتاب والسنة من التبيان الصريح لهذه المسألة مع سوق كلام علماء الملة من سلف الأمة وخلفها ، محلى بالفوائد والبدائع واللطائف ، متوج بالمسائل والضوابط، فجاءت درره في أكثر من عشرة فصول حوت قرابة المائتين قاعدة مؤصلة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة .

ثم إني انقطعت عنه بعد دخول الخلوات فتركت إخراجه في الفلوات لثقل مسائله على مسامع أصحاب القنوات ، إضافة إلى الانقطاع لإخراج الكتب المزاحمة له والتي تبين فرائض التوحيد ، ثم عزمت على إخراجه بعد المراجعة ، سائلاً المولى سبحانه أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه وجهاداً في سبيله ونوراً لي يوم ألقاه ، والله من وراء القصد ، وصلى الله على نبينا محمد ولله الحمد من قبل هذا ومن بعد.

كتبه/ عبد الله ووليّه (أبو علي المرضي)

بالحجاز من ديار غامد

في فجر اليوم الخامس من شهر شوال من عام ألف وأربعمائة وخمسة وثلاثين من الهجرة النبوية

الفصل الأول : تعريف الولاء والبراء وحقيقته

(١) تعريف الولاء في اللغة :

الولاء أصله من الفعل (وَلِـيَ) الدال على القرب ، قاله ابن فارس في معجمه.

(٢) اشتقاقات لفظ الولاء في اللغة :

الوليّ ، المولى ، الوالي ، الموالي ، الولاء ،الموالاة ، الولاية ، التولي.

والولاية بفتح الـواو وكـسرها ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ الأنفال: ٧٢. قُـرأت بالكسر والفتح ، وهما بمعنى النصرة، ومنه سميت البلدة الواحدة ولايـة لأن أهلهـا متقاربين متناصرين وسمي حاكمها الوالي لأنه قريب منها يسعى في نصرتها.

والوليّ : اسم من أسماء الله ﷻ ، ومن معانيه الناصر والقريب ومتولي الأمور.

(٣) المعاني التي دل عليه لفظ الولاء في اللغة:

المحبة ، المودة ، الإرضاء ، الطاعـة ، المتابعـة ، النـصرة ، المعونـة ، المعاضـدة، المقاربة ، المحالفة ، المصاحبة ، وكل هـذه المعـاني المـأخوذة منـه موجـودة في المعنـى الشرعي.

(٤) تعريف الولاء في الاصطلاح الشرعي:

ما يحصل بين الخلق مـن التحابـب والتـودد والتنـاصر والتعاضـد والتعـاون والتقارب والتحالف والتآخي والتراضي والطاعة والتناصح والمـصاحبة والمـصادقة والملازمة والمتابعة والمحاباة والملاطفة والإكرام ، وما يجب أن يكون بينهم من المحبة والنصرة في الدين ولأجل كلمة التوحيد .

فيجب على كل مسلم أن يوالي المؤمنين ويتخلى عن موالاة الكافرين، ومن أعظم المحرمات بعد الشرك تولي أعداء الله الكافرين به ومعاداة أولياءه المؤمنين به.

فالواجب على المسلمين أن يكونوا مع بعضهم مثل الجسد الواحد ، فيكونوا في الأخوة والتناصر كما أمرهم ربهم ونبيهم : (المسلم أخو المسلم)، و (المؤمن للمؤمن كالبنيان)، وأن لا ﴿يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(٥) تعريف البراء في اللغة :

البراء ضد الولاء : فالولاء الذي هو القرب ضد العداء الذي هو البعد.

والبراء هو : التخلص والتنزه والمباعدة والمخالفة والمنازعة والتخلي.

ومن معاني البراء أيضاً : قطع الموالاة والمودة والنصرة.

(٦) تعريفه الشرعي : ما يجب فعله مع الكافر من البغض والعداوة.

(٧) وردت معاني الولاء والبراء في الأدلة الشرعية ، ومنها:

المحبة والمودة والولاء والتولي والموالاة والبغض والبراء والمعاداة والعداوة .

(٨) الموالاة والمعاداة معلومة المعنى ومردّها للعرف :

الشريعة بينت حقيقة الموالاة والمعاداة ، كما دلت عليها الحقيقة العرفية واللغوية مع الحقيقة الشرعية ، فهذه الألفاظ مردها للعرف ، حيث يعرف معناها ولا تحتاج لتعريف ، فكل عاقل يعلم أن فلاناً موالٍ له بأفعاله وفلاناً الآخر معادٍ له ، فلا يحتاج الأمر لقياس وتأمل ، فموالاة الكفار أو معاداتهم تعرف من العمل الظاهر بمجرد فعلها ، فلا يمكن أن يجهل عاقل حال الموالي من المعادي.

قال الألوسي : (كل ما عده العرف تعظيماً وحسبه المسلمون موالاة ، فهو منهي عنه ولو مع أهل الذمة، ولا أرى القيام لهم في المجالس إلا من الأمور المحظورة لأنه دلالة على التعظيم قوية) روح المعاني ٣/ ١٢٠.

(٩) الفرق بين البغض والمعاداة والبراء.

المعاداة تختص بالجوارح من مجانبة ومفاصلة ومقاطعة ومفارقة وتبري .

والبغض يتعلق بالقلب من حيث الأصل .

والبراء هو مجموع الأمرين .

وعليه فالعداوة قدر زائد عن البغض ، ولا يكفي أحدهما عن الآخر.

قال ابن عتيق في سبيل النجاة : (الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم).

(١٠) الفرق بين الموالاة والتولي :

أولاً : من حيث الأصل في اللغة :

الولاء : هو المحبة والنصرة .

والتولي : هو اتخاذ ولي ومحب ونصير .

والموالاة : هي مفاعلة من الجانبين بالتحابب والتناصر والتوادد .

ثانياً : التفريق بين التولي والموالاة من حيث الحقيقة الشرعية:

حصل فيه الاختلاف على قولين .

الأول : التولي والمولاة بمعنىً واحد لا فرق فالتولي مرادفٌ للموالاة.

القول الثاني : أن التولي أخص من المولاة، فالتولي موالاة وزيادة، فكل تولي موالاة وليست كل موالاة تولياً ، فكأن المتولي انصرف عن الإسلام وأهله ، واتخذ المشركين حلفاء وأنصارا . وغالبا ما يطلق على ما يتعلق بالجوارح .

والتولي يسميه البعض بالموالاة الكبرى وهو كفر مخرج من الملة مثل مظاهرة المشركين على المسلمين ، ودونها الموالاة الصغرى وهذه ليست مخرجة من الملة مثل القيام للكافر والتبسم في وجه الكافر أو التشبه به في بعض الأشياء.

وهذا القول مال إليه الشيخ عبداللطيف وابنه وابن سحمان وغيرهم.

عن إعانة العساكر التركية:"ومن جرهم وأعانهم على المسلمين بأي إعانة فهي ردة صريحة" . الدرر١٠/ ٤٢٩.

قال الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في الفرق بين الموالاة والتولي :" التولي : كفر يخرج من الملة ، وهو كالذب عنهم ، وإعانتهم بالمال والبدن والرأي ، والموالاة : كبيرة من كبائر الذنوب كبلّ الدواة ، أو بري القلم ، أو التبشبش لهم أو رفع الصوط لهم" الدرر ٨/ ٤٢٢ .

(١١) صيغ واشتقاقات الولاء:

١- الموالاة والمعاداة : من صيغ المفاعلة فلا تقوم إلا بجانبين وجهتين .

٢- التولي والتبرؤ: من التفعّل وهي صيغة دالة على الاتخاذ .

فالتولي اتخاذ الولي والنصير، والتبري اتخاذ عدو.

٣- الولاء ويقابله البراء والعداء ، بكسر العين وفتحها.

٤- الولاية وفي مقابلها العداوة والبراءة .

(١٢) فائدة : التعبير بالاتخاذ وانقسامه إلى واجب ومحرم :

فالاتخاذ المحرم المنهي عنه جاء في مثل آية آل عمران: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾ ، وآية النساء: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وفي المقابل أمرنا باتخاذ الشيطان عدواً واتخاذ حزبه الكفار بالله المؤمنين بالشيطان فأُمرنا بهذا الاتخاذ في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ فاطر: ٦.

(١٣) تعدياته:

أولاً : يتعدى الولاء بنفسه فيكون متعدياً: المنافق والى الكافر وتولاه .

ثانياً : يتعدى بغيره من حروف الجر فيكون لازما ومنها :

١- يتعدى بـ (في): المؤمن والى في الله وعادى في الله .

٢- يتعدى بـ(اللام): المسلم يوالي لدينه، اليهود أشد الناس عداوة للمؤمنين.

٣- يتعدى بـ (من) : المنافق تولى من الكفار أشدهم لنا عداوة.

٤- يتعدى بـ (إلى) : ﴿ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ﴾ الكفار، إذا ذهب إليهم متوليا لهم ، وبراءة إلى الكفار من الله.

٥- يتعدى بـ (الباء) : تولى بكفره . ومنه آية: ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ ﴾.

٦- يتعدى بـ (عن) : ﴿ تَوَلَّىٰ عَن ﴾ الكفار ، أي أبعد عنهم وأعرض واستبدل بهم غيرهم.

(١٤) أنواع الولاء في اللغة والشرع :

١- ولاء النصرة : وهو أظهر معاني الولاء، ﴿أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم﴾ الشورى: ٤٦ .

٢- ولاء الطاعة والمتابعة والتبعية: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ الأعراف: ٣.

٣- ولاء المودة والمحبة : ﴿أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ الممتحنة: ١.

٤- ولاء التحالف: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ﴾ الأنفال: ٧٢.

٥- ولاء النسب والقرابة : ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ النمل: ٤٩.

٦- ولاء العتق : وفي الحديث (إنما الولاء لمن أعتق).

٧- ولاء الإسلام : فمن أسلم على يد رجل يعتبر مولاه .

الفصل الثاني : الأدلة الدالة على وجوب الولاء والبراء وكفر تاركه

الولاء والبراء دل على أصله ووجوبه النقل والعقل:

(١٥) الأدلة من الكتاب على الولاء والبراء :

الأدلة على قسمين آيات عامة تأمر بموالاة المؤمنين وتنهى عن موالاة الكفار وأدلة خاصة في بعض صور الموالاة والعداء كالمودة والمحبة والطاعة والركون والمداهنة والمساكنة وعدم الهجرة واتخاذ البطانة والوليجة :

وقد جاءت الأدلة بعدة طرق منها :

١- الأمر بموالاة المؤمنين ونصرتهم .

٢- الأمر بمعاداة الكفار والشدة عليهم والإغلاظ معهم .

٣- النهي عن موالاة الكافرين .

٤- الإخبار بخسة الكفار وإجرامهم وعداوتهم لله ورسوله وحربهم لدينه وصدهم عن سبيله.

ومن الأدلة في ذلك :

١- قال تعالى :﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ المائدة.

دلت الآية على أن الإيمان ينتفي بالكلية ويزول من أصله إذا حصلت موالاة الكفار ، فلا يجتمع الإيمان مع موالاة الكفار مطلقاً

قال ابن تيمية :" فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء، ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه ، ومثله قوله تعالى﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ ، فإنه أخبر في تلك الآيات أن متوليهم لا يكون مؤمنا ، وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم ، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً" الفتاوى ٧/ ١٧ .

وقال :" الإيمان بالله والنبي مستلزم لعدم ولايتهم فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم " الاقتضاء ١ / ٢٢١.

وعليه فالآية علقت حكم الردة والتخليد في النار بمجرد تولي الكفار ، مما يدل على أن موالاة الكفار كفر بذاته وبمجرد ما يفعله المسلم يعتبر خارجا عن الملة .

قال الشيخ حمد بن عتيق : (قد دل القرآن والسنة على أن المسلم إذا حصلت منه موالاة أهل الشرك والانقياد لهم ارتد بذلك عن دينه) الدرر ٩/ ٢٦٣.

وتأمل كيف ربط التولي بالرؤية البصرية والمشاهدة العينية مما يعني أن التولي يقوم بأعمال الجوارح الظاهرة وليس خاص بالقلب كما زعمت المرجئة ، ومثل هذه الآية آية : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ ﴾ المائدة: ٥٢.

وانظر كيف وصفوا بالكثرة ، ومع ذلك لم يمنع كثرتهم لحوق العقوبة بهم وتكفيرهم وتخليدهم في النار .

٢- قال تعالى :﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ النساء.

فتأمل كيف علقت الآية الموالاة بالنفاق المخلد لصاحبه في النار والعذاب الأليم ، وأن مقصود من يتولاهم طلب العزة من الكفار وليس حب الكفر وأهله، ومع ذلك جاء الحكم بالتكفير لمتولي الكفار،مما يدل على أن موالاة الكفار كفر بذاته.

٣- قال تعالى :﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ المجادلة: ٢٢.

فتأمل كيف نفى الله ﷻ الإيمان عمن يتولى الكفار، وتأمل في تعلق النهي عن المحبة والمودة بالوالد والولد وفي هذا رد على من جوز المحبة الطبيعية .

قال ابن تيمية : (الله يخبرنا بهذه الآية أنه لا يوجد مؤمن يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم فمن واد كافراً فليس بمؤمن لأن مودة الله ومودة عدوه ضدان لا يجتمعان في قلب واحد) الإيمان ١٧ .

٤- قال تعالى :﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ الممتحنة: ٤.

وسنذكر بعض الوقفات والفوائد المتعلقة بهذه الآية بعد سوق الآيات.

٥- قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ المائدة: ٥١.

فتأمل كيف حكم الله ﷻ على من تولى الكفار أنه منهم في الحكم الذي هو الكفر، فهو كافر مثلهم بصريح الآية.

قال ابن حزم: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار فقط وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين) المحلى ١٢/ ٣٣.

وقال الشنقيطي : (يفهم من ظواهر الآيات أن من تولى الكفار عمدا اختيارا رغبة فيهم أنه كافر مثلهم) الأضواء ١/ ٤١٣.

قال الآلوسي في روح المعاني: (كافر مثلهم حقيقة) .

قال ابن تيمية في عن حديث التشبه : ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾) الاقتضاء ١/ ٣٧ .

ومن اللطائف في الآية أنها جاءت في سياق آيات شرك الحكم وأحكام الردة والنفاق ، حيث جاء بعدها التحذير من الردة وأن موجبها موالاة الكفار وأن المقابل للمرتدين الذين والوا الكفار هم أهل الجهاد الذين تبرؤوا من الكفار وعادوهم .

قال ابن تيمية: (فالمخاطبون بالنهي عن موالاة اليهود والنصارى هم المخاطبون بآية الردة ، ولما نهى عن موالاة الكفار وبين أن من تولاهم من المخاطبين فإنه منهم بين أن من تولاهم وارتد عن دين الإسلام لا يضر الإسلام) ١٨/ ٣٠٠.

٦- وقال: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ آل عمران: ٢٨.

فتأمل كيف نهى الله عباده عن اتخاذ الكفار أولياء وجعل جزاء فاعله الخروج من ولاية الله والدخول في الردة عياذا بالله منها.

٧- قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ النساء: ١٤٤.

٨- قال تعالى : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ المائدة: ٥٢.

والمفسرون متفقون على أنها نزلت بسبب قوم ممن كان يظهر الإسلام وفي قلبه مرض، خافوا أن يغلب أهل الإسلام فوالوا الكفار للخوف الذي في قلوبهم لا لاعتقادهم أن محمداً كاذب واليهود والنصارى صادقون.

وسبب نزولها : أن عبادة بن الصامت ﷺ قال : يا رسول الله إن لي موالّي من اليهود وإني أبرأ إلى الله من ولاية يهود ، فقال عبدالله بن أبي بن سلول : لكني رجل أخاف الدوائر ولا أبرأ من ولاية يهود فنزلت الآية .

٩- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ المائدة: ٥٤ .

فتأمل كيف رتب حكم الردة على من يتولى الكفار وجعل أعظم صفات القوم المؤمنين موالاة الله والذلة للمؤمنين ومعاداة الكفار والغلظة عليهم والشدة والعزة عليهم وجهادهم ولا يضرهم قدح أهل النفاق فيهم.

وقدمنا كلام ابن تيمية في أن المخاطبين بالنهي عن الموالاة هم المخاطبون بآية الردة ، وأن الله لما نهى عن موالاة الكفار بين أن من تولاهم فهو مرتد .

١٠- قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ النساء: ٧٦.

وهذه الآية حصرت الناس في حزبين وجندين ومعسكرين، الأول أولياء الله الذين يقاتلون في سبيل الله ولنشر دينه ، والثاني أعداء الله الذين يقاتلون في سبيل

الطاغوت ولنشر الكفر والردة والصد عن الإسلام، ولا يمكن أن يقاتل المسلم مع الكفار والمرتدين ويبقى على إسلامه ، كما يؤكد هذا المعنى الآيتين التاليتين .

١١-وقال: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَٰتِ ۗ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة٢٥٧.

وهـذه الآيـة كـسابقتها في تقـسيم النـاس إلى أوليـاء الله وأوليـاء الطـاغوت والشيطان ، ويؤخذ منهما أنه لا يمكن أن يوالي المسلم الكفار ثم يكون مسلماً .

١٢- قال تعالى :﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ الأعراف: ٣٠.

١٣- وقال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَآءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ ﴾ الممتحنة: ١.

١٤- قـال تعـالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوٓا ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ التوبة.

وهذه الآية قطعت المبررات والأسباب الثمانية لتولي الكفار وترك جهادهم.

١٥- قال تعالى :﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا

لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ البقرة.

١٦- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ هود: ١١٣. نهت الآية عن الركون للكفار، وهو نوع من الموالاة، ومن والى الكفار وركن إليهم فلا بد أن تمسه نار جهنم بالعذاب.

١٧- قال تعالى: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ التوبة: ٥.

١٨- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة: ١٢٣.

١٩- قال تعالى: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ التوبة: ١٤ - ١٦.

بينت الآية وجوب قتل الكفار والإغلاظ عليهم والشدة معهم وجهادهم والتنكيل بهم وتعذيبهم والترصد بهم وليس هذا من الظلم الذي يزعمه المنافقون، كما أن فيها الإخبار بحصول الابتلاء والمحن ليخرج الله عقيدة الولاء والبراء، وليتميز حزب الله الموحد المجاهد وحزب الطاغوت المشرك المرتد.

٢٠- قال تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ التوبة: ٢٩.

٢١- وقـال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ الفتح: ٢٩.

٢٢- قـال تعـالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة: ٢١٧.

بينت الآية والآيات التي بعدها عداوة الكفار للمسلمين، ونصت على أن من تولى الكفار ووافقهم بعد قتالهم له فهو مرتد فكيف بمن يظاهرهم ويسارع فيهم.

٢٣- قال تعـالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ البقرة: ١٢٠.

دلت الآية على مبدأ الولاء والبراء من جهتين:

الأولى: وجود عداوة الكفار وعدم رضاهم عنا، والثانية: النهي عن اتباع الكفار.

٢٤- قـال تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ آل عمران: ١١٨.

٢٥- قال تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٠.

٢٦- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ البقرة: ١٤.

٢٧- قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ البقرة: ١٠٩.

٢٨- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ آل عمران.

٢٩- قال تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ ﴾ النساء.

٣٠- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ٩٧.

والآية نزلت في أسرى وقتلى بدر ممن كان قد أسلم لكنه لم يهاجر فوالى الكفار وخرج معهم للقتال مكرهاً فحكم الله تعالى بكفرهم.

٣١- قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ١١٥ .

٣٢- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٦ .

٣٣- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ البقرة: ١٠٧ .

٣٤- قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ النساء: ٧٥.

٣٥- قال تعالى: ﴿ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ النساء: ١١٩.

٣٦- قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام: ١٤.

٣٧- قال تعالى: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ النساء: ٨٩.

٣٨- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ المائدة.

٣٩- قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ الإسراء.

٤٠- قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ الكهف: ٢٠.

٤١- قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ الكهف: ١٦.

٤٢- وقال: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ مريم.

ولا شك أن اعتزال الكفار من المعاداة الواجبة.

٤٣- قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعراف: ٣.

٤٤- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ الأنفال: ٧٣.

ويؤخذ من الآية أن ترك معاداة الكفار يسبب الفتنة والفساد في الدين.

٤٥- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ الأنفال: ٧٢.

٤٦- قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ يونس.

٤٧- قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ الكهف: ١٠٢.

٤٨- قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ الجاثية: ١٩.

٤٩- قال تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام: ١٤ .

٥٠- قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٩ .

٥١- قال تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٦ .

٥٢- قال تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ التوبة: ٦٧ .

٥٣- قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ التوبة: ٧١ .

٥٤- قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ التوبة: ١١٣ – ١١٤ .

٥٥- قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) ﴾ الفرقان: ٢٧ – ٢٩ .

٥٦- قال تعالى : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴾ القصص: ٨٦ .

قال ابن كثير في تفسيره : (فلا تكونن ظهيرا أي معيناً للكافرين ولكن فارقهم ونابذهم وخالفهم).

٥٧- قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤١.

٥٨- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ العنكبوت: ٢٥.

٥٩- قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ سبأ.

٦٠- قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ ﴾ الشورى: ٩.

٦١- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ الشورى: ٦.

٦٢- وقال: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ الجاثية: ١٨.

٦٣- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ محمد: ٢٥ - ٢٦.

فانظر كيف جعل سبب ردتهم وكفرهم أنه أطاعوا الكفار في بعض الأمر، فكيف من صرف لهم كل الطاعة وتولاهم التولي المطلق ومن حكم بقوانينهم وألزم بها المسلمين وتحاكم إليهم.

٦٤- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) ﴾ المجادلة.

٦٥- قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ المجادلة: ٢٠.

٦٦- وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ الحشر: ١١. فانظر كيف حكم الله تعالى بنفاقهم لأجل توليهم الكفار.

٦٧- قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) ﴾ الممتحنة.

٦٨- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ الممتحنة: ١٣.

٦٩- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ ﴾ الصف: ١٤.

٧٠- قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ الأنفال: ٦٠.

٧١- قال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) ﴾ الشعراء.

٧٢- قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ فاطر: ٦.

٧٣- وقال: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ الزخرف: ٦٧.

٧٤- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ الأحقاف: ٦.

٧٥- وقال: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ المائدة ٨٢.

٧٦- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٢٥.

٧٧- قال تعالى: ﴿ هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ﴾ آل عمران: ١٢٠.

هذه الآيات وغيرها كثير كلها تدل على وجوب الولاء والبراء وكفر تاركه.

(١٦) نصت آية الممتحنة المبينة ملة إبراهيم على أصل الولاء والبراء ومعاداة الكفار وتكفير المرتدين من بضعة عشر وجها :

قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ .

وإليك بعض التأملات والوقفات مع هذه الآية العظيمة التي بين الله تعالى فيها لكل موحد متبع غير مبتدع حقيقة الملة الإبراهيمية التي أمرنا باتباعها .

أن هذه هي الملة الإبراهيمية التي هي ملّة خليله ومولاه والتي وصفها بالحسنى وسفه ربنا تعالى مخالفها .

أن في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ دلالة على الاجتماع على الحق ، وفيها دليل على الموالاة القائمة على الاتباع والتأسي والموافقة .

وفي قوله: ﴿ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ ﴾ دلالة على التناصر والتحالف والتوالي فيما بينهم .

وفي قوله: ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ ﴾.

بيان لحقيقة (عقيدة البراء) في كلمة: ﴿ بُرَءَٰٓؤُاْ ﴾ ، وأنها تقوم على ثلاثة أصول :

الأول: البغض لهم، والثاني: إظهار العداوة لهم والجهاد والقتال، والثالث: تكفيرهم والكفر بهم . وبدأ بالأخير لتعلق النزاع والخلاف فيه.

فالبغض قليل من يخالف فيه من المرجئة والعداوة أكثر وتكفير المرتدين أكثر.

وتأمل قوله: ﴿ وَبَدَا ﴾، الذي يفيد البدوّ وهو غاية الظهور والوضوح ، كما يفيد الابتداء فلا يدخل أحد الإسلام إلا مع البدء بمعادة الكفار وهذا لا يقبل التأخير.

وقوله: ﴿ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ تدل على المفاعلة من الطرفين وأنها حاصلة من الجانبين، وأنه لا بد من اجتماع الموالاة مع المعاداة.

ثم تأمل كيف جمع بين العداوة والبغضاء ﴿ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ ﴾، وتقديم العداوة التي مكانها الجوارح الظاهرة على البغضاء التي مكانها القلب، دليل على وجوب اجتماع الظاهر والباطن ، فلابد من إظهار العداوة والبراءة منهم بدون لبس، ولا يكفي إضمار البغض لهم في القلب ونحن مسالمون لهم ظاهرا .

ثم تأمل تقديم البراءة من العابدين وشركهم قبل المعبودين في قوله﴿ بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ، وما ذلك إلا للأهمية، فإن البراءة من العابد وشركه يقتضي البراءة من المعبودين دون العكس، والبراءة من المعبودين لا يستلزم البراءة من عابديهم وما يشركون، فلا تكفي عداوة الكفار دون الطواغيت المعبودة والمتبعة والأسياد المطاعة، كما لا تكفي هي أيضاً دون عداوة أهلها ومتبعيها، وكم من جاهل يظن أن البراء متعلق بالكفر دون فاعله وأن معاداة الكفار ليست مشروعة وإنما المشروع هو فقط بغض الكفر وتركه دون التعرض لأصحابه لأن الله سيتولاهم .

ثم تأمل قوله:﴿ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ ﴾ ، مما يدل على استمرار العداوة وأبديتها وأننا لا نقطع عداوتنا للكفار وتكفيرهم إلا إذا آمنوا وأقاموا التوحيد ، وجاء بحرف (حتى) مع كلمة (أبدا) دلالة على الاستغراق التام لتأكيد هذه الغاية وهي بقاء الفعل (العداوة) ما بقي سببه (الكفر).

ثم تأمل قوله: ﴿ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ ، كيف أكد على التوحيد في كلمة وحده وأنه السبب الوحيد للتولي، وأنه لا يكفي مجرد الإيمان بالله دون توحيد ودون الموالاة والمعاداة فيه فتأمل واعلم ثم اعمل. فالموالاة سببها الإيمان بالله وتوحيده .

وأما استثناء الاستغفار لأبيه في قوله ﴿إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ ، فنحن غير مأمورين بالاقتداء به .

مع أن هذا مجرد دعا له بالمغفرة وكان قبل تبين حال والده ولما تبين له أنه كافر عدو لله وكل كافر فهو عدو لله تبرأ منه ولم يستثنه من العداوة والتكفير والبغضاء .

والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ ﴾ التوبة: ١١٤.

وفي هذا رد على من زعم تجويز المحبة الطبيعية للوالد والولد الكافرين .

وفي آخر الآية أكد على التوحيد معلقاً أمره بالله ورد كل شيء إلى الله تعالى.

وهذا في قوله: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ .

واعلم يا أيها الموحد أن هذه هي ملة إبراهيم التي لا يرغب عنها إلا من سفه نفسه ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ ﴾ البقرة: ١٣٠، وهذه هي الأسوة الحسنة التي أمرنا الله ﷻ بالاقتداء بها.

(١٧) الأدلة من السنة على الولاء والبراء :

١ - عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ لأبي ذر : أي عرى الإيمان أوثق ؟ قال الله ورسوله أعلم . قال : (الموالاة في الله والمعادة في الله والحب في الله والبغض في الله) رواه الطبراني .

وسنورد هنا بعض روايات هذا الحديث وألفاظه وشواهده :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (أوثق عرى الإيمان، الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله) رواه الطبراني.

وفي لفظ (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال لي النبي ﷺ : (أحب في الله وأبغض في الله ووال في الله وعاد في الله فإنك لن تنال ولاية الله إلاّ بذلك ، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك . وصارت موالاة الناس في أمر الدنيا وأن ذلك لا يجزئ عن أهله شيئا)رواه أبو نعيم.

قال ابن عباس: (من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئا). رواه ابن جرير وابن المبارك في الزهد موقوفا .

وروى الإمام أحمد من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : كنّا جلوسا عند النبي ﷺ فقال : (أيّ عرى الإسلام أوثق ؟) قالوا : الصلاة . قال : (

حسنة وما هي بها) قالوا : صيام رمضان ، قال : (حسن وما هو به) قالوا : الجهاد . قال : (حسن وما هو به) قال : (إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله) . ورواه أبو داود الطيالسي وابن أبي شيبة والبيهقي في شعب الإيمان بنحوه .

عن ابن مسعود ﷺ قال : دخلت على النبي ﷺ فقال : (يابن مسعود ، أي عرى الإيمان أوثق ؟) قلت : الله ورسوله أعلم . قال : (أوثق عرى الإسلام الولاية في الله والحب في الله والبغض في الله) . رواه الطيالسي والطبراني في الصغير والحاكم.

عن عمرو بن الجموح ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : (لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله فإذا أحب لله تبارك وتعالى وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله) رواه أحمد والطبراني.

عن أبي أمامة الباهلي ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان) رواه أبو داود.

عن معاذ بن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال : (من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل الإيمان) رواه أحمد والترمذي والحاكم قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي في تلخيصه .

عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان وطعمه ، أن يكون الله عز وجل ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب في الله وأن يبغض في الله وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئا) . رواه النسائي والطيالسي وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما بغير هذا اللفظ .

٢- وقال ﷺ :" من تشبه بقوم فهو منهم " رواه أحمد وأبو داوود والحاكم .

٣- قال النبي ﷺ :" خالفوا المشركين " رواه البخاري .

٤- وقال ﷺ :" لا يقتل مسلم بكافر" رواه البخاري.

٥- وقال ﷺ :" المرء مع من أحب " رواه النسائي والترمذي.

٦- عن واثلة بن الأسقع ﷺ مرفوعا : (يؤتى بعبد محسن في نفسه لا يرى أن له ذنباً فيقول له : هل كنت توالي أوليائي؟ قال : كنت من الناس سلما ، قال : فهل كنت تعادي أعدائي ؟ قال : رب لم يكن بيني وبين أحد شيء ، فيقول الله ﷻ : لا ينال رحمتي من لم يوال أوليائي ويعاد أعدائي) . أخرجه أبو نعيم في الحلية .

٧- عن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: (أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل قل لفلان العابد : أما زهدك في الدنيا ، فقد تعجلت به الراحة ، وأما انقطاعك إلي ، فقد اكتسبت به العز فما عملت فيما لي عليك ، قال : وما لك علي ، قال هل واليت في وليا ، أو عاديت في عدوا) رواه أبو نعيم في الحلية .

٨- وقال ﷺ :" كل مسلم على مسلم حرام أخوان نصيران لا يقبل الله ﷺ من مشرك بعدما أسلم عملاً أو يفارق المشركين إلى المسلمين " صححه الألباني في السلسلة .

٩- وقال ﷺ :" إن أوليائي يوم القيامة المتقون وإن كان نسب أقرب من نسب فلا يأتي الناس بالأعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم فتقولون يا محمد فأقول هكذا لها وأعرض في كلي عطفيه " رواه البخاري في الأدب المفرد .

١٠- عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال : (لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والدارمي وغيرهم.

١١- عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) . رواه أحمد وأبو داود والترمذي .

١٢- قال النبي ﷺ : (لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي.

١٣- وروى أبو نعيم في الحلية عن علي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تساووهم في المجلس وألجئوهم إلى أضيق الطرق فإن سبّوكم فاضربوهم وإن ضربوكم فاقتلوهم) . وفي رواية : (صغّروا بهم كما صغر الله بهم) .

١٤- عن بريدة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تقولوا للمنافق سيدا فإنه إن يكن سيدا فقد أسخطتم ربكم) رواه أبو داود والنسائي .

وعند الحاكم:(إذا قال الرجل للمنافق يا سيد فقد أغضب ربه تبارك وتعالى).
وعند البيهقي في الشعب:(إذا قال الرجل للمنافق ياسيد فقد باء بغضب ربه) .

١٥- عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز لذلك العرش) رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبيهقي في شعب الإيمان .

١٦- وعن جابر ﷺ قال : نهى رسول الله ﷺ أن يصافح المشركون أو يكنّوا ويرحب بهم . رواه أبو نعيم في الحلية .

١٧- وقال ﷺ :" من وقّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام " رواه الطبراني وفيه ضعف .

١٨- وعن أبي موسى قال: قال ﷺ :" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " وشبك بين أصابعه . رواه البخاري .

١٩- وقال ﷺ :" المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه " رواه البخاري .

٢٠- قال النبي ﷺ : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " رواه البخاري .

٢١- عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال : (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا) رواه مسلم وفي لفظ ولا تدابروا ومعناها المعادة.

٢٢- (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد) رواه مسلم.

٢٣- (كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) رواه أبو داود وابن ماجه .

٢٤- وقال ﷺ :" والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا " رواه مسلم .

٢٥- عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا : (الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل ، وهل الدّين إلاّ الحب في الله والبغض في الله) . رواه الحاكم وأبو نعيم.

٢٦- وقال ﷺ :" لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن " متفق عليه .

٢٧- قال النبي ﷺ :" لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين " رواه البخاري.

٢٨- عن سمرة بن جندب ﷺ عن النبي ﷺ قال : (لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فهو مثلهم) . ولفظ الحاكم (فليس منا) .

وعند أبي داود (من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله) .

٢٩- عن جرير بن عبد الله ﷺ أن الرسول ﷺ بعث سرية إلى خثعم فاعتصم ناس بالسجود فأسرع فيهم القتل فبلغ النبي ﷺ فأمر لهم بنصف العقل وقال : (أنا بريء من كل مسلم يقيم بين ظهراني المشركين) وفي لفظ (أظهر) قالوا يا رسول الله : لِمَ ؟ قال : (لا تراءى ناراهما) رواه أبو داود والترمذي وغيرهما .وعند الطبراني والبيهقي: (من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة) .

٣٠- عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : (لا تستضيئوا بنار المشركين) رواه أحمد والنسائي .

ومعنى الحديث والحديث السابق لا تقاربوهم في المنازل بحيث تكونون معهم في بلادهم بل تباعدوا منهم وهاجروا من بلادهم ولا تنزل من المشركين في موضع إذا أوقدت رأوا فيه نارك وإذا أوقدوا رأيت فيه نارهم .

٣١- عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ﷺ أن النبي ﷺ قال : (لا يقبل الله من مشرك بعدما يسلم عملا أو يفارق المشركين إلى المسلمين) رواه أحمد والنسائي .

٣٢- وفي أحد كتب النبي ﷺ : (من محمد النبي ﷺ لبني زهير بن أُقَيْش أنهم إن شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وفارقوا المشركين وأقروا بالخمس في غنائمهم وسهم النبي وصَفيِّه أنهم آمنون بأمان الله ورسوله) رواه النسائي .

٣٣- عن جرير ﷺ قال : بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم وعلى فراق المشركين . رواه النسائي .

وفي رواية قال ﷺ : (أبايعك على أن تعبد الله وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتناصح المسلمين وتفارق المشركين) .

٣٤- عن أبي اليسر ﷺ قال : قال ﷺ : (أبايعك على أن تعبد الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتناصح المسلم وتفارق المشرك) رواه الحاكم في مستدركه .

٣٥- عن الزهري مرسلا أن رسول الله ﷺ أخذ على رجل دخل في الإسلام فقال : (تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان وأنك لا ترى نار مشرك إلا وأنت له حرب) رواه ابن جرير .

٣٦- قال النبي ﷺ في غزو الترك (بنو قنطوراء) للبصرة وافتراق المسلمين حينها لثلاث فرق : (فيفترق أهلها ثلاث فرق ، فرقة يأخذون أذناب البقر والبرية وهلكوا ، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا ، وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلون وهم الشهداء) رواه أبو داود بسند صحيح .

ومعنى(يأخذون لأنفسهم وكفروا):أي يطلبون الأمان أو يقبلون الأمان من الترك كما قال شراح الحديث في عون المعبود وغيره.

وهذا الحديث فيه الدليل الصريح على كفر من حالف الكفار الصائلين على ديار المسلمين وأخذ الأمان منهم فأمّنهم وأمّنوه وأظهر تأييده لهم ووافقهم وهو مع ذلك لم يظاهرهم وإنما طلب منهم الأمان وكف عن قتالهم ومع ذلك ارتد بعمله هذا فكيف الحكم في من قاتل معهم وناصرهم على المسلمين وظاهرهم .

٣٧- ما ثبت من دعائه ﷺ على الكفار : كقوله ﷺ في الصحيح: (لعنة الله على اليهود والنصارى) .

وثبت دعاؤه على قومه فقال ﷺ : اللهم أشدد وطئتك على مضر. ودعاؤه على ذكوان وعصية .وعلى نفر من قريش .

٣٨- قال ﷺ :" إن الله قد أذهب عنكم عُبيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعنَّ رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن " رواه أحمد .

٣٩- قال ﷺ:" إذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية، فأعضوه بهَنِ أبيه ولا تكنوا " أحمد .

٤٠- قال ﷺ:" من ادعى دعوى الجاهلية فإنه جثا جهنم - أي من جماعات جهنم - فقال رجل: يا رسول الله: وإن صلى وصام؟ فقال: وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله التي سماكم: المسلمين، المؤمنين، عباد الله ".

٤١- قال ﷺ:" ليس منا من دعا بدعوى الجاهلية ". رواه النسائي

٤٢- وقال ﷺ (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

٤٣- وقال ﷺ :" لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك فيها إلا مسلم " رواه مسلم وأحمد وقال :" أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ".

٤٤- قال ﷺ :" من التمس رضا الناس بسخط الله سخط عليه وأسخط عليه الناس" رواه الترمذي واللفظ لابن حبان.

٤٥- قال ﷺ:" من دعا بدعوى الجاهلية فإنه جثى جهنم ـ أي من جماعات جهنم ـ فقال رجل: يا رسول الله: وإن صلى وصام؟ فقال: وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله التي سماكم: المسلمين، المؤمنين، عباد الله " رواه احمد وأبو داود.

٤٦- وقال ﷺ :" من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب " رواه البخاري .

٤٧- قال ﷺ (إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب في صنعه الخير ، والرامي به ، ومنبله) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي.

٤٨- عن ابن مسعود ﷺ يرفعه : (تقربوا إلى الله ببغض أهل المعاصي ، والقوهم بوجوه مكفهرة والتمسوا رضا الله بسخطهم وتقربوا إلى الله بالبعد منهم) . رواه ابن شاهين وفي رفعه نظر والأشبه أنه من قول ابن مسعود ، وروي نحوه عن عيسى عليه السلام .

٤٩- قال الإمام أحمد في الزهد : حدثنا سيار حدثنا جعفر أبو غالب قال : بلغنا أن هذا الكلام في وصية عيسى بن مريم عليهما السلام : يا معشر الحواريين تحببوا إلى الله ﷻ ببغض أهل المعاصي وتقربوا إليه بالمقت لهم والتمسوا رضاه

بسخطهم (وفي لفظ: وتقربوا إلى الله بالبعد عنهم واطلبوا رضا الله بسخطهم) قالوا: يا نبي الله فمن نجالس . قال : جالسوا من يزيد في أعمالكم منطقه ومن تذكركم بالله رؤيته ويزهدكم في دنياكم عمله .

٥٠- عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ: (أن الله تعالى أوحى إلى جبريل أن اخسف بقرية كذا وكذا قال : يارب إن فيهم فلانا العابد ، قال : به فابدأ ، إنه لم يتمعر وجهه فيّ يوما قط) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

٥١- وجاء في كتاب النبي ﷺ آخا بين المهاجرين والأنصار ووادع فيه اليهود وعاهدهم .

٥٢- وفي السيرة لابن هشام : أن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم أو أثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض من دون الناس .

٥٣- عن عائذ بن عمرو :" أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها ، قال أبو بكر أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم " فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال : يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك . فأتاهم أبو بكر فقال يا إخوتاه أغضبتكم قالوا لا . يغفر الله لك يا أخي " رواه مسلم .

٥٤- أن الرسول ﷺ في صلح الحديبية نحر جملاً كان لأبي جهل ليغيظ به المشركين وكان هذا الجمل قد غنمه النبي ﷺ يوم بدر .

واستنبط ابن القيم في زاد المعاد من هذه القصة استحباب مغايظة أعداء الله .

٥٥- وقال النبي ﷺ لأبي عزة الجمحي لما ظفر به وقدر عليه وطلب من الرسول أن يمن عليه وكان قد عفا عنه قبلها :" لا تمسح عارضيك وتقول سخرت بمحمد مرتين " ثم قال " لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين أضرب عنقه يا عاصم بن ثابت " فضرب عنقه أخرجه ابن سعد في طبقاته وغيره .

٥٦- قال ﷺ : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه " رواه أبو داود .

فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنينة وهو من تجار اليهود فقتله، وكان أخوه حويصة إذ ذاك لم يسلم وكان أسن من محيصة فلما قتله جعل حويصه يضربه ويقول أي عدو الله أقتلته ؟ أما والله لرب شحم في بطنك من ماله قال محيصة : والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك، قال فو الله إن كان لأول إسلام حويصة قال آلله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني قال : نعم والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها قال والله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب فأسلم حويصة " ، أورد القصة ابن هشام في سيرته .

٥٧- قال ﷺ لقريش عند البيت :" أتيتكم بالذبح " رواه أحمد.

فعن عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته؟ قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط سفّه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا، قال: فبينما هم

كذلك، إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي، حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت، فلما أن مر بهم، غمزوه ببعض ما يقول، قال: فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، فمر بهم الثانية، فغمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، ثم مر بهم الثالثة، فغمزوه بمثلها، فقال: "تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده، لقد جئتكم بالذبح" فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولاً، قال: فانصرف رسول الله ﷺ، حتى إذا كان الغد، اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه! فبينما هم في ذلك، إذ طلع [عليهم] رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به، يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله ﷺ: نعم، أنا الذي أقول كذا، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه، قال: وقام أبو بكر الصديق ﷺ دونه يقول وهو يبكي: "أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟". ثم انصرفوا عنه فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه قط". رواه أحمد في المسند .

٥٨- قال حذيفة بن اليمان ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر وتلا (﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾) أخرجه عبد بن حميد.

٥٩- قول عمر ﷺ في اشتراطه على أهل الذمة " ولا نرغب في ديننا ولا ندعو إليه أحد " .

٦٠- كتب عمر ﷺ: ألاّ تكاتبوا أهل الذمة فتجري بينكم وبينهم المودة ولا تكنّوهم وأذلوهم ولا تظلموهم ، وفي الشروط التي التزم بها أهل الذمة وأمضاها عليهم عمر رضي الله عنه فمن بعده أنهم لا يكتنون بكنى المسلمين . رواه الأصبهاني.

٦١- أنكر عمر ﷺ على أبي موسى الأشعري ﷺ حين اتخذ كاتبا نصرانيا .

وقال ﷺ لمن أشار عليه اتخاذ كاتبا نصرانيا:(لا أقربهم بعد أن أبعدهم الله).

وكذا منع معاوية من اتخاذ كاتبا نصرانيا .

٦٢- ما ثبت عن عمر ﷺ حين كتب له عمرو بن العاص ﷺ لما فتح الإسكندرية من وجود مكتبة عظيمة يستشيره فيها فأمره بإحراقها .

٦٣- - قال ابن عباس رضي الله عنهما: (نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين فيظهرون لهم اللطف ويخالفونهم في الدين) أخرجه الطبري في تفسيره ٣/ ٣٠٩ .

٦٤- قال الحسن البصري: ثلاثة لا غيبة لهم ، الإمام الخائن وصاحب الهوى الذي يدعو إلى هواه والفاسق المعلن فسقه . أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد.

٦٥- أن دية الكافر الذمي نصف دية المسلم .

وبعد هذه الأدلة التي تزيد عن مائة دليل من الكتاب والسنة تبين مكانة عقيدة الولاء والبراء لا ينبغي لمسلم يرجو الله واليوم الآخر أن يفرط ويضيع العمل بها.

(١٨) دلالة العقل على وجوب الولاء والبراء وركنيته في الدين :

دل العقل على أن موالاة عدو من تواليه في الحقيقة معادة لمن تريد أن تواليه.

قال ابن القيم في نونيته: أتحب أعداء الحبيب وتدعى حبا له ما ذاك في الإمكان

قال ابن تيمية : (فمن واد كافراً فليس بمؤمن لأن مودة الله ومودة عدوه ضدان لا يجتمعان في قلب واحد) الإيمان ١٧ .

كما أن المحبة للشيء يلزم منها موالاته ومناصرته والدفاع عنه وطاعته وبغض الشيء يلزم معاداته ، وعداوة الشيء لازمها عدم وجود الحب وإنما البغض ، فالدين لا يمكن أن يقوم إلا بنصرة أهله له وقتالهم في سبيله وموالاتهم ومعاداتهم فيه ، ومن أحب الله ورسوله لزمه أن يواليهم ويطيعهم وينصرهم ويعادي أعدائهم. كما قيل:

لو كان حبك صادقاً لأطعته　　　إن المحب لمن يحب مطيع

فالعقل دل على أن كل من دخل في حزب وانتمى لمبدأ فإنه يتبع ما يريده ذاك الحزب ، وأيضاً فإن من ادّعى محبة شيء سراً وباطناً فلابد من ظهور متابعة تلك المحبة بالموافقة والنصرة وعدم المخالفة ، فمن أحب شيئاً أطاعه ولم يخالفه وأظهر له كل أنواع المحبة من انقياد له وتبعية وموالاة ونصرة .

فمن ادّعى الدين وأحبه فلابد من تباع كل ما يريد دينه ويملي عليه ولابد من موالاته وإظهار موافقته فلو ادعى رجل محبته لآخر ثم أسلمه لأعدائه أو ساعدهم عليه، فإن هذا لا يعد محباً بل مبغضاً فضلاً عن أنه يسمى موالياً فيعتبر بفعله معاديا.

ولهذا فإن الله ﷻ أعظم ما أوجب بعد التوحيد الولاء والبراء والكفر بالطاغوت ومعاداة أعداء الله .

(١٩) أمثلة الموالاة والمعاداة :

من صور الموالاة في الله : مؤاخاة الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار .

ومن أعظم الأمثلة ما ضربه الأنصار ﷺ في موالاتهم إخوانهم المهاجرين وامتدحهم الله بقولهم: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الحشر: ٩.

ومن صور المعاداة في الله : وهي كثير جداً في هدي الصحابة ومن بعدهم :

١- أعظمها قصة الخليل مع والده وقومه حيث تبرأ منهم وأظهر لهم العداوة بسبب كفرهم ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةُ وَالْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ الممتحنة: ٤ ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ التوبة: ١١٤.

٢- قتل الرسول ﷺ لأبي عزة الجمحي مع ترجيه وطلبه العفو عنه وكذا أمره بقتل ابن خطل وغيره لما فتح مكة .

٣- موقف أبي بكر ﷺ مع أبيه لما سب الرسول ﷺ فصكه على وجهه، وقصته مع ابنه لما أراد قتله ، وكذا خبره مع المرتدين.

٤- ما قيل في قتل أبي عبيدة والده يوم بدر وأنزل الله آية المجادلة .

٥- قول عمر ﷺ في أسرى بدر حيث طلب أن يسلم كل قريب لقريبه فيقتله وما حصل من الوعيد لمّا خولف رأيه كما في سورة الأنفال .

٦- قصة سعد بن أبي وقاص مع أمه لما امتنعت عن الطعام لما أسلم قال لها لما كادت تهلك والله ولو كان لك ألف نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا .

٧- قتل محيصة بن مسعود ابن سنينة اليهودي حين أمر النبي ﷺ بقتل اليهود.

٨- قصة عبدالله مع أبيه عبد الله بن أبي بن سلول حيث استأذن الرسول ﷺ.

٩- قصة أم المؤمنين أم حبيبة مع والدها أبي سفيان حين كان مشركاً حيث رفعت عنه فراش النبي ﷺ.

١٠- قول مصعب بن عمير لما مر بأخيه أبي عزيز بن عمير وهو أسير في معركة بدر والأنصاري يضع القيد في يده، فقال له مصعب: شد يدك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب : أهذه وصايتك بأخيك، فقال مصعب : إنه أي الأنصاري أخي دونك .

١١- خبر عمر ﷺ مع أبي موسى الأشعري لما اتخذ له كاتبا نصرانيا .

وقصته مع عمير بن وهب.

١٢- قصة عبدالله بن حذافة السهمي مع قيصر .

١٣- قصة عثمان بن مظعون حيث خرج من جور الوليد وتكذيبه للبيد مع ما حصل له من أذى في ذلك .

١٤- قول علي بن أبي طالب للنبي ﷺ في والده أبي طالب توفي عمك الشيخ الضال وقال عنه لا أواري مشركا، رواه أبو داود.

١٥- ما أخذه العلماء على هشام بن عبدالرحمن الداخل إذنه لليهود والنصارى بإنشاء المدارس والمعابد لهم واستعمالهم في وظائف الدولة .

الفصل الثالث : كلام العلماء في الولاء والبراء

(٢٠) النقولات من كلام أئمة السلف وأهل العلم في الولاء والبراء ومعاداة الكفار وأن الإسلام لا يقبل إلا بالبراءة من المشركين وتكفيرهم:

١- قال الطبري في تفسيره:(فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم فإنه لا يتولى متول أحداً إلا وهو به وبدينه وماهو عليه راض وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه) ٦/ ٢٧٧ .

وقال: (لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهوراً وأنصاراً توالونهم على دينهم ، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم ، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، يعني فقد بريء من الله ، وبريء الله منه ، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر، إلا أن تتقوا منهم تقاة : إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ، ولا تعينوهم على مسلم بفعل).

وقال الطبري : (قد كانت لكم يا أمة محمد أسوة حسنة في فعل إبراهيم والذين معه في هذه الأمور من مباينة الكفار ومعاداتهم وترك موالاتهم إلا في قول إبراهيم {لأستغفرن لك} فإنه لا أسوة لكم فيه في ذلك لأن ذلك كان من إبراهيم عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدو لله ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه فتبرؤوا من عبادة ما سواه وأظهروا لهم العداوة والبغضاء).

٢- قال الحسن : (لا تغتر بقولك : المرء مع من أحب . إن من أحب قوماً اتبع آثارهم ولن تلحق الأبرار حتى تتبع آثارهم ، وتأخذ بهديهم وتقتدي بسنتهم

وتمسي وتصبح وأنت على منهاجهم حريصا أن تكون منهم وتسلك سبيلهم وتأخذ طريقهم وإن كنت مقصراً في العمل فإن ملاك الأمر أن تكون على استقامة أما رأيت اليهود والنصارى وأهل الأهواء الردية يحبون أنبياءهم وليسوا معهم لأنهم خالفوهم في القول والعمل وسلكوا غير طريقتهم فصار موردهم النار) .

٣- قال الإمام ابن بطة في الإبانة: (وتبغض في الله من عصاه ووالى أعداءه وإن كان قريبا منك). الإبانة الصغرى ١٧٨ .

٤- قال الإمام البربهاري : (وإذا فعل شيئاً من ذلك – النواقض – وجب عليك أن تخرجه من الإسلام) . شرح السنة ٧٣ .

٥- قال ابن عقيل: (إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان ، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب المساجد، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة، عاش ابن الراوندي والمعري عليهما لعائن الله ينظمون وينثرون كفرا ... وعاشوا سنين وعظمت قبورهم واشتريت تصانيفهم، وهذا يدل على برودة الدين في القلب ... فاللجا اللجا إلى حصن الدين والاعتصام بحبل الله المتين، والانحياز إلى أوليائه المؤمنين، والحذر الحذر من أعدائه المخالفين، فأفضل القرب إلى الله تعالى، مقت من حاد الله ورسوله وجهاده باليد واللسان والجنان بقدر الإمكان" الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٢٦٨. الدرر السنية ٨/ ٢٩٩.

٦- قال ابن حزم في المحلى : (وصح أن قول الله تعالى:﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار فقط وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين).

٧- قال البغوي في تفسيره: (ومن يفعل ذلك أي موالاة الكفار في نقل الأخبار إليهم وإظهارهم على عورة المسلمين فليس من دين الله في شيء ...

الله تعالى نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان دفعا عن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما أو يظهر الكفار على عورة المسلمين.

والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية قال تعالى (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)، ثم هذا رخصة فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم .

وأنكر قوم التقية اليوم، وقال معاذ بن جبل ومجاهد: كان في مبدأ الإسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام فليس ينبغي لأهل الإسلام أن يتقوا من عدوهم، وقال يحيى البكاء: قلت لسعيد بن جبير في أيام الحجاج إن الحسن كان يقول لكم تقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان، فقال سعيد ليس في الإسلام تقية إنما التقية في أهل الحرب).

٨- قال أبو العباس الونشريسي (ت٩١٤) : (ولا تجد في تحريم هذه الإقامة وهذه الموالاة الكفرانية مخالفا من أهل القبلة.. ومن خالف الآن في ذلك أو رام الخلاف من المقيمين معهم والراكنين إليهم فجوز هذه الإقامة واستخف أمرها واستسهل حكمها فهو مارق من الدين ..) المعيار المعرب ٢/ ١٢٣ .

٩- قال مكي بن أبي طالب في تفسيره الهداية : (لأنه لا يواليهم إلا وهو بدينهم راض فهو منهم) . ٣/ ١٧٧٨ .

١٠- قال الأهدل في رسالته السيف البتار على من يوالي الكفار ويتخذهم من دون الله ورسوله ﷺ والمؤمنين أنصار حين سئل عن قوم في بلاد الإسلام من المسلمين يدعون أنهم من رعية النصارى ويرضون بذلك ويفرحون به ، فما تقولون في إيمانهم، ومن الجملة أنهم يتخذون لسفنهم بيارق تسمى الرايات مثل رايات النصارى، إعلاماً منهم بأنهم من رعيتهم .

فقال : " إن كانوا علماء بأحكام الإسلام ، ومع ذلك صدر عنهم ما ذكر فيستتابون، فإن رجعوا عن ذلك وتابوا إلى الله وإلا فهم مارقون، فإن اعتقدوا تعظيم الكفر ارتدوا ، وجرى عليهم أحكام المرتدين.

وظاهر الآيات والأحاديث عدم إيمان المذكورين قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ﴾ ، فالناس قسمان : الذين آمنوا وليهم الله تعالى لا غيره، فليس لهم مولى دون الله ورسوله، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت، فمن اتخذ الطاغوت ولياً من دون الله ، فقد خسر خسراناً مبيناً، وارتكب خطباً جسيماً، فليس إلا ولي الله وولي الطاغوت، فلا شركة بوجه من الوجوه ألبتة ، وقد حكم الله ألا نتولى الكفار بوجه قط، فمن خالف لما يحكم، فأنى يكون له إيمانٌ ، وقد نفى الله إيمانه ، وأكد النهي بأبلغ الوجوه والإقسام على ذلك فاستفده".

١١- قال ابن عطية في تفسيره: (نص تعالى في صفة المنافقين على أشدها ضررا على المؤمنين وهي موالاتهم الكفار واطراحهم المؤمنين ، ونبه على فساد ذلك ليدعه من عسى أن يقع في نوع منه من المؤمنين غفلة أو جهالة أو مسامحة، ثم وقف تعالى

على جهة التوبيخ على مقصدهم في ذلك أهو طلب العزة والاستكثار بهم أي ليس الأمر كذلك بل العزة كلها لله يؤتيها من يشاء وقد وعد بها المؤمنين).

١٢- قال الجصاص : (نهت الآية المؤمنين عن موالاة الكفار ونصرتهم والاستنصار بهم وتفويض أمورهم إليهم وإيجاب التبرؤ منهم وترك تعظيمهم وإكرامهم ، وسوّى بين الآباء والإخوان في ذلك ... وإنما أمر المؤمنين بذلك ليتميزوا من المنافقين ، إذ كان المنافقون يتولون الكفار، ويظهرون إكرامهم وتعظيمهم إذا لقوهم ، ويظهرون لهم الولاية والحياطة، فجعل الله تعالى ما أمر به المؤمن في هذه الآية علما يتميز به المؤمن من المنافق، وأخبر أن من لم يفعل ذلك فهو ظالم لنفسه مستحق للعقوبة من ربه) أحكام القرآن ٣/ ١٣٠.

١٣- قال ابو السعود : (﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ فإن انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يواليهم منهم ضرورة أن الاتحاد في الدين الذي عليه يدور أمر الموالاة حيث لم يكن بكونهم ممن يواليهم من المؤمنين تعين أن يكون ذلك بكون من يواليهم منهم ، وفيه زجر شديد للمؤمنين عن إظهار صورة الموالاة لهم ... لا يهديهم إلى الإيمان بل يخليهم وشأنهم فيقعون في الكفر والضلالة) .

١٤- قال القرطبي: (﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ ﴾ أي: يعضدهم على المسلمين ، ﴿ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾: بيّن تعالى أن حكمه حكمهم ، وهو يمنع إثبات الميراث للمسلم من المرتد) .

١٥- قال النسفي في تفسيره (لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ، وفيه دليل على أن الكفر كله ملة واحدة ، ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ من جملتهم وحكمه حكمهم) .

١٦- قال القرافي : (نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على موادات القلوب ولا تعظيم شعائر الكفر ، فمتى أدى إلى أحد هذين امتنع ، وصار من قبيل ما نهي عنه في الآية وغيرها، ويتضح ذلك بالمثل : إخلاء المجالس لهم عند قدومهم علينا ، والقيام لهم حينئذ ، ونداؤهم بالأسماء العظيمة الموجبة لرفع شأن المنادى بها، كذلك إذا تلاقينا معهم في الطريق وأخلينا لهم واسعها ورحبتها والسهل منها ، وتركنا أنفسنا في خسيسها وحزنها وضيقها، فإن هذا ممنوع لما فيه من تعظيم شعائر الكفر وتحقير شعائر الله تعالى وشعائر دينه واحتقار أهله، وكذلك لا يكون المسلم عندهم خادماً ولا أجيراً يؤمر عليه وينهى ، وأما ما أمر من برهم من غير مودة باطنية كالرفق بضعيفهم وإطعام جائعهم وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال أذيتهم في الجوار مع القدرة على إزالته، لطفاً معهم لا خوفاً وتعظيماً، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة ونصيحتهم في جميع أمورهم، فجميع ما نفعله معهم من ذلك لا على وجه التعظيم لهم وتحقير أنفسنا بذلك الصنيع لهم ، وينبغي لنا أن نستحضر في قلوبنا ما جبلوا عليه من بغضنا وتكذيب نبينا ﷺ ، وأنهم لو قدروا علينا لاستأصلوا شأفتنا واستولوا على دمائنا وأموالنا ، وأنهم من أشد العصاة لربنا ومالكنا ﷻ ، ثم نعاملهم بعد ذلك بما تقدم ذكره امتثالاً لأمر ربنا). الفروق ٣/ ١٤ .

١٧- قال الخازن في تفسيره : (ومن يتول اليهود والنصارى من دون المؤمنين فينصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم ، لأنه لا يتولى مولى إلا وهو راض به وبدينه وإذا رضيه ورضي دينه صار منهم) .

١٨- قال ابن كثير في تفسيره : (نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين ، ثم توعد على ذلك، ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله).

وقال ابن كثير في تفسيره : (فلا تكونن ظهيرا أي معيناً للكافرين ولكن فارقهم ونابذهم وخالفهم).

١٩- قال الشوكاني في تفسير آية المائدة : (وهذا شروع في بيان أحكام المرتدين بعد بيان أن موالاة الكافرين من المسلم كفر وذلك نوع من أنواع الردة) .

وقال الشوكاني في تفسيره : (المراد من النهي عن اتخاذهم أولياء أن يعاملوا معاملة الأولياء في المصادقة والمعاشرة والمناصرة ، ووجه تعليل النهي بهذه الجملة أنها تقتضي أن هذه الموالاة هي شأن هؤلاء الكفار لا شأنكم ، فلا تفعلوا ما هو من فعلهم فتكونوا مثلهم ومن جملتهم وفى عدادهم ... أن وقوعهم في الكفر هو بسبب عدم هدايته سبحانه لمن ظلم نفسه بما يوجب الكفر كمن يوالي الكافرين) .

٢٠- قال الآلوسي في تفسيره عن المتولي : (كافر مثلهم حقيقة) .

٢١- قال الشنقيطي : (يفهم من ظواهر الآيات أن من تولى الكفار عمدا اختيارا رغبة فيهم أنه كافر مثلهم) الأضواء ١/ ٤١٣.

٢٢- قال احمد شاكر : (وما كنت يوما بالاحمق فأظن أن الحكومات في البلاد الإسلامية ستستجيب لحكم الإسلام فتقطع العلاقات السياسية مع الانجليز ... ولكن أريد أن أعرفهم بعواقب هذه الردة ...) كلمة حق ٨٧ .

٢٣- قال ابن سعدي : (ففي قوله اشهدوا بأنا مسلمون إظهار للبراءة من الكفار وكفرهم وزجر عن الدخول في طاعتهم وإشعار بوجوب التميز عنهم والاعتزاز بالإسلام والاعتداد به قولاً وفعلاً).

وقال: (وهذا نهي من الله تعالى للمؤمنين عن موالاة الكافرين بالمحبة والنصرة والاستعانة بهم على أمر من أمور المسلمين وتوعد على ذلك فقال: ﴿ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ أي فقد انقطع عن الله وليس له في دين الله نصيب لأن موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان لأن الإيمان يأمر بموالاة الله وموالاة أوليائه المؤمنين المتعاونين على إقامة دين الله وجهاد أعدائه).

٢٤- قال ابن تيمية في الاقتضاء عن حديث التشبه : (ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾) ١/ ٣٧ .

قال ابن تيمية : (الله يخبرنا بهذه الآية أنه لا يوجد مؤمن يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم فمن واد كافراً فليس بمؤمن لأن مودة الله ومودة عدوه ضدان لا يجتمعان في قلب واحد) الإيمان ١٧ .

قال ابن تيمية: " فالمخاطبون بالنهي عن موالاة اليهود والنصارى هم المخاطبون بآية الردة ، ولما نهى عن موالاة الكفار وبين أن من تولاهم من المخاطبين فإنه منهم بين أن من تولاهم وارتد عن دين الإسلام لا يضر الإسلام " ١٨/ ٣٠٠.

ويقول في التحفة العراقية : (فاتباع سنة رسول الله ﷺ وإتباع شريعته باطناً وظاهراً هو موجب محبة الله كما أن الجهاد في سبيل الله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه هو حقيقتها) .

وقال: (عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه ولـو كـان النـاس كلهـم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة فيه سبحانه والمعاداة) ١٠/ ٥٩ .

قال ابن تيمية : (ليس للقلوب سرور ولا لذة تامـة إلا في محبـة الله والتقـرب إليه بما يحبه ولا تتمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه وهذه حقيقة لا إلـه إلا الله وهي ملة إبراهيم عليه السلام وسائر الأنبياء والمرسلين) ٢٨/ ٣٨ .

قال ابن تيمية:(أصل الموالاة هي المحبة واصل المعاداة البغض فـإن التحـاب يوجب التقارب والاتفاق والتباغض يوجب التباعد والاختلاف)المحبة ٣٨٧ .

قال ابن تيمية عن الجهمية : (وعندهم أيضاً أن الإنسان قد يكون مؤمناً كامـل الإيمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادي الله ورسوله ويعادي أوليـاء الله ويوالي أعداء الله).

وقال :" الإيمان بالله والنبي مستلزم لعدم ولايـتهم فثبـوت ولايـتهم يوجـب عدم الإيمان لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم " الاقتضاء ١ / ٢٢١.

وقال :" فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب ودل ذلك عـلى أن مـن اتخـذهم أوليـاء، مـا فعـل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه ، ومثله قولـه تعـالى﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ ، فإنه أخبر في تلك الآيات أن متوليهم لا يكون مؤمنا ، وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم ، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً" الفتاوى ٧/ ١٧ .

وقـال ابـن تيميـة : (قولـه تعـالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ الكافرون: ٦ الـلام للاختصاص فأنتم مختصون بدينكم لا أشركم فيه وأنا مختص بـديني لا تـشركوني

فيه ﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ يونس: ٤١ ، وليس في هذه الآية أنه رضي بدين المشركين ولا أهل الكتاب كما يظنه بعض الملحدين ، ولا أنه نهى عن جهادهم كما ظنه بعض الغالطين وجعلوها منسوخة بل فيها براءته من دينهم وهذا أمر محكم لا يقبل النسخ). الجواب الصحيح ٢/ ٣٠ .

٢٥- قال العلامة ابن القيم في إغاثة اللهفان: (ما نجا من هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم إلى الله) .

وقال ابن القيم في الجواب الكافي : (لا تصح الموالاة إلا بالمعاداة كما قال تعالى عن إمام الحنفاء إنه قال لقومه : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الشعراء: ٧٧ فلم تصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة إلا بتحقيق هذه المعاداة فإنه لا ولاء إلا لله ولا ولاء إلا بالبراءة من كل معبود سواه قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨ ﴾ الزخرف ، أي جعل هذه الموالاة لله والبراءة لله والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة لا إله إلا الله وهي التي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة).

وقال: (تشمل هذه السورة النفي المحض فإنها سورة براءة من الشرك ومقصودها الأعظم البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين ولهذا أتى بالنفي في الجانبين تحقيقاً للبراءة المطلوبة، وهذه مسألة شريفة من أهم المسائل وقد غلط خلائق وظنوا أنها منسوخة بآية السيف لاعتقادهم أن هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم أو أنها مخصوصة بمن يقر على دينه وهم أهل الكتاب، وكلا القولين غلط

محض ، فلا نسخ في السورة ولا تخصيص بل هي محكمة بل ويستحيل دخول النسخ فيها فإن أحكام التوحيد التي انقضت عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه ومعاذ الله أن تكون الآية اقتضت تقريراً لهم أو إقرار على دينهم أبدا بل لم يزل الرسول ﷺ في أول الأمر أشد على الإنكار عليهم وعيب دينهم وتقبيحه والنهي عنه وإنما الآية اقتضت البراءة المحضة وإن ما أنتم عليه من الدين لا نوافقكم عليه أبدا فإنه دين باطل) البدائع ١/ ٣٨.

وقال: أتحب أعداء الحبيب وتدعى ** حبا له ما ذاك في الإمكان

وكذا تعادي جاهداً أحبابه ** أين المحبة يا أخا الشيطان

شرط المحبة أن توافق من ** تحب على محبته بلا نقصان

وقال ابن القيم : (معلوم أن التقاة ليست بموالاة ولكن لما نهاهم عن مولاة الكفار اقتضى ذلك معاداتهم والبراءة منهم ومجاهرتهم بالعدوان في كل حال إلا إذا خافوا وليست التقية مولاة لهم) البدائع ٣/ ٦٩ .

وقال: (من تولاهم فإنه منهم ،ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم ، والولاية تنافي البراءة فلا تجتمع البراءة والولاية أبداً ، والولاية إعزاز فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبداً ، والولاية صلة فلا تجامع معاداة الكافر أبداً) أحكام أهل الذمة ١/ ٢٤٢.

وقال في زاد المعاد في هدي النبي ﷺ في الجهاد: (ودخل الناس في الدين وقريش لا تنكر ذلك حتى بادأهم بعيب دينهم وسب آلهتهم وأنها لا تضر ولا تنفع ، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة) .

٢٦- كلام أئمة الدعوة :

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب: "فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ، وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم ، وهكذا حكم من تولى الكفار من المجوس وعباد الأوثان ، فهو منهم " . الدرر ٨/ ١٢٧ .

وقال: " الرضا بالكفر كفر، وموالاة الكفار كفر" . الدرر ١٠ / ٣٨.

وقال:" وأنت يا من منّ الله عليك بالإسلام وعرفت أن ما من إله إلا الله، لا تظن أنك إذا قلت هذا هو الحق وأنا تارك ما سواه لكن لا أتعرض للمشركين ولا أقول فيهم شيئاً لا تظن أن ذلك يحصل لك به الدخول في الإسلام، بل لابد من بغضهم وبغض من يحبهم ومسبتهم ومعاداتهم كما قال أبوك إبراهيم :﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ ،ولو يقول رجل أنا أتبع النبي وهو على الحق لكن لا أتعرض للات ولا أتعرض أبا جهل وأمثاله ما عليّ منهم لم يصح إسلامه " الدرر ٢/ ١٠٩ .

وقال :" ومعنى الكفر بالطاغوت أن تتبرأ من كل ما يعتقد فيه غير الله وتشهد عليه بالكفر والضلال وتبغضه ولو كان أباك أو أخاك " مجموعة الرسائل ٤/ ٣٣.

وقال: (كثير من الذين يدّعون الدين لا يعرفون لا إله إلا الله وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على ذلك والعذاب والأسر والضرب والهجرة للحبشة مع أنه ﷺ أرحم الناس لو يجد لهم رخصة لأرخص لهم) مجموعة التوحيد ١٩ .

وقال :" تمسّكوا بأصل دينكم، وأوّله وأُسّه ورأسه، شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها وأحِبّوها، وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوا بعيدين

منكم نسباً واكفروا بالطواغيت وعادوهم وأبغضوهم، وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفّرهم أو قال ما عليّ منهم أو قال ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى إثماً مبيناً، فقد كلّف الله كل مسلم ببغض الكفار، وافترض عليه عداوتهم، وتكفيرهم والبراءة منهم، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم، فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً" الدرر ٢/ ١١٩.

وقال: (إن الإنسان لا يستقيم له دين ولا إسلام ولو وحّد الله وترك الشرك، إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغض) الدرر ٨/ ١١٣.

وقال: (بل لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء ـ أي الطواغيت المعبودون من دون الله ـ وتكفيرهم ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾). الدرر ١٠/ ٥٣.

وقال في المخالفين في التوحيد: (من الناس من عبد الله وحده وعمل بالتوحيد ولم ينكر الشرك ولم يعاد أهله ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم) الدرر ٢/ ٢٢.

وقال أيضاً :" أصل دين الإسلام وقاعدته أمران :

١- الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه.

٢- الإنذار عن الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله فمعاداة الكافرين والبراءة منهم ومن كفرهم أصل من أصول الدين لا يصح إلا به، وهي ملة إبراهيم ". الدرر ٢/ ٢٢.

وقال الشيخ عبدالرحمن حسن:" فسجل تعالى على من تولى الكافرين بالمذمة وحلول السخط عليهم ، والخلود في العذاب ، وأكد ذلك بنوعي التوكيد ، ثم ذكر أن هذا الذي وصفهم به ينافي الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه ، ولها نظائر ، كقوله: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾) الدرر ٨ / ١٧٣ .

وقال أيضاً : (﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ المائدة: ٥١ وهذه الآية وأمثالها تعرف عظم هذا الذنب، وفي هذه وغيرها قبلها وبعدها ما يدل على أن هذا ردة عن الإسلام ، يظهر هذا لمن تدبر) . الدرر ٨ / ١٨٨ .

وقال : (أجمع العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن المرء لا يكون مسلما إلا بالتجرد من الشرك الأكبر والبراءة منه وممن فعله وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة والقدرة وإخلاص الأعمال كلها لله) . الدرر ١١/ ٥٤٥ .

وقال :" فلا يتم لأهل التوحيد توحيدهم إلا باعتزال أهل الشرك وعداوتهم وتكفيرهم " الدرر ١١/ ٤٣٤.

وقال:(وقد فرض الله تعالى البراءة من الشرك والمشركين، والكفر بهم وعداوتهم وبغضهم وجهادهم،﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾، فوالوهم وأعانوهم وظاهروهم واستنصروا بهم على المؤمنين، وأبغضوا المؤمنين وسبوهم من أجل ذلك، وكل هذه الأمور تناقض الإسلام، كما دل عليه الكتاب والسنة... وعند هؤلاء وأمثالهم – وأفراخهم من مرجئة عصرنا – على الدين الذي كانوا عليه لم يفارقوه) الدرر ٨/ ١٩٠.

وقال: (ذكر شيخنا محمد بن عبد الوهاب في مختصر السيرة : ذكر الواقدي أن خالد بن الوليد ﷺ لما قد اليمامة في قتال المرتدين أخذوا مجاعة بن مرارة فأمر به فأسره وأوثقه في حديد ... فقال مجّاعة ياخالد قد علمت أني قدمت على رسول الله ﷺ وبايعته على الإسلام وأنا اليوم على ما كنت عليه بالأمس فإن يك كذاب خرج فينا يعني مسيلمة لعنه الله فإن الله يقول {ولا تزر وازرة وزر أخرى} فقال خالد : يا مجاعة تركت اليوم ما كنت عليه أمس وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه إقراراً له ورضا بما جاء به، فهل أبديت عذرا فتكلمت فيمن تكلم، فقد تكلم ثمامة فرد وأنكر وتكلم اليشكري، فإن قلت أخاف قومي فهلا عمدت إلي أو بعثت إلي رسولا ؟ فتأمل كيف جعل خالد سكوت مجاعة رضا بما جاء به مسيلمة وإقرارا فأين هذا ممن أظهر الرضا وظاهر وأعان وجد وشمر مع أولئك الذين أشركوا مع الله في عبادته وأفسدوا في أرضه) مجموعة الرسائل ٤/ ٢٩٢ .

وقال في آية الممتحنة: "فمن تدبر هذه الآيات عرف التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه وعرف حال المخالفين لما عليه الرسل وأتباعهم من الجهلة المغرورين الأخسرين قال شيخنا في سياق دعوة النبي ﷺ قريشاً إلى التوحيد وما جرى منهم عند ذكر آلهتهم بأنهم لا ينفعون ولا يضرون أنهم جعلوا ذلك شتماً، " فإذا عرفت هذا عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء كما قال تعالى:﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ المجادلة: ٢٢، فإذا فهمت هذا فهماً جيداً عرفت أن كثيراً ممن يدعي الدين لا يعرفه، وإلا فما الذي حمل المسلمين على

الصبر على ذلك العذاب والأسر والهجرة إلى الحبشة مع أنه أرحم الناس ولو وجد لهم رخصة أرخص لهم، كيف وقد أنزل الله عليه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ العنكبوت: ١٠، فإذا كانت هذه الآية فيمن وافق بلسانه فكيف بغير ذلك"؛ يعني من وافقهم بالقول والفعل بلا أذى فظاهرهم وأعانهم وذب عنهم وعن من وافقهم وأنكر على من خالفهم كما هو الواقع" .

وقال: " فهذه حال أصحاب رسول الله وما لقوا من المشركين من شدة الأذى، فأين هذا من حال هؤلاء المفتونين الذين سارعوا إلى الباطل وأوضعوا فيه وأقبلوا وأدبروا وتوددوا وداهنوا وركنوا وعظموا ومدحوا فكانوا أشبه بما قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴾ الأحزاب: ١٤،نسأل الله تعالى الثبات على الإسلام، ونعوذ به من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، ومن المعلوم أن الذين أسلموا وآمنوا بالنبي وبما جاء به لولا أنهم تبرؤوا من الشرك وأهله وبادروا المشركين بسب دينهم وعيب آلهتهم لما تصدوا لهم بأنواع الأذى..." الدرر ٨/ ١٢٤.

وقال أيضاً : " قال عالم الحجاز الإمام محمد الحفظي: فالحذر أيها العاقلون والتوبة أيها الغافلون فإن الفتنة حصلت في أصل الدين لا في فروعه، ولا في الدنيا، فيجب أن تكون العشيرة والأزواج والأموال والتجارة والمساكن وقاية للدين وفداءً عنه، ولا يُجعل الدين فداءً عنها ووقاية لها قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا

يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ التوبة: ٢٤، فتفطن لها وتأملها فإن الله أوجب أن يكون الله ورسوله والجهاد أحب من تلك الثمانية كلها، فضلاً عن واحدة منها أو شيء دونها مما هو أحقر، فليكن الدين عندك أغلى الأشياء وأعلاها..." الدرر ٨/ ٢٥٧.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله في أول كتابه الدلائل :" اعلم رحمك الله أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفاً منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرهم فإنه كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ويحب الإسلام والمسلمين، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كان في دار منعة واستعدى بهم ودخل في طاعتهم وأظهر الموافقة على دينهم الباطل وأعانهم عليه بالنصرة والمال ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين وصار من جنود القباب والشرك وأهلها بعد ما كان من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله فإن هذا لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله ولرسوله، ولا يستثنى من ذلك إلا المكره وهو الذي يستولى عليه المشركون فيقولون له اكفر أو افعل كذا وإلا فعلنا بك وقتلناك أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان، وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلا أنه يكفر فكيف بمن أظهر الكفر خوفًا وطمعاً في الدنيا ".

وقال: (قوله (ووالى في الله) هذا بيان للازم المحبة في الله وهو الموالاة فيه إشارة إلى أنه لا يكفي في ذلك مجرد الحب بل لابد مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب وهي النصرة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين باطناً وظاهراً، وقوله (وعادى في الله) هذا بيان للازم البغض في الله وهو المعاداة فيه أي إظهار العداوة

بالفعل كالجهاد لأعداء الله والبراءة منهم والبعد عنهم باطناً وظاهراً، إفادة إلى أنـه لا يكفي مجرد بغض القلب بل لابد مع ذلك من الإتيان بلازمة) التيسير ٤٢٢.

وقال: (لأن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله أن لا يُعبـد إلا الله وأن لا يعتقد النفع والضر إلا في الله ، وأن يُكفـر بـما يُعبـد مـن دون الله ويتـبرأ منهـا ومـن عابِديها) التيسير ١٥٢.

وقال في الدلائل: (ذكر تعالى أن موالاة الكفار موجبة لسخط الله والخلـود في النار بمجردها وإن كان الإنسان خائفاً ، إلا المكره بشرطه ... فذكر تعـالى أن مـوالاة الكفار منافية للإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه ، ثم أخبر أن سـبب ذلـك كـون كثـير منهم فاسقين ، ولم يفرق بين من خاف الدائرة ولم يخف ، وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردتهم كثير منهم فاسقون، فجر ذلـك إلى مـوالاة الكفـار والـردة عـن الإسلام ، نعوذ بالله من ذلك) الدرر ٨/ ١٢٨.

ويقول الشيخ سليمان في رسالة أوثق عرى الإيمان: " فهل يتم الـدين أو يقـام علم الجهاد، أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والـبغض في الله، والمعاداة في الله والموالاة في الله، ولو كان النـاس متفقـين عـلى طريقـة واحـدة ، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء ، لم يكن فرقانا بين الحق والباطل ، ولا بين المـؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان".

وقال أيضاً: "فنهى سبحانه المـؤمنين عـن اتخـاذ اليهـود والنـصارى أوليـاء ، وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم ، وهكذا حكـم مـن تـولى الكفـار مـن المجوس وعباد الأوثان ، فهو منهم " . الدرر ٨/ ١٢٧ .

وقال أيضاً: " فأخبر تعالى أن من تولى أعداء الله وإن كانوا أقرباء وأصدقاء فقد ضل سواء السبيل ، أي : أخطأ الصراط المستقيم ، وخرج عنه إلى الضلال ، فأين هذا ممن يدعي أنه على الصراط المستقيم لم يخرج عنه ، فإن هذا تكذيب لله ، ومن كذب الله فهو كافر ، واستحلال لما حرم الله من ولاية الكفار ، ومن استحل محرماً فهو كافر " الدرر ٨/ ١٤١.

وقال الشيخ عبد الله وأخيه حسين ابني الإمام محمد بن عبد الوهاب : " فمن قال لا أعادي المشركين أو عاداهم ولم يكفّرهم أو قال لا أتعرض أهل لا إله إلا الله ولو فعلوا الكفر والشرك وعادوا دين الله أو ارتدوا و قال لا أتعرض للقباب فهذا لا يكون مسلماً والله سبحانه وتعالى أوجب معاداة المشركين ومنابذتهم وتكفيرهم "مجموعة الرسائل النجدية ١/ ٣٨ .

وقال بعض أئمة الدعوة : (مما يوجب الجهاد لمن اتصف به عدم تكفير عدم تكفير المشركين أو الشك في كفرهم فإن ذلك من نواقض الإسلام فمن اتصف به فقد كفر وحل دمه وماله ووجب قتاله حتى يكفر المشركين) .

وقالوا : (فمن لم يكفر المشركين من الدولة التركية وعباد القبور كأهل مكة وغيرهم ممن عبد الصالحين وعدل عن توحيد الله إلى الشرك وبدل سنة رسوله ﷺ بالبدع فهو كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ويحب الإسلام والمسلمين فإن الذي لا يكفر المشركين مكذب بالقرآن فإنه قد كفر المشركين وأمر بتكفيرهم وعداوتهم وقتالهم . قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نواقض الإسلام الثالث من

لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم وقال شيخ الإسلام ابن تيمية من دعا علي بن أبي طالب فقد كفر ومن شك في كفره فقد كفر) الدرر ٩/ ٢٩١.

وقال الشيخ عبد الله بن محمد في الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة:" إن الإسلام لا يستقيم إلا بمعاداة المشركين فإن لم يعادهم فهو منهم وإن لم يفعله " .

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن: "والمرء قد ينجو من الشرك ويحب التوحيد، ولكنه يأتيه الخلل من جهة عدم البراءة من أهل الشرك وترك موالاة أهل التوحيد ونصرتهم. فيكون متبعاً لهواه داخلاً من الشرك في شعب تهدم دينه وما بناه، تاركاً من التوحيد أصولاً وشعباً لا يستقيم معها إيمانه الذي ارتضاه فلا يحب ولا يبغض لله ولا يعادي ولا يوالي لجلال من أنشأه وسوّاه، وكل هذا يؤخذ من شهادة أن لا إله إلا الله" الدرر ٨/ ٦٨١..

وقال:" لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم ".

وقال أيضاً: "وأفضل القرب إلى الله مقت أعدائه المشركين وبغضهم وعداوتهم وجهادهم وبهذا ينجو العبد من توليهم " الدرر٨/ ٨٤٢ .

وقال أيضاً: " فمقت هؤلاء المشركين وعيبهم وذمهم وتكفيرهم وبغضهم وعداوتهم وجهادهم والبراءة منهم هو حقيقة الدين والوسيلة العظمى إلى رب العالمين ولا طيب لحياة المسلم وعيشة إلا بجهاد هؤلاء ومراغمتهم وتكفيرهم والتقرب إلى الله بذلك واحتسابه لديه " مجموعة الرسائل ٣/ ٢٢٤ .

وقال:"إن مسمى الموالاة يقع على شعب متفاوتة منها ما يوجب الردة وذهاب الإسلام بالكلية ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات الدرر ٨/ ٤٣٢ .

وقال : " فعليكم بالجد والاجتهاد فيما يحفظ الله به عليكم الإيمان والتوحيد ، وينجيكم من الركون إلى أهل الكفر والإشراك والتنديد " . ٨ / ٢٨٨ .

وقال: (لا يتصور أن يعرف التوحيد ويعمل به ولا يعادي المشركين ومن لا يعاديهم لا يقال له عرف التوحيد وعمل به) الدرر ٨/ ٣٥٩.

وقال: " وترك ذلك على سبيل المداهنة والمعاشرة ونحو ذلك مما يفعله بعض الجاهلين أعظم ضرراً وأكبر إثماً من تركه لمجرد الجهالة فإن هذا الصنف رأوا أن نيل المعيشة لا يحصل إلا بذلك فخالفوا الرسل وأتباعهم وخرجوا عن سبيلهم ومنهاجهم، لأنهم يرون العقل إرضاء الناس على طبقاتهم ويسالمونهم ويستجلبون مودتهم ومحبتهم، وهذا مع أنه لا سبيل إليه فهو إيثار للحظوظ النفسانية والدعة ومسالمة الناس وترك المعاداة في الله وتحمل الأذى في ذاته وهذا في الحقيقة هو الهلكة في الآجلة، فما ذاق طعم الإيمان من لم يوال في الله ويعاد فيه، والعقل كل العقل ما أوصل إلى رضى الله ورسوله، وهذا إنما يحصل بمراغمة أعداء الله وإيثار مرضاته، والغضب إذا انتهكت محارمه. والغضب ينشأ من حياة القلب وغيرته وتعظيمه وإذا عدم الحياة والغيرة والتعظيم وعدم الغضب والاشمئزاز، وسوى بين الخبيث والطيب في معاملته وموالاته ومعاداته فأي خير يبقى في قلب هذا " الدرر ٨/ ٣٥.

وقال :" وما جاء في القرآن من النهي والتغليظ الشديد في موالاتهم وتوليهم، دليل على أن أصل الأصول لا استقامة له ولا ثبات له إلا بمقاطعة أعداء الله وحربهم وجهادهم والبراءة منهم، والتقرب إلى الله بمقتهم وعيبهم، وقد قال تعالى لما عقد الموالاة بين المؤمنين وأخبر أن الكافرين بعضهم أولياء بعض قال تعالى: ﴿

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، وهل الفتنة إلا الشرك، والفساد الكبير هو انتثار عقد التوحيد والإسلام وقطع ما أحكمه القرآن من الأحكام والنظام..فليتأمل من نصح نفسه وينظر ما وقع من أكثر الناس اليوم، فإنه يتبين أنها تتناول من ترك جهادهم، وسكت عن عيبهم، وألقى إليهم السلم، فكيف بمن أعانهم، أو جرهم على بلاد أهل الإسلام، أو أثنى عليهم أو فضلهم بالعدل على أهل الإسلام واختار ديارهم ومساكنتهم وولايتهم وأحب ظهورهم، فإن هذا ردة صريحة بالاتفاق " الدرر ٨ / ٣٢٤.

وقال عبد الله بن عبد اللطيف :" التولي كفر يخرج من الملة، وهو كالذب عنهم، وإعانتهم بالمال والبدن والرأي، والموالاة كبيرة من كبائر الذنوب كبلّ الدواة، أو بري القلم، أو التبشبش لهم أو رفع السوط لهم" الدرر ٨/ ٤٢٢

وقال أيضاً عن إعانة المشركين على المسلمين:"ومن جرهم وأعانهم على المسلمين بأي إعانة فهي ردة صريحة " الدرر١٠/ ٤٢٩.

وقال في التحذير من موالاة النصارى والأمر بجهادهم:(حتى آل الأمر بأكثر الخلق إلى عدم النفرة من أهل ملل الكفر ، وعدم جهادهم ، وانتقل الحال حتى دخلوا في طاعتهم ، واطمأنوا إليهم ، وطلبوا صلاح دنياهم بذهاب دينهم ، وتركوا أوامر القرآن ونواهيه ، وهم يدرسونه آناء الليل والنهار ، وهذا لا شك أنه من أعظم أنواع الردة ، والانحياز إلى ملة غير ملة الإسلام ، ودخول في ملة النصرانية كأنكم في أزمان الفترات ، أو أناس نشؤوا في محلة لم يبلغهم شيء من نور الرسالة ، أنسيتم قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ والآيات القرآنية في تحريم موالاة الكفار والدخول في طاعتهم أكثر من أن تحصر) . الدرر ٨ / ١١ .

وقال : (الإنسان إذا عبد ربه بطاعته ومحبته ومحبة ما يحبه ولم يبغض المشركين ويبغض أفعالهم ويعاديهم فهو لم يجتنب الطاغوت ومن لم يجتنب الطاغوت لم يدخل في الإسلام فهو كافر ولو كان من أعبد هذه الأمة يقوم الليل ويصوم النهار وتصبح عبادته كمن صلى ولم يغتسل من الجنابة أو كمن يصوم في شدة الحر وهو يفعل الفاحشة في نهار رمضان) الدرر السنية ١/ ٩٣ .

وقال: (وقد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين وتابعيهم وجميع المسلمين سلفاً وخلفاً أن المرء لا يكون مسلما إلا بالتجرد من الشرك الأكبر والبراءة منه وممن فعله وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة والقدرة والإمكان) الدرر٩/ ١٩٩ .

وقال الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن: "ولا يكفي بغضهم بالقلب، بل لا بد من إظهار العداوة والبغضاء ... فانظر إلى هذا البيان الذي ليس بعده بيان، حيث قال بدا بيننا أي ظهر، هذا هو إظهار الدين فلا بد من التصريح بالعداوة وتكفيرهم جهاراً والمفارقة بالبدن، ومعنى العداوة أن تكون في عَدْوَة والضدّ في عَدْوَة أخرى كما أن أصل البراءة المقاطعة بالقلب واللسان والبدن، وقلب المؤمن لا يخلو من عداوة الكافر، وإنما النزاع في إظهار العداوة " الدرر ٨/ ١٤١.

وقال: " وقرن بين العداوة والبغضاء إشارة إلى المباعدة والمفارقة بالباطن والظاهر "سلوك الطريق الأحمد .

وقال الشيخ حمد بن عتيق في كتابه سبيل النجاة والفكاك عند قوله تعالى ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا ﴾ :" تأمل تقديم العداوة على البغضاء لأن الأولى أهم من الثانية فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم فلا يكون آتيا بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء ولابد أيضاً أن تكون العداوة والبغض باديتين ظاهرتين بيّنة ودائمة، وإن كانت البغضاء متعلقة بالقلب فإنها لا تنفع حتى تظهر آثارها وتبين علامتها ولا تكون كذلك حتى تعترف بالعداوة والمقاطعة فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين أما إذا وجدت الموالاة والمواصلة فإن ذلك يدل على عدم البغضاء ".

وقال فيه:" فإن كثير من الناس قد ظن أنه إذا قدر على أن يتلفظ بالشهادتين وأن يصلي الصلوات ولا يرد عن المساجد فقد أظهر دينه وإن كان مع ذلك بين المشركين أو في أماكن المرتدين وقد غلطوا أقبح الغلط، فلا يكون مظهراً لدينه إلا من صرح من ساكنه من كل كافر ببراءته منه وأظهر له عداوته لهذا الشيء الذي صار به كافراً ولهذا قال المشركون للنبي ﷺ عاب ديننا وسفه أحلامنا وشتم ديننا ".

وقال: (قد دل القرآن والسنة على أن المسلم إذا حصلت منه موالاة أهل الشرك والانقياد لهم، ارتد بذلك عن دينه) الدرر ٩/ ٢٦٣.

وقال : (إن مظاهرة المشركين، ودلالتهم على عورات المسلمين، أو الذب عنهم باللسان، أو الرضا بما هم عليه، كل هذه مكفرات ، فمن صدرت منه فهو مرتد ، وإن كان مع ذلك يبغض الكفار ويحب المسلمين) الدفاع عن أهل السنة ٣١ .

وقال: (أن البلد إذا ظهر فيها الشرك وأعلنت فيه المحرمات وعطلت فيه معالم الدين أنها تكون بلاد الكفر تغنم أموال أهلها وتستباح دماؤهم وقد زاد أهل هذه البلد بإظهار المسبة لله ولدينه ووضعوا قوانين ينفذونها في الرعية مخالفة للكتاب والسنة وقد علمت أن هذه كافية وحدها في إخراج من أتى بها من الإسلام) الدرر ٩/ ٢٥٧ .

وقال: (فليتأمل العاقل وليبحث الناصح لنفسه عن السبب الحامل لقريش على إخراج رسول الله ﷺ وأصحابه من مكة وهي أشرف البقاع، فإن المعلوم أنهم ما أخرجوهم إلا بعدما صرحوا لهم بعيب دينهم وضلال آبائهم، فأرادوا منه ﷺ الكف عن ذلك وتوعدوه وأصحابه بالإخراج، وشكا إليه أصحابه شدة أذى المشركين لهم، فأمرهم بالصبر والتأسي بمن كان قبلهم ممن أوذي، ولم يقل لهم اتركوا عيب دين المشركين وتسفيه أحلامهم، فاختار الخروج بأصحابه ومفارقة الأوطان مع أنها أشرف بقعة على وجه الأرض) ٨/ ١٩٩.

وقال : (فأمر الله رسوله أن يقول للكفار: دينكم الذي أنتم عليه أنا بريء منه وديني الذي أنا عليه أنتم براء منه، والمراد التصريح لهم بأنهم على الكفر، وإنه بريء منهم ومن دينهم، فعلى من كان متبعاً للنبي أن يقول ذلك، ولا يكون مظهراً لدينه إلا بذلك، ولهذا لما علم الصحابة بذلك، وآذاهم المشركون، أمرهم بالهجرة إلى الحبشة ولو وجد لهم رخصة في السكوت عن المشركين لما أمرهم بالهجرة إلى بلد الغربة) . سبيل النجاة والفكاك ٦٧ .

وقال: " فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه، وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد، وتحريم ضده"مجموعة التوحيد ٣٦٣.

وقال عن حالات موافقة الكفار: "الحالة الأولى: أن يوافقهم في الظاهر والباطن فهذا كافر خارج من الإسلام. سواء أكان مكرهاً أم غير مكره، فهو ممن قال الله فيه : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ النحل: ١٠٦

الحالة الثانية: أن يوافقهم ويميل إليهم في الباطن، مع مخالفتهم في الظاهر، فهذاً كافر أيضاً، وهم المنافقون.

الثالثة:أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن وهو على وجهين:

أحدهما: أن يفعل ذلك لكونه في سلطانهم مع ضربهم وتقييدهم له وتهديده بالقتل، فإنه والحالة هذه يجوز له موافقتهم في الظاهر مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان كما جرى لعمّار قال تعالى: إلا من أُكره وقلبه مطمئنٌ بالإيمان .

الوجه الثاني: أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو ليس في سلطانهم، وإنما حمله على ذلك إما طمع في رئاسة أو مال أو مشحة بوطن أو عيال أو خوف مما يحدث في المال فإنه في هذه الحالة يكون مرتداً ولا ينفعه كراهته لهم في الباطن وهو ممن قال الله فيهم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾. فأخبر أنه لم يحملهم على الكفر الجهل أو

بغضه، ولا محبة الباطل، وإنما هو أن لهم حظاً من حظوظ الدنيا آثروه على الـدين " .
سبيل النجاة والفكاك ص٦٢.

قال الشيخ سليمان بن سحمان في الضياء الشارق عن عدم تولي الوهابية للكفار والنصارى وعما بديار أعدائهم المرتدين الذين وضعوا قناصل وسفارات الكفار في بلدانهم وعلقوا فيها أعلامهم مع ادعائهم الإسلام واتهامهم لأهل التوحيد بأنهم عملاء للكفار: (ليس في ديارنا لهم علماً ولا جعلنا في أوطاننا قناصل، ولم نلتزم في ملتنا قوانينهم ونقدمها على شرع الله ورسوله ونحن نبرأ إلى الله منهم ومنكم ... فانظر قاتلك الله يا عدو الله من قناصل أعداء الله ورسوله عنده ومن أعلامهم منصوبة في دياره ومن اليهود والنصارى والرافضة في جملة عساكره حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين وتدري من سعى في الأرض بالفساد).

وقال : (فهذه هي ملة إبراهيم التي قال الله فيها: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ البقرة: ١٣٠، فعلى المسلم أن يعادي أعداء الله ويظهر عداوتهم ويتباعد عنهم كل التباعد وأن لا يواليهم ولا يعاشرهم ولا يخالطهم) .

ويقول : فمن لم يعاد المشركين ولم يوال ولم يبغض ولم يتجنب
فليس على منهاج سنة أحمد وليس على نهج قويم معرب

يقول سليمان بن سحمان:

فعاد الذي عادى لدين محمد ووال الذي والاه من كل مهتد
وأحبب لحب الله من كان مؤمناً وأبغض لبغض الله أهل التمرد
وما الدين إلا الحب والبغض والولا كذاك البرا من كل غاو ومعتد

وفي هذه النقول الرد على أقوام تلبسوا بالسلفية والدعوة الوهابية وهي منهم في براء وفي مقابلهم آخرون بالإخوانية الشيطانية، فأرادوا إسلاماً لا معاداة ولا تكفير فيه، وسعوا في توحيد لا كفر بالطاغوت فيه، فدعوا إلى دين لا حقيقة له ومذهب إرجائي لا فائدة فيه، ووالله ما عرفنا كلام السلف عن المرجئة وحقيقته إلا لما رأيناهم وسمعنا منهم مقالاتهم، وهم وأيم الله أشد على الدين ضرراً وفساداً من اليهود والنصارى، إذ مرغوا الدين واستباحوا الحمى وأزهقوا التوحيد وأماتوا الجهاد فيه، وهذا كله مع دعوى الوهابية والسلفية .

الفصل الرابع : حكم الولاء والبراء وتولي الكفار

(٢١) حكم الولاء والبراء وبيان وجوبه :

اعلم رحمك الله أن أوجب الواجبات بعد التوحيد الولاء والبراء فيه، ومما يجب على كل مسلم أن يعلمه ويعمل به أنه لا يقبل إسلام ولا يصح إيمان إلا بالموالاة والمعادة ، وهذا الأصل يعد من أجل العبادات وأفضل القربات التي ترضي الله تعالى وتركه من أعظم ما يسخطه، ولا يقبل الله من إنسان صرفاً ولا عدلاً إذا لم يأت به ، ولن يدخل أحد الجنة بدونه، ومن نقضه يعد ناقضاً لإسلامه.

لأجل ذلك كان التبيين لمبدأ الموالاة والمعاداة في القرآن والسنة لا يماثلها إلا الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك ، فقد أمرنا بموالاة الله وأوليائه ومعاداة أعدائه وحذرنا من المخالفة فيه .

وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين من أصول الدين التي لا يصلح بدونها، وضد ذلك عداوة المؤمنين وبغضهم وتولي الكافرين من الكفر البين الصريح .

قال ابن تيمية:(إذا وجد الإيمان انتفى ضده، وهو موالاة أعداء الله، فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله كان دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان). الإيمان ١٧ .

ومما يبين ما قلناه أن مولانا ﷻ نفى الإيمان بالكلية عمن يتخذ الكفار أولياء وجعله منافقا وبشره بالنار وأخبر ﷻ أن مخالفه ليس من الله في شيء ومن يرغب عنه ويعدل بربه فهو عدو لله يجب البراءة منه وأنه لا يجتمع محبة الله مع موالاة أعدائه.

ومن الآيات المحكمة الدالة على هذا الأصل : قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ المائدة: ٨١ . ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾ النساء: ١٣٨ . ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ آل عمران: ٢٨.

فالموالاة محرمة بين المسلمين والمشركين.

وهي واجبة بين المسلمين بعضهم مع بعض لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ التوبة: ٧١ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠ ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ المائدة: ٥٦.

وقول النبي ﷺ: " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه " رواه مسلم.

أي لا يجوز له أن يُسلمه إلى الظالمين، ولا يتخلى عن نصرته.

وإذا حصل ضد ذلك بموالاة الكافرين ومعاداة المؤمنين كانت الفتنة والفساد حاصلة معها: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ الأنفال: ٧٣.

ومن والى الكفار فقد استلزم ذلك منه وجود كفرين :

الأول : المظاهرة وحرب الدين وأهله . الثاني الرضا بدينهم .

قال الإمام الطبري : (فإنه لا يتولى متول أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمهم).

ومن هذا يتبين حكم تولي الكفار وموالاتهم ومناصرتهم، وأنه كفر مخرج من الإسلام ومبطل للإيمان ومبشر بالخسران ومخلد في النيران بنص القرآن .

(٢٢) الأدلة على أن موالاة الكفار كفر أكبر :

كفّر الله ﷻ الذين يتولون الكفار ونفى الإيمان عنهم وأوعدهم بالخلود في النار ، في آيات كثيرة منها .

قال تعالى : ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ المائدة: ٨٠ .

وقال تعالى : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ آل عمران: ٢٨.

وقال: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾ النساء: ١٣٨ .

وقال: ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ المائدة٨١.

وقال: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ المجادلة ٢٢.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ المائدة: ٥١ .

(٢٣) أقوال العلماء في كفر موالي الكفار وردته :

قال الطبري في موالاة الكفار : (فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، يعني فقد برئ من الله ، وبرئ الله منه ، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر).

قال ابن حزم: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار فقط وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين) المحلى ١٢/ ٣٣.

قال ابن تيمية: " فالمخاطبون بالنهي عن موالاة اليهود والنصارى هم المخاطبون بآية الردة ، ولما نهى عن موالاة الكفار وبين أن من تولاهم من المخاطبين فإنه منهم بين أن من تولاهم وارتد عن دين الإسلام لا يضر الإسلام " ١٨/ ٣٠٠.

وقال :" الإيمان بالله والنبي مستلزم لعدم ولايتهم فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم " الاقتضاء ١ / ٢٢١.

وقال :" فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب " الفتاوى ٧/ ١٧.

وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان: (ما نجا من هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم إلى الله) .

قال الشوكاني في تفسير الآية : (وهذا شروع في بيان أحكام المرتدين بعد بيان أن موالاة الكافرين من المسلم كفر وذلك نوع من أنواع الردة) .

قال ابن بدران عن موالي الكفار : (فالقرآن صرح بكفره بعد إسلامه وهذه عين الردة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ ، وليس الكفر إلا عدم الإيمان .) روضة الأرواح ص١١٧ .

وقال حمد بن عتيق:(قد دل القرآن والسنة على أن المسلم إذا حصلت منه موالاة أهل الشرك والانقياد لهم ، ارتد بذلك عن دينه) . الدرر ٩/ ٢٦٣.

قال احمد شاكر : (وما كنت يوما بالاحمق فأظن أن الحكومات في البلاد الإسلامية ستستجيب لحكم الإسلام فتقطع العلاقات السياسية مع الانجليز ... ولكن أريد أن أعرفهم بعواقب هذه الردة ...) كلمة حق ٨٧ .

وقال الشنقيطي بعد ذكره الأدلة في التولي:"ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمداً اختياراً رغبة فيهم أنه كافر مثلهم" أضواء البيان ١ / ٤١٣.

وقال ابن سعدي في تفسيره: (لأن موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان).

وقال محمد بن عبد الوهاب عن الكفار الطواغيت: (لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء). الدرر ١٠/ ٥٣ .

وقال: " أن الرضا بالكفر كفر، وموالاة الكفار كفر" . الدرر ١٠ / ٣٨.

وقال عبد الله بن محمد: " من قال لا أعادي المشركين ... لا يكون مسلماً والله أوجب معاداة المشركين ومنابذتهم وتكفيرهم " الرسائل النجدية ١/ ٣٨ .

وقال سليمان في الدلائل: (موالاة الكفار موجبة لسخط الله والخلود في النار بمجردها وإن كان خائفاً ... فجر ذلك إلى موالاة الكفار والردة) الدرر ٨/ ١٢٨.

قال عبد اللطيف: (من اتخذهم أولياء فليس بمؤمن) .

(٢٤) أوجه كفر موالي الكفار :

لما كان الولاء والبراء من الأصول وأعظم الأركان وداخل في الإسلام والإيمان والتوحيد وكلمة الإخلاص ، فإذا انخرم انخرم معه الإيمان، وزال بزواله الإسلام وانتقضت معه شروط كلمة التوحيد وأركانها ، كما سيأتي بيانه في الفصل المبين لتعلق الولاء والبراء بالأمور الشرعية ، فإن من والى الكفار فقد وقع في الكفر من عشرة أوجه أو تزيد .

١- أن موالاة الكفار والتخلي عن معاداتهم ينقض أصل الكفر بالطاغوت الذي تقوم حقيقته على البراءة من المشركين وشركهم وتكفيرهم ومعاداتهم ، فمن والى في الله وعادى فيه فقد كفر بالطاغوت وآمن بالله وكان مستمسكاً بالعروة الوثقى ومتبعا لملة إبراهيم القائمة على معاداة أعداء الله والكفر بالطاغوت ، ومن لم يعاد الكفار ويتبرأ منهم فما كفر بالطاغوت .

قال الشيخ عبد اللطيف عن معاداة الكفار: (لا بد منه، لأنه يدخل في الكفر بالطاغوت ، وبينه وبين حب الله تلازم كلي لا ينفك عنه المؤمن) الدرر ٨/ ٣٥٩ .

٢- أن نقض الولاء والبراء فيه شرك في الألوهية والربوبية .

ووجه كونه شركا في الألوهية لأن فيه محبة وموالاة غير الله.

وشركا في الربوبية لأن فيه اعتقاد أن الولي الناصر غير الله .

٣- أن موالاة الكفار ومحبتهم موقعة في الشرك في العبادة والمحبة كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ البقرة: ١٦٥ .

٤- أن موالاة الكفار ناقضة لأصل الإسلام القائم على الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله . فالولاء والبراء يعد أحد أركان الإسلام الثلاثة والتي لا يقوم الإسلام ولا يصح الدين إلا بالإتيان بها .

٥- أن موالاة الكفار ناقضة لحقيقة الإيمان .

لأن من الإيمان بالله محبة الله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائهم.

٦- أن محبة الله لا تجتمع مع موالاة أعدائه ، فمن والى أعداء الله فهو عدو لله وليس بمؤمن به مسلم له.

٧- أن موالاة أعداء الله منافية للانقياد لله ولرسوله وطاعتهم ، لأن من أعظم لوازم الانقياد موالاة من انقاد الشخص له ومعاداة أعدائه والبراءة منهم .

٨- أن موالاة الكفار ومعاداة المؤمنين لازمها بغض الإسلام ومحبة الكفر .

٩- أن في موالاة الكفار إظهار لشعائر الكفر والرضا بظهور الكفر.

١٠- موالاة الكفار ومعاداة المؤمنين موقعة في النفاق الأكبر المخرج من الملة.

لذلك فإن موالي الكفار واقع في الكفر والشرك والنفاق ناقض للتوحيد كـافر بالله العظيم مشرك به مرتد عن دينه عدوا لله ورسوله .

فليحذر بعد هذا كله أهل الإسـلام وليعلمـوا أهميـة هـذا البـاب وليدرسـوا ويعملوا به وإلا فقد خسروا الله ورسوله وباؤوا بسخط من الله ولعنة والعياذ بالله .

(٢٥) من والى الكفار فقد استلزم ذلك منه وجود كفرين :

الأول : بغض الإسلام وأهله وحربهم ومظاهرة الكفار عليهم ، وعدم الرضا بالله وبدينه ولا محبته ، فيكون من تولاهم قد ظاهرهم وحارب الدين وأهله.

قال الإمام الطبري: (من والاهم فقـد أظهـر لأهـل الإيـمان الحـرب ومـنهم البراءة وأبان قطع ولايتهم ... لأن من تولاهم فهو لله ولرسوله وللمؤمنين حرب).

وذلك لأن محبة الله ورسوله ودينه وأوليائه لا تجتمع مع موالاة أعدائه ، فمـن والى أعداء الله فهو عدو لله وليس بمؤمن به مسلم له.

الثاني : الرضا بدينهم ومحبتهم ومحبة ظهور الكفر وشعائره والرضا بذلك.

قال ابن جرير الطبري: (فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهـل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليـه راض ، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمهم) .

وقال مكي بن أبي طالب في تفسيره الهداية : (لأنه لا يواليهم إلا وهو بـدينهم راض فهو منهم).

وقال الخازن في تفسيره : (ومن يتول اليهود والنصارى من دون المؤمنين فهو من أهل دينهم، لأنه لا يتولى مولى إلا وهو راض به وبدينه وإذا رضيه صار منهم) .

(٢٦) موالاة الكفار مناقضة للتوحيد ونافية للإيمان من أصله ومزيلة للإسلام بالكلية ، ولا يجتمع موالاة الله مع موالاة أعدائه في قلب مطلقاً .

فمن والى أعداء الله فهو من أعداء الله ولا تجتمع موالاة الله وموالاة الكفار، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ .فمن والى الكفار يجب عليك أن تعاديه .

قال ابن بطة في الإبانة: (وتبغض في الله من عصاه ووالى أعدائه).

قال الطبري في تفسيره:(من تولاهم ونصرهم فهو من أهل دينهم وملتهم) .

قال ابن حزم في المحلى : (﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار فقط وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين).

(٢٧) موالاة عدو من تواليه في الحقيقة معادة لمن تريد أن تواليه.

فمن والى أعداء الله الكافرين به فقد عادى الله فخرج بذلك من الملة.

قال ابن القيم : أتحب أعداء الحبيب وتدعى ** حبا له ما ذاك في الإمكان

وكذا تعادي جاهداً أحبابه ** أين المحبة يا أخا الشيطان

شرط المحبة أن توافق من ** تحب على محبته بلا نقصان

قال ابن تيمية : (فمن وادّ كافراً فليس بمؤمن لأن مودة الله ومودة عدوه ضدان لا يجتمعان في قلب واحد) الإيمان ١٧ .

(٢٨) دلالة النفي والنهي في آيات الولاء والبراء :

ورد النهي عن موالاة الكفار بدلالة النهي كما أتى بدلالة النفي وهي أبلغ فموالاة المؤمنين للكفار منتفية ولو وجدت فهو دليل على عدم الإيمان .

قال ابن القيم في البدائع: (أتى بالنفي في الجانبين تحقيقاً للبراءة المطلوبة).

(٢٩) درجات المخالفة في الولاء والبراء :

تكون موالاة الكفار على درجات :

منها ما هو شرك ومنها ما هو كفر ومنها ما هو معصية .

الناس في نقض الولاء :

كافر ومشرك ومنافق ومرتد وعاصي .

تنبيه : سيأتي الفرق بين الموالاة الكفرية والموالاة الشركية .

(٣٠) أوصاف القرآن لمن يوالي الكفار :

وصفت آيات الولاء والبراء متولي الكفار بعدة صفات منها :

الكفر الشرك النفاق الردة الظلم الفسق عداوة الله الهلاك الخسران عدم الإيمان انتفاء الإسلام.

(٣١) سمى الله من يتولى الكفار منافقاً في عدة آيات :

قال تعالى :﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾ النساء: ١٣٨ ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ المائدة: ٨٠ ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ ﴾ المائدة: ٥٢ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ﴾ المجادلة: ١٤ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ﴾ الحشر: ١١ .

قال ابن عطية في تفسيره: (نص تعالى في صفة المنافقين على أشدها ضررا على المؤمنين وهي موالاتهم الكفار واطراحهم المؤمنين).

(٣٢) هل موالاة الكفار تدخل في باب الكفر الظاهر والردة أو النفاق ؟ وكيف يعامل صاحبها ؟

موالاة الكفار على درجات وطرق منها ما هو كفر صريح في الظاهر ومنها ما هو من الكفر الخفي والمشتبه، وموالاة الكفار هي أعظم صفات المنافقين والموالاة الأصل أنها من أعمالهم، لكن متى أظهرها الشخص صار بها مرتداً كافراً مباح الدم .

قال الشيخ سليمان في أوثق عرى الإيمان مجيباً عن سؤال هل الموالاة نفاق أم كفر؟ : (إن كانت الموالاة مع مساكنتهم في ديارهم، والخروج معهم في قتالهم ونحو ذلك، فإنه يحكم على صاحبها بالكفر، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾).

(٣٣) الأصل أن موالاة الكفار من الكفر الأكبر العملي الظاهر:

الموالاة قسمان :

الأول : موالاة كبرى مكفرة مخرجة عن الملة ، وهذا الأصل والأكثر .

الثاني : موالاة صغرى لا تخرج من الملة وهذه لها صور ، وهي لا تعارض كون الأصل في الموالاة الكفر.

فالأصل أن موالاة الكفار من الكفر الظاهر العملي الأكبر ، حيث أن مناط التكفير في باب الولاء والبراء متعلق بأعمال الجوارح .

ألا ترى أن الله تعالى بيّن لرسوله ﷺ موالاة المنافقين والمرتدين للكافرين بكون عملهم مشاهدا ظاهرا للعيان في قوله:﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ المائدة: ٨٠ . ومثل هذه الآية آية : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ﴾ المائدة: ٥٢.

فتأمل كيف ربط التولي بالرؤية البصرية والمشاهدة العينية مما يعني أن التولي يقوم بأعمال الجوارح الظاهرة وليس خاصاً بالقلب كما زعمت المرجئة.

فلو لم يكن كفر التولي للكفرة ظاهراً لما قال له: ﴿ تَرَىٰ ﴾، فتأمل ولا تتعام عن الحق، ولا تحجب رؤيتك بالإرجاء الخبيث، ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾، فإن المرجئة أخبث من يفتن عن ما أنزل الله ويبدل دينه.

(٣٤) جهل الناس بأصل الولاء والبراء بمبدأ معاداة الكفار:

من تتبع واقعه وأهل زمانه لم يخف عليه جهلهم بلا إله إلا الله واستحبابهم الحياة الدنيا على الآخرة، وظهر له كذب من ادعى معرفة الناس بالتوحيد وأنه واضح قد فهمه ووعاه العوام، مع أنه كل يوم يزيد اليقين عندنا أن الناس بحاجة لترسيخ عقيدة التوحيد والولاء والبراء، وتوضيحها وتفسير آيات القرآن المبينة لها، وكشف الشبهات التي يثيرها أهل النفاق حول موالاة الكفار.

وكثير من الجهلة ظنوا وفهموا الإسلام على غير حقيقته، فظنوا أن الدين مجرد الصلاة وتشييد المساجد ونشر الكتب فحسب، وأنهم ليسوا مطالبين بالولاء والبراء والتكفير، وليعلم هؤلاء أنه لا يقوم الدين إلا بالولاء والبراء لا يصح إسلام أحد إلا بالولاء لله ولدينه ورسوله وأولياءه ولا يقبل الله هذا الولاء مع عدم البراء من أعداءه وعداوتهم فلابد من اجتماع الموالاة والمعاداة حتى يصبح الرجل مسلماً.

(٣٥) سورة الكافرون قررت البراءة من المشركين وليس إقرارهم على دينهم :

دلت سورة الكافرون في قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ ، على حقيقة البراءة من الشرك ، وهذا من أصول الدين التي اتفقت عليها جميع الرسل وليس فيها الدلالة على إقرار المشركين على دينهم وشركهم ، كما أنها لم تنسخ بآيات السيف كما زعم بعض الجهال فهي لا تقبل النسخ أصلا ، والعجيب من يقول عن الكفار لهم دينهم ولنا ديننا فيظن الجاهل أن مقصود الآية أن لهم الحرية في الشرك وأن فيها إقراراً لهم على كفرهم وأنه لا إكراه في الدين ، فنقضوا المقصود من الآية وهو البراءة من الكفار ومن دينهم ، والحق أنه ليس فيها إقرارهم على دينهم ، ولو كانت للإقرار لما شرع الجهاد .

قال عن هذه الآية ابن القيم : (تشمل هذه السورة النفي المحض فإنها سورة براءة من الشرك ومقصودها الأعظم البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين ، ولهذا أتى بالنفي في الجانبين تحقيقاً للبراءة المطلوبة.

وهذه مسألة شريفة من أهم المسائل، وقد غلط خلائق وظنوا:

١- أنها منسوخة بآية السيف لاعتقادهم أنها اقتضت التقرير لهم على دينهم .

٢- أو أنها مخصوصة بمن يقر على دينه وهم أهل الكتاب .

وكلا القولين غلط محض ، فلا نسخ في السورة ولا تخصيص، بل هي محكمة، بل ويستحيل دخول النسخ فيها، فإن أحكام التوحيد التي اتفقت عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه، ومعاذ الله أن تكون الآية اقتضت تقريراً لهم أو إقراراً على دينهم أبدا ، بل لم يزل رسول ﷺ في أول الأمر أشد على الإنكار عليهم وعيب

دينهم وتقبيحه والنهي عنه وإنما الآية اقتضت البراءة المحضة ، وإن ما أنتم عليه من الدين لا نوافقكم عليه أبدا فإنه دين باطل) البدائع ١ / ٣٨.

وقال ابن تيمية : (قوله تعالى ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ اللام للاختصاص فأنتم مختصون بدينكم لا أشرككم فيه وأنا مختص بديني لا تشركوني فيه ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ، وليس في هذه الآية أنه رضي بدين المشركين ولا أهل الكتاب كما يظنه بعض الملحدين ، ولا أنه نهى عن جهادهم كما ظنه بعض الغالطين وجعلوها منسوخة بل فيها براءته من دينهم وهذا أمر محكم لا يقبل النسخ). الجواب الصحيح ٢/ ٣٠ .

(٣٦) تغيير الأسماء لا يغير حقيقة المسمى وحكمه :

كثير من أصحاب موالاة الكفار يسمي موالاته لأعداء الله إصلاحاً وأنه يصلح بلده وحتى تتبادل الخبرات والثقافات، أو يسميها بالعلاقات الدولية والقضايا السياسية والدبلماسية ، والحق أنها ضلالات كفرية ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ البقرة: ١١ ، فالمنافقون يدعون الإصلاح والحقيقة أنهم هم المفسدون فحصر الله الفساد والإفساد فيهم ، وقد كان فرعون يقول عن موسى: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ غافر: ٢٦ ، ويقول ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ غافر: ٢٩ .

وهناك فرق بين محبة الكفار ومناصرتهم وبين الاستفادة منهم وأخذ النافع المفيد مما لا يخالف الدين ، أما المنافقون فيوالون الكفار بل ويتفانون في الدفاع عنهم ويحاربون من يعادي أولياءهم من اليهود والنصارى ويسمون أفعالهم التي هي ولاء

صريح للكفار بأسماء غير شرعية مصالح تارة وتارة يدعون الإكراه فيها. فنحن لا يهمنا حكمهم الباطل ورأيهم الفاسد ما دام أن الحق بين واضح والحمد لله.

(٣٧) شبهة : التفريق بين موالاة الكفار لأجل دينهم ودنياهم :

يظن بعض فقهاء الجهالة أن موالاة الكفار لأجل دنياهم لا لدينهم ليست بكفر مطلقاً وإنما مجرد معصية محرمة لا تخرج عن الملة .

والجواب عن هذه الشبهة الباطلة أن يقال الموالاة والمعاداة قسمان :

موالاة ظاهره بالمناصرة والمحالفة للمؤمنين والمعاداة والمحاربة للكافرين.

وموالاة باطنة بالبغض للكافرين والمحبة والمودة للمؤمنين.

ولا يتم الإيمان إلا إذا استكمل المرء ركني الولاء والبراء.

ومحبة الكفار وما هم عليه ومحبة الكفر هذا ناقض بحد ذاته وجدت معه المناصرة لهم وتوليهم أو لم توجد هذه الموالاة الظاهرة، وأغلب النصوص التي جاءت بالتحذير من موالاة الكفار وتكفير الموالي المقصود بها الموالاة الظاهرة لدنياهم والتي لأجل المصالح الدنيوية، أما محبتهم ومحبة دينهم فهي أمور باطنة لا يعلم فاعلها إلا الله.

(٣٨) موالاة الكفار لا يشترط معها البغض:

جعلت المرجئة موالاة الكفار ليست كفرا بذاتها ، فلا تكون كفراً إلا إذا أحب الموالي دين الكفار وأبغض الإسلام.

وأهل العلم يفرقون بين ناقض كره الدين ومحبة الكفر وبين الموالاة ، فالأول كفر قلبي وهذا كفر عملي ، ولو كانا كفرا واحداً كما يزعم هؤلاء، لما كان لتخصيص الآيات بتكفير الموالي معنى.

ومن أقوال العلماء في عدم اشتراط البغض والحب في تكفير موالي الكفار :

قال الشيخ سليمان بن عبد الله في أول كتاب الدلائل : " الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفاً منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرهم فإنه كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ويحب الإسلام والمسلمين) .

وقال الشيخ حمد بن عتيق:" إن مظاهرة المشركين ودلالتهم على عورات المسلمين أو الذب عنهم بلسان أو رضي بما هم عليه كل هذه مكفرات ، فمن صدرت منه من غير الإكراه المذكور فهو مرتد وإن كان مع ذلك يبغض الكفار ويحب المسلمين ". الدفاع عن أهل السنة والاتباع ص ٣١ .

وقال أيضاً في (سبيل النجاة والفكاك) ص ٨٩ : " أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن وهو ليس في سلطانهم وإنما حمله على ذلك إما طمعاً في رئاسة أو مال أو مشحة بوطن أو عيال أو خوف مما يحدث في المآل ، فإنه في هذه الحال يكون مرتداً ولا تنفعه كراهته لهم في الباطن " .

(٣٩) قاعدة : إذا أطلق كفر الولاء كان المقصود به تولي الكفار بالعمل الظاهر رغبة في الدنيا وليس لأجل محبة الكافر والرغبة في كفرهم لأن هذا كفر مستقل ولو لم يكن معه موالاة .

(٤٠) بطلان حصر الصورة الناقضة لأصل الولاء والبراء في محبة الكفر وبغض الإسلام:

إرجاع صور العداوة للمؤمنين لأجل بغض دينهم، وإرجاع صور تولي الكفار وموالاتهم لأجل محبة دين الكفار ، وحمل دلالة النصوص الشرعية الدالة على التكفير بتولي الكافرين على هذه الصورة ، يعتبر هذ القول كفر بذاته لأنه إنكار أمر معلوم من الدين بالضرورة ، لأنه لا يخفى على كل من عنده أدنى معرفة بالعلم أنه لا يستقيم حمل هذه النصوص الشرعية على هذا المعنى البدهي من دين الإسلام.

ولم كان كل ذلك التحذير وتكرير بيان المسألة وتكثير الأدلة وتنويعها؟ أهو لمجرد أن يخبرنا الله ﷻ أن محبة دين الكفار وبغض دين الإسلام كفر، وأن من أحب الكفر وأبغض الإسلام كافر؟!

إن حمل نصوص الولاء والبراء على هذا المعنى حصر لدلالتها وتفريغ لمضمونها وتحريف لمعناها ، بل إن هذا الاعتقاد وهذا الصنيع كفر لا يخالف فيه من عرف الإسلام، فهو كفر مستقل قائم بذاته سواء وقع المحذور من موالاة أو لا، كما يقال في جاحد وجوب الصلاة كافر ولو صلى ومستحل الزنا كافر ولوما زنا.

الفصل الخامس : مكانة الولاء والبراء ومنزلته وأهميته وفوائده

(٤١) مكانة الموالاة والمعاداة:

لا يقبل الدين ولا يصح الإيمان إلا بعد الإتيان بهذه العقيدة ، فالموالاة والمعاداة شرط في قبول الإسلام وفي صحة الإيمان، وهو أعظم لوازم الدين وأول مقتضيات كلمة التوحيد ، وقد دل على هذا الأصل أدلة منها : قوله تعالى : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ المجادلة: ٢٢ .

وقوله: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ المائدة: ٨٠ - ٨١.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً " رواه الطبري.

وإليك كلام بعض أهل العلم في أن الإسلام لا يقبل إلا بالبراءة من المشركين ومعاداتهم وتكفيرهم:

يقول ابن تيمية : " فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء، ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه". الإيمان ١٤ .

وقال في الاقتضاء : " الإيمان بالله وبالنبي ﷺ وما أنزل إليه يقتضي عدم ولاية الكفار فثبوت موالاتهم يوجب عدم الإيمان لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم ".

قال ابن القيم في النونية :

أتحب أعداء الحبيب وتدّعى ** حبا له ما ذاك في الإمكان

وكذا تعادي جاهداً أحبابه ** أين المحبة يا أخا الشيطان

شرط المحبة أن توافق من ** تحب على محبته بلا نقصان

وقال الشاعر : تحب عدوي ثم تزعم أنني صديقك إن الود عنك لعازب

وقال محمد بن عبدالوهاب :" ولا يصح للمؤمن دين إلا بموالاة أهل التوحيد ومعاداة أهل الضلال وبغضهم والبراءة منهم " . الدرر ٢/ ٩٥.

وقال:" إن الإنسان لا يستقيم له دين ولا إسلام ولو وحّد الله وترك الشرك ، إلا بعداوة المشركين ، والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء " الفتاوى ٨/ ١١٣ .

وقال: (وأنت يا من منَّ الله عليه بالإسلام، وعرف أن ما من إله إلا الله؛ لا تظن أنك إذا قلت: هذا هو الحق، وأنا تارك ما سواه، لكن لا أتعرض للمشركين، ولا أقول فيهم شيئاً، لا تظن: أن ذلك يحصل لك به الدخول في الإسلام، بل: لا بدَّ من بغضهم، وبغض من يحبهم، ومسبتهم، ومعاداتهم) . الدرر السنية ٢ / ١٠٩ .

وقال:" تمسّكوا بأصل دينكم، وأوّله وأُسّه ورأسه، شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها وأحِبّوها، وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوا بعيدين منكم نسباً واكفروا بالطواغيت وعادوهم وأبغضوهم، وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفّرهم أو قال ما عليّ منهم أو قال ما كلفني الله بهم، فقد كذب

هذا على الله وافترى إثماً مبيناً، فقد كلّف الله كل مسلم ببغض الكفار، وافترض عليه عداوتهم، وتكفيرهم والبراءة منهم، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم، فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً" الدرر ٢/ ١١٩.

وقال الشيخ حمد بن عتيق في كتابه سبيل النجاة : (فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم فلا يكون آتيا بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء ولابد أيضاً أن تكون العداوة والبغض باديتين ظاهرتين بيّنة ودائمة، وإن كانت البغضاء متعلقة بالقلب فإنها لا تنفع حتى تظهر آثارها وتبين علامتها ".

وقال: (قد دل القرآن والسنة على أن المسلم إذا حصلت منه موالاة أهل الشرك والانقياد لهم ارتد بذلك عن دينه) الدرر ٩/ ٢٦٣.

وقال: " معاداة الكفار والمشركين فاعلم أن الله سبحانه قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه، وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد "مجموعة التوحيد ٣٦٣.

ويقول الشيخ سليمان في رسالة أوثق عرى الإيمان: " فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد، أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله، والمعاداة في الله والموالاة في الله، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء ، لم يكن فرقانا بين الحق والباطل ، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان".

ومن أهمية الولاء والبراء وعظم جرم موالاة أعداء الله من الكافرين أن الله أنزل سورة الممتحنة وهي أصل في هذا الباب قال القرطبي عنها في تفسيره : (

السورة أصل في النهي عن موالاة الكفار) . إضافة لآيات كثيرة في سورة التوبة والنساء والمائدة وآل عمران والبقرة وغيرها .

وقد كان النبي ﷺ يبايع أصحابه على تحقيق هذا الأصل العظيم .

كما بايع النبي ﷺ: جرير البجلي ﷺ بقوله: (أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين).رواه النسائي وأحمد.

وعليه فتكفير المشركين والمرتدين والتصريح بعداوتهم والطعن فيهم وفي المبتدعة من أجل العبادات ، وقد نص السلف على أنها لا تترك حتى حال الصيام والحج فليس تركها من الورع ، كما ظن بعض الجهال. انظر الإبانة الصغرى ١٠٤ .

فاعلم أنك مسئول عن الموالاة والمعاداة وأنك ستحشر مع من توالي وتحب .

(٤٢) معاداة الكفار وعدم موالاتهم أحد أصول الإسلام التي لا يسمى العبد مسلما إذا لم يأت بها:

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده والتحريض عليه والموالاة فيه وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك والمعاداة فيه وتكفير من فعله . الدرر ٢/ ٢٢ .

قال الشيخ عبد اللطيف:(لا تُصور أن أحداً يعرف التوحيد ويعمل به ولا يعادي المشركين ومن لم يعادهم لا يقال له عرف التوحيد وعمل به) الدرر ٨/ ٣٥٩.

وقال بعض أئمة الدعوة :(من قال لا أعادي المشركين أو عاداهم ولم يكفّرهم أو قال لا أتعرض أهل لا إله إلا الله ولو فعلوا الكفر وعادوا دين الله أو ارتدوا فهذا لا يكون مسلماً والله أوجب معاداة المشركين وتكفيرهم "مجموعة الرسائل ١/ ٣٨ .

(٤٣) لماذا نعادي الكفار :

١- لأن الله تعالى أمرنا به ، وما أمرنا ربنا به فيجب امتثاله .

٢- لأن الكفار حادوا الله وكفروا به وعصوا أمره وتكبروا على شرعه وطغوا وتجبروا، فاستحقوا بهذه الصفة أن نعاديهم ونبغضهم ونجاهدهم إرضاء لربنا .

٣- أن الكفار أعداء الله، ويجب على المسلم معاداة أعداء الله .

٤- أن الكفار أهل عداوة أصلية متأصلة على الدين والمؤمنين وحربهم للدين وهذا من دواعي وأسباب وجوب معاداتهم وجهادهم ويدل لهذا : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾آل عمران١١٩ ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ﴾البقرة٢١٧ ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ البقرة١٢٠ ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾التوبة.

ولو وجد بعض الكفار الذين لا يعادوننا ، فإن وجوب معاداتنا لهم لا يجوز أن نتركها لوجود بقية العلل الأخرى الموجبة لمعاداة الكفار، وأعظمها كفرهم.

٥- أن البغض فطره، وقد فطر الناس على بغض كل مفسد ظالم، وأي ظلم وفساد أعظم من الكفر بالله والشرك به .

٦- أن الدين لا يقبل والتوحيد لا يصح ولا يقبل إلا بالولاء والبراء .

٧- أن معاداة الكفار هي السبيل لحفظ الدين وتمامه وكماله وبقاء هيبته، وترك ذلك من الفساد والفتنة التي أخبر الله عنها .

٨- أن الله تعالى هو المحبوب وحده ويجب أن يوحد في المحبة والموالاة فلا يحب إلا الله أو ما يحبه الله وما أمر به .

٩- أن التمايز والتباين بين المسلم والكافر ومخالفتهم مقصد شرعي كذلك أهانتهم وإصغارهم وعدم تعظيمهم.

(٤٤) الحكمة من النهي عن موالاة الكفار :

أن في هذا إعزاز للمسلمين وإذلال للكافرين وإقامة للتوحيد وكفر بالطواغيت وحفظ للدين وطاعة رب العالمين وغير ذلك مما سبق بيانه.

كما أن من الأمور المعلومة بالضرورة أن موالاة أي شيء أو لأجل شيء والدخول في حزبه يؤدي إلى محبته وبغض ما يخالفه كما يستلزم إعطاءه الانقياد والتبعية فيحب ما يريده الذي والاه ويبغض ما لا يريده، سواء والى لأجل عقيدة صحيحة أو باطلة .

فمن والى مثلاً لأجل قوم ووطن وقبيلة أو غيرها فسينقلب حبه وهواه تبعاً لذلك الذي والاه، وافق دينه أو خالفه فبمجرد ما يطلب ذاك الموالى أو يستلزم فعلا فعله الموالي . ولا يخفى أن هذا يخالف ما يريده الله تعالى ويتطلبه دينه .

وعلى هذا فلا يمكن لشخص أن يوالي أعداء الله ويبقى من أولياء الله، لأنه إما أن يوالي الدين ويناصره ويعادي الكفر وأصحابه ، فيصير انتماؤه وولاؤه لله باتباع أوامره ودينه ومخالفة أعدائه والبراءة من كل ما لا يريده الله .

وإما أن يترك موالاة أهل الحق إلى موالاة أهل الباطل ، فينتمي لحزب أعداء الله والشيطان فيعادي دين الله وأولياءه ويوالي ويناصر أعداء الله.

ومن أجل هذا صارت موالاة الكافرين ناقضة لـ (لا إله إلا الله) ومبطلة للإسلام والإيمان ولذلك نهى الله عنها وحذر منها بأبلغ بيان .

(٤٥) فوائد الولاء والبراء:

١- إرضاء الله ﷻ وكسب محبته ونيل رضوانه .

٢- دخول الجنة والنجاة من النار .

٣- تحقيق التوحيد .

٤- تقوية المؤمنين وشد أزرهم .

٥- تمكين دين الله في الأرض .

٦- حصول البركات، وإن مما يحصله المؤمن إذا اعتزل الكفار وعاداهم :ما أخبر به تعالى : ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ مريم: ٤٩. قال أهل العلم : إن اعتزال الكفار سبب لهذه النعم كلها .

(٤٦) معاداة الكفار وبغضهم من أجل العبادات التي يكفر تاركها :

قال ابن عقيل: (فأفضل القرب إلى الله تعالى، مقت من حاد الله ورسوله وجهاده باليد واللسان والجنان بقدر الإمكان" الآداب لابن مفلح ١/ ٢٦٨.

(٤٧) كيفية معرفة مكانة الدين من الناس تظهر من الولاء والبراء :

قال ابن عقيل: (إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان ، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب المساجد، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة " الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٢٦٨. الدرر ٨/ ٢٩٩.

(٤٨) بدأت دعوة الرسول ﷺ بالكفر بالطاغوت ومعاداة الكفار :

قال ابن القيم: (بل لم يزل رسول ﷺ في أول الأمر أشد على الإنكار عليهم وعيب دينهم وتقبيحه والنهي عنه) البدائع ١/ ٣٨.

قال ابن القيم في الزاد: (ودخل الناس في الدين وقريش لا تنكر ذلك حتى بادأهم بعيب دينهم وسب آلهتهم وأنها لا تضر ولا تنفع ، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة) .

(٤٩) عقيدة الولاء والبراء من المحكم الذي لا يقبل النسخ :

قال ابن القيم: (فلا نسخ في السورة ولا تخصيص بل هي محكمة بل ويستحيل دخول النسخ فيها فإن أحكام التوحيد التي انقضت عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه) البدائع ١/ ٣٨.

(٥٠) التمايز بين المسلم والكافر والتباين مقصد شرعي :

من أجل هذا الأصل شرعت المخالفة للكفار وعدم موافقتهم وتحريم التشبه بهم بل وتقصّد مخالفتهم .

ومن ذلك قوله ﷺ : (خالفوا المشركين) رواه البخاري.

ومن هذا الباب جاءت الشروط العُمَرية والتي اشترطها عمر ﷺ على أهل الذمة ، إذ تقوم على تمايزهم وعدم موافقتهم لنا وعدم السماح لهم بإظهار شعائرهم وإلزامهم بالتزام أحكام المسلمين الظاهرة ما داموا في ديار الإسلام .

(٥١) فائدة : خصائص موالاة الله ﷻ :

من خصائص تولي الله أنه ينصر من والاه ويقيه ، وأن ولاية الله لا يغني عنها ولاية غيره، وأن من لم يواله الله فليس له ولي ولا نصير ولا واق، ولا تحصل موالاة الله لعبده إذا والى العبد غير ربه ، فلا تظن أنك ستنال ولاية الله وأنت توالي أعداءه، فولاية الله لا تحصل إلا بمعاداة الكفار.

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ الجاثية: ١٩ ﴿ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ﴾ الشورى ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ الرعد: ٣٧ ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ النساء: ٤٥ .

فائدة : اتخاذ الله من عباده أولياء وأمره لهم بمناصرتهم له، ليس من باب الحاجة والذل تعالى الله عن ذلك ، وقد نفى ذلك عن نفسه في قوله ﷻ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ﴾ الإسراء: ١١١.

(٥٢) معنى عبارة: ﴿ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ ﴿ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾:

جاء التعبير بلفظة (دون) في الآيات ، ومنها :

﴿ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾.

١- معنى ﴿ مِن دُونِ ﴾ : غير الله من أعدائه وبدل عنه وعن أوليائه المؤمنين به.

٢- كما أن فيها معنى الدونية ، وإشارة لاستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ، بترك ولا ية الله وولاية أوليائه إلى ولاية أعدائه.

(٥٣) فائدة : جاء التعبير ببعض الألفاظ التي تدل على معنى الموالاة :

منها الاتخاذ الإلقاء الإسرار المسارعة : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ الممتحنة: ١ ﴿ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ﴾ المائدة: ٥٢ .

(٥٤) الجمع بين الولاء وبين غيرها من الصفات الأخرى :

جمع الله ﷻ بين فعل الولاء وبين أفعال أخرى كالعبادة والشفاعة والنصرة والموالاة والمظاهرة والحكم والطاعة والكفر والشرك والردة .

من ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ السجدة: ٤.

وقوله : ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ البقرة: ١٠٧.

وقوله : ﴿ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ فصلت: ٣٤﴿ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ الرعد: ٣٧.

(٥٥) تعلق الحكم بغير ما أنزل الله بموالاة الكفار.

جعل الله طاعة الحكام والكفار من التولي في آيات كثيرة .

ومن تأمل بعض الآيات وجد أنها تعقب الكلام في شرك الحكم بالكلام عن الولاء والبراء ، وذلك لأن ترك حكم الله أعظم مقاصد الكفار وغاياتهم ، ومن يتولى الكفار تجده يطيعهم ويترك حكم الله ويحكم بقوانينهم الكفرية الوضعية ، والواقع يشهد بذلك مع دلالات الآي .

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ الرعد: ٣٧.

وقال تعال: ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦.

وتأمل آيات الحكم في سورة المائدة كيف أعقبتها الآيات الناهية عن تولي الكفار ثم أعقبها بآيات النهي عن الردة عن الدين وخصوصا في الحكم والتولي .

(٥٦) الحب والبغض أمر فطري :

المحبة والبغض من الأمور الفطرية، ومعنى فطري أي أن الإنسان مجبول عليه ولابد للناس منه، وكل إنسان يحب ويبغض ويوالي ويعادي والناس مفطورون على المحبة وهي أصل كل فعل، فلابد لكل إنسان أن يحب ويكره وهي من الأمور التي قد تخضع للهوى، والسعيد من كان هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ .

الفصل السادس : علاقات الولاء والبراء بالأمور الشرعية

(٥٧) علاقة الولاء والبراء بالتوحيد والشرك .

(٥٨) علاقة الولاء والبراء بلا إله إلا الله .

وسنأتي بهاتين المسألتين في الفصل القادم ووجه العلاقة والمناسبة بينها.

(٥٩) علاقة الولاء والبراء بأنواع التوحيد.

الولاء والبراء يدخل في توحيد العبادة والألوهية لأنه عبادة .

ويدخل في توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لأن الولاء والبراء والمحبة والبغض والمعاداة من صفات الله وأفعال ربوبيته .

كما أن من يوالى فيه ويعادى يجعل له الأحقية في عقد الولاية له والمحبة فيه والأمر والحكم ، فيكون بذلك آخذ بعض صفات الربوبية ، كما يقال في الوطنية والحاكم والمشرع الذي حصل فيها إشراك في استحقاق الأمر والحكم والطاعة.

(٦٠) علاقة الولاء والبراء بالكفر بالطاغوت:

الكفر بالطاغوت تقوم حقيقته على البراءة من المشركين وشركهم وتكفيرهم ومعاداتهم ، فمن والى في الله وعادى فقد كفر بالطاغوت وآمن بالله وكان مستمسكاً بالعروة الوثقى ومتبعا لملة إبراهيم القائمة على معاداة أعداء الله.

ومن لم يكفر الكفار ويعاديهم ويتبرأ منهم فما كفر بالطاغوت .

قال عبد اللطيف آل الشيخ : (مسألة إظهار العداوة غير وجود العداوة ، فالأول يعذر به مع العجز والخوف لقوله (إلا أن تتقوا منهم تقاة) ، والثاني لا بد منه، لأنه يدخل في الكفر بالطاغوت ، وبينه وبين حب الله تلازم) الدرر ٨/ ٣٥٩ .

(٦١) تعلق الولاء والبراء بشروط لا إله إلا الله من جهتين :

الأولى : أن شروط لا إله إلا الله تشترط في الولاء والبراء، لأن الولاء فرد من أفراد العبادة الداخلة في التوحيد ونوع منه ، لهذا استلزمته الشروط السبعة كلها .

الثانية : أن الولاء يدل عليه شرط المحبة حيث أن المحبة أحد الشروط ومن لوازم المحبة تولي أولياء الله ومعاداة الكفار، كما أن من معاني الولاء المحبة.

وتقدم قول عبد اللطيف في تلازم معاداة الكفار ومحبة التوحيد : (وبينه وبين حب الله تلازم كلي لا ينفك عنه المؤمن) الدرر ٨/ ٣٥٩ .

(٦٢) علاقة الولاء والبراء بالإيمان بالله :

من الإيمان بالله محبة الله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائهم .

(٦٣) علاقة الولاء بالإسلام من جهتين :

أن تعريف الإسلام هو : الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله .

فالولاء والبراء يعد أحد أركان الإسلام الثلاثة والتي لا يقوم الإسلام ولا يصح الدين إلا بالإتيان بها .

كما أن الإسلام قائم على الانقياد ومن أعظم لوازم الانقياد موالاة من انقاد الشخص له ومعاداة أعدائه والبراءة منهم .

(٦٤) علاقته بتوحيد المتابعة شهادة أن محمدا رسول الله :

وذلك أن أعظم لوازم توحيد الرسول ﷺ بالمتابعة موالاته ومعاداة أعدائه .

بهـذا يتبـين أن الـولاء والـبراء متعلـق بالـشهادتين : حقيقتهـا، وشروطهـا، وأركانها، وبالتوحيد وأنواعه ، وبالإيمان ، والإسلام .

كما أن نقضه يدخل في الكفر والشرك والنفاق والردة والظلم والفسق.

(٦٥) علاقة الولاء والبراء بالجهاد ودخول كل منهما في الآخر :

الجهاد أنواع ومنها:

الولاء والبراء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

عن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : للجهـاد أربعـة شـعب ، الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنآن الفاسـقين . أي بغـضهم وعـداوتهم . رواه أبو نعيم في الحلية وفي رفعه نظر والأشبه أنه من قول علي .

قال ابن تيمية: (عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة فيه سبحانه والمعاداة) ١٠/ ٥٩ .

وقال في التحفة العراقية : (فاتباع سنة الرسول وإتبـاع شريعتـه هـو موجـب محبة الله كما أن الجهاد في سبيل الله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه هو حقيقتها) .

(٦٦) الأبواب الداخلة في باب الولاء والبراء :

١- تكفير الكفار والمرتدين .

٢- الجهاد .

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنكار المنكرات .

٤- هجر المبتدعة والفسقة وعدم مجالستهم.

السابع:دلالات كلمة التوحيد على الولاء والبراء ودخوله في الشرك والتوحيد

(٦٧) دلالات (لا إله إلا الله) على الموالاة والمعاداة :

علاقة الولاء والبراء بـ (لا إله إلا الله) ودخوله فيها ودلالتها عليه :

تدل كلمة التوحيد لا إله إلا الله على عقيدة الولاء والبراء بالدلالات الثلاثة جميعها بالتطابق والتضمن والتلازم ، ويدخل هو فيها من جهات :

الأولى: دلالة المطابقة على الولاء :

وذلك بتفسير الألوهية بالمحبة ، ووجه دلالة المطابقة: أن من معاني الإله المحبوب ، والعبادة حقيقتها كمال المحبة مع كمال الذل فالمحبة من معاني التأله .

والولاء بمعنى المحبة والمحبة أصل الولاء، وعليه فالولاء من معاني الألوهية، والإله بمعنى المولى والموالى ، لذلك كانت الألوهية بمعنى الولاء تطابقاً.

فيصير معنى (لا إله إلا الله) : لا محبوب إلا الله، ولا ولي إلا الله، ولا موالى فيه إلا الله، والبراء والمعاداة لكل ما سوى الله ، ويدل لذلك تعبير الخليل عليه السلام بالولاء والبراء بدل لفظ كلمة التوحيد في قوله:﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

وبهذا تصير لا إله إلا الله دالة على الولاء والبراء بالمطابقة، وهذا المعنى لطيف.

تنبيه : لا يعني قولنا : (لا إله إلا الله دلت على الولاء والبراء مطابقة) ، أنه يكفي ويغني عن بقية المعاني التطابقية لكلمة التوحيد، لأمرين :

أن الولاء والبراء مستلزم لبقية معاني كلمة التوحيد، فلا يكون المسلم مواليا لله حقا إلا إذا أتى بالتوحيد وبقية الفرائض وترك الشرك .

أن الأصل في معنى كلمة التوحيد (توحيد العبادة) والولاء والبراء منها، لكن قد يكون للكلمة الواحدة أكثر من دلالة فيطابق معناها معانٍ كثيرة من غير تعارض بينها ، بل قد يكون فيما بينها شيء من التضامن والتلازم، ومطابقة لمعنى الأصل .

الثانية : دلالة التضمن :

ووجه ذلك أن (لا إله إلا الله) معناها لا معبود بحق إلا الله ، ولا عبادة إلا لله، والألوهية كلمة مرادفة لمعنى العبادة ، والعبادة اسم جامع لكل ما أمر الله به وأحبه ورضيه من الأقوال والأعمال ، والولاء والبراء أمرنا الله به والله أحبه ورضيه فهو عبادة ، فالولاء والبراء داخل في الألوهية ، والألوهية تتضمنه.

الثالثة : دخوله في كلمة التوحيد بالالتزام والاقتضاء:

وذلك لأنه يلزم من عبادة الشيء موالاته ومعاداة أعداءه ومحبته تقتضي إظهار المولاة والمعاداة فيه، فظهرت بذلك دلالة التلازم بين العبادة والمحبة والولاء.

عليه فإن كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) تدل على الولاء والبراء مطابقة ومضامنة وملازمة : فحصلت أنواع الدلالات على الولاء والبراء في كلمة التوحيد .

فصار للولاء والبراء مدلولات لزومية وضمنية وتطابقية.

فالولاء والبراء من لوازم (لا إله إلا الله) بل هو من حقيق معناها .

فالتطابق بتفسير الألوهية بالمحبة .

والتضامن بتفسير الإلوهية بالعبادة والولاء والبراء من العبادة .

والتلازم بكون عبادة الله ومحبته يلزم منها موالاته ومعاداة أعدائه عقلاً .

يقول ابن تيمية : (إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله ولا يوالي إلا لله ولا يعادي إلا لله وأن يحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله) الاحتجاج بالقدر ٦٢.

كما أن الولاء والبراء مرتبطان بأركان لا إله إلا الله وشروطها وأنواعها.

ومن هذا المعنى يعلم أن الولاء والبراء ركن في التوحيد لا يقوم إلا به فهو جزء منه وليس أمراً خارج عنه ، لهذا لا يمكن أن يتصور وجود مسلم لا يوالي ولا يعادي ولا يكفّر ، فإنه لا وجود في الخارج ولا حتى في الذهن لإسلام خال من الولاء والبراء والتكفير والكفر بالطاغوت .

وبهذا يتبين وجه بطلان دعوى جهال زماننا في زعمهم أنهم على التوحيد وأتوا بالتوحيد وهم لم يأتوا بالولاء والبراء ، فإن هذا إثبات لأمر منفي لا حقيقة له ولا وجود له ، كمن يزعم أنه مسلم وهو لم يسلم ومصلٍ وهو لايصلي وهكذا .

لأنه يستحيل عقلا وشرعا أنهم مسلمون وهم مناقضون لإسلامهم بموالاتهم أعداء الله .

قال الشيخ عبداللطيف: "والمرء قد ينجو من الشرك ويحب التوحيد، ولكنه يأتيه الخلل من جهة عدم البراءة من أهل الشرك وترك موالاة أهل التوحيد ونصرتهم. فيكون متبعاً لهواه داخلاً من الشرك في شعب تهدم دينه وما بناه، تاركاً من التوحيد أصولاً وشعباً لا يستقيم معها إيمانه الذي ارتضاه فلا يحب ولا يبغض لله ولا يعادي ولا يوالي لجلال من أنشأه وسوّاه، وكل هذا يؤخذ من شهادة أن لا إله إلا الله" الدرر ٨/ ٦٨١.

(٦٨) دخول التوحيد والشرك في الولاء والبراء وعلاقته بهما :

١- أن الولاء والبراء عبادة تحتاج إلى أن يوحد الله بها .

٢- أن المحبة عبادة لا تصرف إلا لله ومحبة غير الله من أعدائه من الشرك.

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ البقرة: ١٦٥.

٣- أن البراءة من الكفار ومن عباداتهم وكفرهم وعداوتهم وتكفيرهم وبغضهم من معاني الكفر بالطاغوت ولوازمه، والذي هو أحد ركني كلمة التوحيد.

٤- أن الولاء يدل عليه شرط المحبة التي هي أحد شروط (لا إله إلا الله)، ومن لوازم المحبة تولي أولياء الله ومعاداة الكفار.

٥- أن الولاء والبراء والمحبة والبغض من صفات الله التي يدخلها التوحيد .

فهو متعلق بتوحيد الربوبية والصفات كما أنه متعلق بتوحيد الألوهية.

وقد عبر عن الولاء والبراء في آيات كثيرة بأسلوب الحصر والقصر (النفي والإثبات) الدال على التوحيد، وذلك بقصر الولاء والبراء في الله وإفراده لله.

فيجب أن يوحد الله في الولاء والبراء فلا يصرف لغيره لأنه حق خالص لله وصرفه لغيره شرك، ومن صرفه لغير الله بتوليه لأعداء الله فهو مشرك.

قال السدي: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ (من فعل هذا - موالاة الكفار- فهو مشرك) أخرجه الطبري.

وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان: (ما نجا من هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم إلى الله) .

وقال محمد بن عبد الوهاب في معادة الكفار :" تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً" الدرر ٢/ ١١٩.

وعلى هذا فالولاء كله لله فلا يوالى إلا الله وما والاه الله ولا يُعادى إلا ما عادى الله ولا يُحب إلا الله وما أحبه الله ولا يبغض إلا ما أبغضه الله .

وهنا لفتة لطيفة في الفرق بين دخول التوحيد في الولاء والبراء ودخول الولاء والبراء في التوحيد فبينهما عموم وخصوص، فالولاء والبراء يدخله التوحيد والشرك فهو بذاته توحيد فيصح أن يقال توحيد الولاء والبراء وشرك الولاء والبراء، مثلما يقال توحيد الدعاء وشرك الدعاء، كما أنه يدخل هو الآخر في التوحيد، فهو جزء منه فصرف الولاء كله لله توحيد ولغيره شرك.

وقد قررت هذا الأصل الذي هو دخول الولاء والبراء في التوحيد والشرك ، ودخول التوحيد والشرك في الولاء والبراء ، وتعلق كل منهما بالآخر، آيات كثيرة .

تنبيه : مما سبق بيانه يظهر صحة مصطلح (الموالاة الشركية ، شرك الولاء ، أو الشرك في الولاء) ، وسيأتي الفرق بين المولاة الشركية والموالاة الكفرية .

(٦٩) أدلة توحيد وشرك الولاء:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ المائدة: ٥٥.

قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ البقرة: ١٠٧.

قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٥٠.

ومعنى الآيات لا ولاء لكم أيها المؤمنين إلا لله وفي الله ، وهو الولاء الحق وغيره ولاء باطل شركي كما أخبر تعالى بقوله: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ الكهف: ٤٤.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعراف: ٣.

وقال: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ٢٨.

قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ ﴾ الشورى: ٩.

وهذه الآيات نفت ونهت عن تولي غير الله ومن وقع في موالاة الكفار فقد وقع في الشرك شرك الولاية كما قال السدي وغيره من السلف.

فائدة : النفي أبلغ في الدلالة من النهي ، لأن النهي نفي وزيادة.

قال ﷻ: ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ الكهف: ١٠٢.

وفي الآية أثنى الله على عباده الموحدين الذين وحدوا الله في الولاء لأنهم لا يتولون أعداءه الكفرة ، ولن يطمع الكفار بشيء من موالاتهم .

(٧٠) الولاية قسمان : الشرعية بتوحيد الولاية ، وضدها الولاية الشركية :

أخبر تعالى أن هناك ولايتين ولاية المؤمنين مع بعضهم وولاية الكفار مع بعضهم ولا يمكن أن يتولى أحد الفريقين الآخر إلا إذا صار منهم واتبع دين الآخر، وأن المؤمنين وحدوا الله في الولاء فولايتهم لله وعداوتهم لعدو الله، أما ولاية الكفار فلا تحصل إلا من كافر عدو لله وأن الكفار لا يتولون أحد ولا يتولاهم أحد إلا إذا كفر واتبعهم وكان على ملتهم .

قال تعالى : ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ النساء: ٨٩ ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ ﴾ البقرة: ٢٥٧ ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ البقرة: ١٢٠ ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ٦٨ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ الأنفال: ٧٣.

(٧١) الولاء والبراء قائم على ركني (لا إله إلا الله) النفي والإثبات، ومتضمن لمعنى التوحيد، (لا ولاء إلا لله) و (لا ولاء إلا بعداء) و (لا عداء إلا لأعداء الله).

كلمة التوحيد لا إله إلا الله قائمة على نفي وإثبات وقد عبر عنها أحياناً بالولاء والبراء فيقال: (لا ولاء ومحبة إلا لله، ولا معاداة إلا لعدو الله).

ويقال: (لا ولاء إلا ببراء)، فلا يوالى الله وأولياؤه إلا بمعاداة أعدائه.

وقد عبر بهذه العقيدة الخليل عليه السلام.

قال الله تعالى حاكيا قول خليله إبراهيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ الزخرف: ٢٦ - ٢٧ ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الشعراء: ٧٧ ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الممتحنة: ٤.

فقوله: ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ ﴾ ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾.

مرادف لركن النفي: ﴿ لَآ إِلَٰهَ ﴾.

وقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ ﴿ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

مرادف لركن الإثبات: ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾.

فالآيات فسرت ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ بالولاء والبراء والموالاة والمعاداة والمحبة والبغض، ومن معاني العداوة التكفير والهجر والمفارقة والمخالفة لكل ما يعبد من دون الله، فالنفي بمعنى البراء والمعاداة والإثبات بمعنى الولاء.

الفصل الثامن : أركان الولاء والبراء

(٧٢) أركان الموالاة والمعاداة :

الأول : الموالاة الباطنة القلبية : وهي المودة والمحبة .

الثاني: الموالاة الظاهرة العملية : وهي النصرة والمحالفة .

الثالث : المعاداة الباطنة القلبية : وهي البغض والكره .

الرابع : المعاداة الظاهرة العملية : وهـي العـداء في الظـاهر وعمـل الجـوارح بالمنازعة والمباراة والمخالفة والمفارقة والمنابذة والعداوة والاعتداء والقتال.

فأركان الولاء والبراء أربعة :

(ركني الولاء وركني البراء) أو يقال : (ركني الباطن وركني الظاهر).

والمقصود بالباطنة : التي تحصل في الباطن وتكون في القلب .

والمقصود بالظاهرة : التي تكون بالجوارح بالقول والعمل باللسان واليد .

فللولاء ركنان:

١- المحبة وهو الركن القلبي الباطن .

٢- النصرة وهو الركن العملي الظاهر .

و البراء له ركنان :

١- البغضاء : وهو ركن القلب الباطن .

٢- العداوة وهي تكون ظاهرة بالجوارح.

فالبراء ينقسم إلى البغض المتعلق بالقلب والعداوة المتعلقة بالجوارح.

وقد جمعت الملة الإبراهيمية بينهما كما قال ﷻ عنها : ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ﴾ الممتحنة: ٤ .

فالولاء والبراء لهما ركنان : ركنٌ قلبيٌ باطنٌ وركنٌ عمليٌ ظاهر بادي.

فالركن الباطن في القلب : ولاء الحب ، وبراء البغض .

والركن الظاهر في اللسان والجوارح : ولاء النصرة ، وبراءة المعاداة الظاهرة .

فالمحبة وضدها البغض هما الركنان الباطنان ومحلهما في القلب وتظهر آثارهما ولوازمهما على اللسان والجوارح .

والنصرة وضدها المعاداة هما الركنان الظاهران الباديان من عمل الجوارح .

فالمحبة والنصرة والبغض والعداء أركانه ويتبعها أمور تدخل فيها.

وهذه هي أركان الولاء والبراء الباطن والظاهر ولا يتم الإسلام إلا بها.

ولا يكفي في الولاء والبراء وجود الباطن دون الظاهر ولا يتم أحدهما دون الآخر، ولا يمكن أن يقوم الولاء الظاهر بين المسلم والكافر ويبقى المسلم على دينه.

وزعمت المرجئة أن الركن الظاهر العملي ليس بلازم وأنه يتصور صلاح الباطن مع فساد الظاهر . وهذا القول الفاسد يرجع لأصلهم في الإيمان .

(٧٣) آلات الموالاة والمعاداة :

الولاء والبراء يكون باعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح.

ولا بد من اجتماعها فلا يكفي أحدها عن الآخر ولا يغني بعضها عن بعض ولا يعد المسلم مستكملا لعقيدة الولاء والبراء ومحققا للتوحيد إلا باجتماع الثلاث.

وهذه القاعدة مرجعها معتقد أهل السنة في الإيمان خلافا للمرجئة .

(٧٤) الموالاة والمعاداة من صيغ المفاعلة التي تقوم على جانبين:

الجانب الأول : الموالاة من جهة المعبود الخالق لعبده المؤمن :

١- بالحب

٢- والنصرة .

فالمحبة والنصرة من صفات الله ﷻ .

الجانب الثاني : الموالاة من جهة العبد لربه ومعبوده وخالقه :

١- بالحب

٢- والنصرة .

الدليل : ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ محمد: ٧ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ المائدة: ٥٤ .

الجانب الثالث : الموالاة بين العبد وبين المخلوقين .

ويقال مثل ذلك في المعاداة بين المخلوقين وبين خالقهم وبين أنفسهم.

فالمعاداة بين الرب وعباده الكفار، فيبغضهم ويعاديهم وهم كذلك عادوه.

(٧٥) محل الولاء والبراء ومكانه :

الأصل أن الحب والبغض في القلب، والمناصرة والمعاداة في الجوارح .

والحب والبغض تظهر آثارهما وتبدو لوازمها كما قال تعالى : ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ آل عمران: ١١٨ ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾ الممتحنة: ٤ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ آل عمران:٣١ ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ المائدة: ٨١.

(٧٦) أصل الولاء وتوابعه وأصل البراء وتوابعه :

أصل الولاء المحبة والنصرة ويتبعها أمور تندرج تحتها .

فيدخل في الولاء: التحالف والطاعة والركون والتودد والموافقة والمساكنة.

كما أن أصل البراء البغض والمعاداة والتكفير ويتبعها هيئات وأفعال كثيرة .

ومما يدخل في البراء : الجهاد والهجرة والمفارقة والمخالفة والمفاصلة.

وأعمال الولاء والبراء بعضها أظهر وأعظم وأشد من بعض .

فمنها ما هو ركن في التوحيد يكفر تاركه ، ومنها ما هو واجب لكن لا يكفر تاركه ، ومنها ما فعله كفر ، ومنها ما فعله معصية دون الكفر .

(٧٧) أصل الموالاة الحب وأصل المعاداة البغض :

الموالاة مبنية على المحبة فالمحبة أصل لها وسبب حصولها كما أن المعاداة مبنية على البغض وأساس وجودها .

فالولاء المحبة والقرب، والبراء هو البغض والعداوة والبعد، وأصل الولاء والبراء من أعمال القلوب، لكن تظهر مقتضياتها على اللسان والجوارح، فالمحبة تثمر الموالاة والبغض يثمر المعاداة فهي أثر ولازم لتحصيلها وبينهما ترابط وتلازم .

قال ابن تيمية:" أصل الموالاة هي المحبة وأصل المعاداة البغض فإن التحاب يوجب التقارب والاتفاق والتباغض يوجب التباعد والاختلاف " المحبة ٣٨٧ .

قال عبد اللطيف: "وأصل الموالاة الحب، وأصل المعادة البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة كالنصرة والأنس والمعاونة، وكالجهاد والهجرة ، ونحو ذلك من الأعمال".الدرر٢/ ١٥٧ .

فلا يمكن لأحد أن يعادي أحداً إلا وقد أبغضه . ولا يمكن أن يواليه إلا وقد أحبه ومن ادعى أنه لا يحب من يواليه ولا يبغض من يعاديه فهو كاذب في دعواه إلا المكره الإكراه الصحيح المعتبر.

ولو تصورنا وجود من يتولى الكفار ويناصرهم ويعادي المسلمين ويحاربهم ويظاهر الكفار عليهم ، ومع ذلك يحب الإسلام وأهله ، ويبغض الكفر وأهله ، فإن هذا لا يعد مانعا من تكفيره وكون ما عمله كفرا أكبر مخرجاً من الإسلام فهو كفر عملي بمجرده لا يشترط معه كفر القلب.

وهذه القاعدة في المحبة مع الموالاة والبغض مع المعاداة مندرجة تحت قاعدة ترابط الباطن والظاهر، ومثلها في باب الإيمان، وترابط العمل الظاهر بالباطن كترابط الانقياد مع الإقرار والمحبة والتصديق، والكفر والامتناع في الظاهر مع كفر الباطن من جحود وكره، وهذه القاعدة تخالفنا فيها المرجئة حيث لا يحكمون على العمل الظاهر بالكفر وتصوروا وجود من يأت بأنواع الكفر الصريح من غير أن يكون في الحقيقة كافراً لكونه في الباطن مؤمناً كما تخيلوا فلا يكفرونه.

الفصل التاسع : أقسام الولاء والبراء

(٧٨) ينقسم الولاء والبراء إلى أقسام بعدة اعتبارات :

حسب النوع والحكم والطرق وآلاته والوسائل والأساليب والاتجاهات:

١- ينقسم إلى ولاء وبراء وموالاة ومعاداة وحب وبغض .

٢- وينقسم إلى اعتقادي بالقلب وقولي باللسان وعملي بالجوارح .

٣- وينقسم إلى ولاء باطن وظاهر. وبراء باطن وبراء ظاهر.

٤- وينقسم إلى موالاة مشروعة وممنوعة بصرف الولاء لأهل البراء.

٥- وينقسم إلى أصل وكمال .

٦- وينقسم إلى ولاء وبراء بالعموم وولاء وبراء للمعين .

٧- وينقسم إلى موالاة جنس وموالاة أفراد (جنسية وفردية) .

٨- وينقسم إلى موالاة دائمة ومؤقتة طارئة .

٩- وينقسم إلى موالاة لها ضد وموالاة لا ضد لها .

١٠- وينقسم إلى موالاة للدين موالاة للدنيا .

١١- وينقسم إلى موالاة لعاقل وغير عاقل .

١٢- وينقسم إلى موالاة حي وميت وجماد .

١٣- وينقسم إلى موالاة فاعل وفعل ومفعول .

١٤- وينقسم إلى موالاة كبرى مكفرة وموالاة صغرى .

١٥- وينقسم إلى ولاء كامل تام ومتبعض ناقص .

١٦- وينقسم إلى مداراة ومداهنة .

١٧- وينقسم إلى موالاة الخالق مع المخلوق . وموالاة المخلوق مع المخلوق .

١٨- وينقسم إلى ولاء للدين وولاء لأهله .

١٩- وتنقسم الموالاة والمعاداة إلى أصلية وفرعية.

٢٠- وتنقسم إلى فعلية وتركية .

ومثال التركية : ترك معاداة الكفار وترك محبة المسلمين.

وإن كان الترك يرجع للفعل في النهاية .

٢١- وتنقسم إلى موالاة كفرية كبغض الدين ، وموالاة شركية كحب الأنداد.

(٧٩) أقسام الموالاة باعتبار الفعل والآلة :

١- الموالاة القلبية : كمحبتهم ومودتهم وتعظيم شعائرهم .

٢- الموالاة القولية: كتأييدهم بالقول أو الرأي والثناء عليهم ومدحهم .

٣- الموالاة العملية : كمناصرتهم وخدمتهم وبذل المال والنفس لهم.

(٨٠) تنقسم الموالاة باعتبار الحكم إلى قسمين :

موالاة كبرى مكفرة : كمحبة الكفار لدينهم، أو مناصرتهم على المسلمين .

موالاة صغرى غير مكفرة : كالإقامة عندهم مع عدم إظهار معاداتهم وكتصديرهم في المجالس وكالتشبه بهم في بعض الهيئات .

فالأولى تنافي أصل التوحيد وتنقضه .

والثانية تنافي كمال التوحيد مع بقاء أصله فلا تبطله.

(٨١) أقسام الموالاة الممنوعة :

١- موالاة قلبية باطنية كفرية : كمحبة الكفار عموما أو الفرح بظهورهم والمسرة بانتصارهم على المسلمين أو الرضا بدينهم أو اعتقاد أنهم على خير وفضل أو صحة دينهم أو كمال طريقتهم.

٢- موالاة قلبية باطنية صغرى : كمحبة قرابته الكفار المحبة الطبعية، وكغضب المرء لقومه، وكالانبساط والأنس والسرور والفرح بحديثهم الدنيوي .

٣- موالاة كفرية كبرى ظاهرة عملية: وهذا النوع لا يشترط أن يوجد معه المحبة والموالاة القلبية الباطنة فهي بمجرد ما يفعلها المسلم يحكم بردته وكفره .

ومن صور الكفر العملي في الولاء : مظاهرة المشركين على المسلمين .

٤- موالاة عملية ظاهرة صغرى لا تصل للكفر:

كالبشاشة وطلاقة الوجه لهم، وتصديرهم في المجالس والقيام لهم وبري القلم لهم والجلوس معهم وزيارتهم للمؤانسة ، من دون إقرارهم وتأييدهم على كفرهم.

(٨٢) أنواع الكفر في الولاء :

ينقسم الكفر في الولاء والبراء إلى أنواع بعدة اعتبارات :

١- أكبر وأصغر.

٢- اعتقادي وقولي وعملي .

٣- باطن وظاهر .

٤- فعلي كتولي الكفار ومظاهرتهم ، وتركي كترك بغضهم ومعاداتهم.

٥- كفري كبغض الدين وشركي كحب الكفار والطواغيت والأنداد.

(٨٣) الموالاة والمعاداة تكون مطلقة ومتبعضة :

الولاء المطلق لا يكون إلا للمؤمن ، والبراء المطلق لا يكون إلا للكافر .

والولاء والبراء المتبعض يكون للمسلم الفاسق العاصي ، فيوالى لأجل إيمانه ويبغض فيه الفسق فيتبرأ منه على قدر ظلمه وفسقه.

(٨٤) الموالاة الدائمة والطارئة :

الأصل أن الموالاة الدائمة لا تكون إلا للمؤمنين ، والمعاداة الدائمة تكون للكافرين ومن خالف في ذلك كفر .

والواقع في موالاة الكفار على قسمين :

١ - أصحاب الموالاة الدائمة والمستمرة وهذه كفر وردة مطلقاً .

٢ - أصحاب الموالاة الطارئة أو المؤقتة لمصلحة ونحوها .

والحكم في هؤلاء يكون على حسب ما قاموا به من ولاية .

فالموالاة الطارئة منها ما هو ردة ومنها المحرم ومنها ما هو مباح للضرورة.

مثال المولاة الطارئة والتي تكون ردة : كأن يطرأ على مسلم مظاهرة المشركين على المسلمين خوفا على دنياه ونحوه وهذا كفر لا يعذر فيها فاعلها.

مثال المولاة الطارئة المحرمة : كأن يسافر لتجارة فيظهر شيئاً من الموالاة لهم، كمدحهم وإكرامهم ، فيفعل ذلك لأجل مصلحة وفعله محرم ولكن ليس بكفر .

ومثال المباحة : الإقساط والبر للكافر المسالم ، والتخفي في صفوف الأعداء وإظهار موالاتهم لمصلحة جهادية ، وموالاتهم حال الإكراه والتقية.

وهذا النوع لا يسمى موالاة عند التحقيق وقد تكون نافعة وليست ضارة.

(٨٥) الموالاة الجنسية التامة الكاملة والموالاة النوعية الفردية العينية الناقصة :

تكون موالاة الكفار على حالتين :

الأولى : جنس الموالاة :

وهي صرف جميع صور الموالاة وطرقها وأنواعها للكفار ، فهو لا يتبرأ ولا يعادي بل يوالي ويناصر ويوافق ويركن ويرتاح لهم ويرضى بأفعالهم ويتخذهم بطانة ويفشي الأسرار لهم وكل عمل يصرف لولي محب يصرفه إليهم وهذا كافر مطلقا .

كما أن تارك الموالاة الجنسية كل صور الموالاة لكل المؤمنين فهو كافر.

الثانية : الموالاة النوعية الفردية :

وهي صرف بعض صور الموالاة للكفار دون بعض.

مثالها: كمن يعادي الكفار بلسانه لكن لا يجاهدهم أو يقلد الكفار أو يتشبه بهم أو يوافقهم في بعض أفعالهم أو لا يتبرأ منهم مع عداوته ومخالفته لهم أو يخالفهم ولكن يركن إليهم ويعتمد عليهم أو يتخذهم بطانة أو أصحابا وأصدقاءً ويرغب في الجلوس معهم والسفر إليهم والإقامة عندهم مع عدم موافقتهم ونحو ذلك .

فتراه يصرف هنا نوعاً من الموالاة ونوعاً من المعاداة ويجمع بينهما .

وحكم هذا أنه بحسب نوع الموالاة التي صرفها فقد تكون كفراً بمجردها وقد تكون معصية غير مكفرة، فإن كان الذي فعله من الموالاة المكفرة فإنه يكفر ويحكم بردته وإن كان من الصغرى فلا يكفر . وستأتي أقسام الموالاة وصورها .

(٨٦) موالاة عموم الكفار وخاصة لأفراد ومعينين:

تنقسم موالاة الكفار لأقسام وعلى درجات :

أشدهم : من يوالي عموم الكفار وجميعهم، فكل من يخالف المسلمين يواليه.

الثانية : من يوالي جنساً من الكفار كاليهود أو النصارى أو البوذيين.

الثالثة : من يوالي نوعاً من الكفار حسب البلد النسب والقبيلة، كمن يوالي يهود اليمن أو أقباط مصر أو صابئة العراق أو كفار بلد معين كالأمريكان أو الهنود.

والحالات السابقة كلها من الكفر الأكبر .

الرابعة : من يوالي كافراً معيناً قريباً أو صديقاً.

(٨٧) يصرف الولاء والبراء إلى المعين والعموم :

يحصل الولاء للمعين ، والمقصود بالمعين كافر معين .

ويحصل للعموم مثل عموم كفار بلده أو وطنه أو قبيلته .

فمن مقتضى (لا إله إلا الله) ولوازمها موالاة عموم المسلمين سواء اتفقوا في الروابط الأخرى كالنسب والوطن والقبيلة والقوم أو اختلفوا .

وأما موالاة الكفار فقسمان : موالاة معينين وهذه غير مكفرة ما لم تصل إلى بعض حالات التولي والموالاة الكبرى .

وموالاة بالعموم وهذه من صور الموالاة الكبرى المكفرة والتولي مثل محبة عموم اليهود أو النصارى أو البلد الفلاني وأهله كفاراً كأمريكا .

(٨٨) الولاء والبراء يكون للحي وغيره :

فكما أن الولاء والبراء يصرف للأحياء من البشر والملائكة والجن فكذلك يكون لغير الحي فيوالى الجماد كما أخبر النبي ﷺ عن محبته لمكة وطيبة وجبل أحد، وكذا يعادى الطاغوت حيا كان أو جماداً كصنم أو كنيسة أو قبر يعبد أو محكمة وضعية أو قانون أو تلفاز أو صورة تعظم أو قبيلة لها يتعصب أو غير هذه الأمور من وسائل وأمور الشرك ، وهذا معنى البراءة من الشرك وأهله .

(٨٩) البراءة تتعلق بالفعل والمفعول والفاعل :

الفعل : الذي هو الكفر والشرك يتبرأ منه ويبغضه ويبتعد عنه ويهجره.

الفاعل : وهو فاعل الكفر وأهل الدين الباطل والمشرك صاحب الشرك.

المفعول : وهو المعبود الباطل والطاغوت المطاع والمتبع .

مثال : كالصنم والقبر الذي يقصد للعبادة أو المحكمة الوضعية الشركية .

فإذا أردت معرفة كيفية البراة من الحكم بغير ما أنزل الله مثلاً :

فلا بد أن تتبرأ أولاً من الفعل الذي هو الشرك في الحكم والتحاكم ثم تتبرأ من أهل الشرك الذي هو الحاكم (الفاعل) وتبرأ من المحكمة (المفعول) مقر الحكم.

(٩٠) الولاء والبراء يكون للدين وأهله :

الولاء المشروع الواجب يكون للإسلام وأتباعه المسلمين.

والبراء الواجب يكون للكفر وأصحابه .فلا بد أن يعادي الكفار أهل الكفر.

ولا يكفي موالاة الدين دون أهله ولا معاداة الكفر دون أهله .

والبراءة من المشركين أولى من البراءة من الشرك . ولا تصح البراءة من الشرك والكفر إلا بالبراءة من أهله وأتباعه، حيث لا يكفي بغض الكفر دون أهلـه بـل ولا بغض الكفار دون معاداتهم فالبراءة من الكفار بالقلب وبالعمـل الظـاهر والعـداوة فرض على كل مسلم .

وقد ظن الكثير أن هذا ليس بلازم فمجرد ما يكره الكفر لا يلزمـه أن يعـادي المشركين خصوصاً إذا كانوا أقرباء، وهـذا اعتقـاد باطـل فـالكره وحـده لا يـدخل صاحبه في الإسلام إذا ما جاء معه عداوة الكفار.

قال حمد بن عتيق في سبيل النجاة: (قدّم البراءة من المشركين عـلى الـبراءة مـن الأوثان المعبودة ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ﴾، لأن الأول أهم من الثاني، فإنه إن تبرأ من الأوثان ولم يتبرأ ممن عبدها لا يكون آتياً بالواجب. وأما إذا تبرأ من المشركين فإن هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم، وكذا قوله:﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فقدّم اعتزالهم على اعتزال ما يدعون. وقولـه: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ وقولـه:﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فعليك بهذه النكتة فإنها تفتح لك باباً إلى عـداوة أعداء الله. فكم من إنسان لا يقع منه الشرك ولكنه لا يعادي أهله فلا يكون مسلماً).

قال الشيخ عبداللطيف: "والمرء قد ينجو من الشرك ويحب التوحيـد، ولكنـه يأتيه الخلل من جهـة عـدم الـبراءة مـن أهـل الـشرك وتـرك مـوالاة أهـل التوحيـد ونصرتهم " الدرر ٨/ ٦٨١.

تنبيه : ما قلناه في الولاء المشروع ينسحب لضده وهو الولاء الممنوع .

فتولي الكفار كفر سواء كان لدينهم أو لهم أنفسهم دون قصد دينهم.

(٩١) الولاء قسمان للدين والدنيا :

أولاً : فالولاء والبراء للدين من مقتضى التوحيد .

وضده من الكفر كمن يوالى الكفار لأجل دينهم ومحبة ورغبة في ملتهم .

ثانياً: الولاء في الدنيا له طريقان :

الأول : موالاة لأجل الدنيا كالحب والمناصرة لأجل مصالح الدنيا، وهذا منه ما هو كفر أكبر : كمن يوالي الكفار ويناصرهم على المسلمين لأجل مصالحه الشخصية الدنيوية، وهذا كفرٌ مخرج من الإسلام وهي المقصودة إذا أطلق الولاء.

ومنها موالاة دنيوية صغرى وهي معصية لا تصل للكفر كمن يصاحبهم ويصادقهم ويداهنهم لأجل دنياهم ورغبة فيما بأيديهم .

الثاني : موالاة الدنيا نفسها بحبها وعبادتها . كما جاء في الحديث (إذا أعطي منها رضي وإن منع سخط) رواه البخاري، وهذا الحب للدنيا والعداوة من أجلها يتعلق بها مسائل من الحرمة والكراهة وقد يصل للكفر.

(٩٢) الموالاة منها ما له ضد ومنها ما ليس له ضد :

المسألة لها معنيان:

١- أن بعض صور الموالاة يوجد لها ضد كالمحبة ضدها البغض والمناصرة ضدها المعاداة وموافقتهم ضد مخالفتهم، وبعض الصور قد لا يوجد لها ضد .

٢- أن بعض صور موالاة الكفار فيها معاداة للمؤمنين .

ومثال الموالاة التي قد يقال ليس لها ضد التشبه بهم أو مصاحبتهم أو مصادقة بعض الكفار فلا يشترط أن يكون لها ضد أو فيها معاداة للمسلمين .

ولكن أكثر صور الموالاة يوجد معها معاداة ولو من باب اللزوم فالتشبه بالكفار يستلزم موافقتهم وترك مخالفتهم ومخالفة المسلمين ، والإقامة مع الكفار وموافقتهم يستلزم مخالفة المسلمين وعدم الإقامة معهم، وتصديرهم وتقديمهم فيه إبعاد للمسلمين وفيه أثر سلبي على المسلمين من ناحية إضعافهم وتهوين عزائمهم وتأييد الكفار ورفع معنوياتهم وتثبيتهم، وإذا كان المرجف والمخذل في القتال يجب إبعاده من الجيش فكيف بمن يوافق الكفار ويتشبه بهم .

والموالاة التي فيها معاداة صريحة للمسلمين أو تستلزم المعاداة أو إظهار المعاداة أشد كفراً من وجود موالاة مجردة عن وجود ضدها من المعاداة .

(٩٣) فائدة : هل يمكن أن يوجد من المرء موالاة للكفار مجردة عن معاداة المؤمنين أو لابد من وجود المعاداة مع كل صورة للموالاة ؟

والجواب على ما سبق بيانه أن الأصل أن كل موالاة للكفار فيها معاداة للمسلمين ولو بطريق الاقتضاء واللزوم.

الفصل العاشر : أهل الولاء والبراء المشروعَين والممنوعَين

(٩٤) الولاء والبراء المشروع والممنوع :

أولاً: الولاء المشروع : وهو موالاة الله ﷻ ورسوله ودينه وأهل دينه المؤمنين.

ثانياً: الولاء الممنوع : وهو موالاة أعداء الله ﷻ من الكفار .

ثالثا : البراءة المشروع: وهو معاداة أعداء الله المشركين .

رابعا : البراء الممنوع : هو البراءة من المؤمنين .

والمشروع ينقسم إلى أربع رجات: ركن في الدين لا يصلح إيمان المسلم إلا به، وواجب يأثم تاركه ولا يكفر، ومستحب يختلف الناس في تحقيق كماله، ومباح.

والممنوع : منه ما هو مكفر ناقض للإيمان ، ومنه ما هو محرم لا يكفر بفعله وهو ما يسمى بالموالاة الصغرى .

(٩٥) أقسام الناس في الموالاة:

القسم الأول : حزب الله : وهم أولياء الله .

الثاني : حزب الشيطان والطاغوت ، وهم أعداء الله ومن يتول أعداء الله .

والناس فريقان وحزبان لا ثالث لهما ، أولياء الله المؤمنون به ، وأعداء الله الكافرون به ، والذي يوالي أعداء الله من المسلمين يصير بموالاته هذه عدوا لله خارجا عن أوليائه مرتدا بذلك عن دينه .

فيدخل الشخص في أولياء الله بالتوحيد وبموالاة أهله .

ويدخل في أعداء الله وأولياء الشيطان بالشرك أو موالاة أهله .

قال الأهدل في رسالته السيف البتار على من يوالي الكفار : (فالناس قسمان : الذين آمنوا وليهم الله تعالى لا غيره، فليس لهم مولى دون الله ورسوله، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت، فمن اتخذ الطاغوت ولياً من دون الله ، فقد خسر خسراناً مبيناً، فليس إلا ولي الله وولي الطاغوت، فلا شركة بوجه من الوجوه ألبتة ، وقد حكم الله ألا نتولى الكفار بوجه قط، فمن خالف لما يحكم، فأنى يكون له إيمانٌ ، وقد نفى الله إيمانه ، وأكد النهي بأبلغ الوجوه والإقسام على ذلك).

وجعل الله ﷻ شرط الدخول في ولاية الله موالاة الله ومعاداة أعدائه .

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ المائدة: ٥٦

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ المجادلة: ٢٢

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ المجادلة: ١٩

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ فاطر: ٦

﴿ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ النمل: ٤٥

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ البقرة: ٢٥٧

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ النساء: ٧٦.

(٩٦) ضابط الموالاة والمعاداة المحرمة الممنوعة:

هي موالاة أهل المعاداة ومعاداة أهل الموالاة .

فالولاء لا يكون إلا لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ المائدة: ٥٥ .

(٩٧) كيفية تحقيق الولاء المشروع والبراء المشروع :

الولاء للمؤمنين يكون : بمحبتهم ، ونصرتهم ، وموالاتهم ، والنصح لهم ، والرفق والرحمة بهم، وغير ذلك من مقتضيات الولاية.

والبراءة من الكفار: ببغضهم، ومعاداتهم، ومخالفتهم، ومفارقتهم، وعدم طاعتهم، والركون إليهم، وموافقتهم، والتشبه بهم، ونحوها من مقتضيات العداوة .

(٩٨) أهل الولاء (الولاء المشروع) :

أهل الولاء الذين يجب على المسلم موالاتهم ومناصرتهم ومحبتهم :

١- ربنا المولى الحق ﷻ الذي استحق العبادة والولاية دونما سواه .

٢- الرسول ﷺ محبته ونصرته والدفاع عنه وتصديقه وطاعته واتباعه.

٣- الدين وكلمة التوحيد يحبها المسلم وينصرها ويوالي فيها ويعادي.

٤- القرآن بمحبته ونصرته والإيمان به تصديقاً وعملاً والكفر بكل ما خالفه.

٥- ملائكة الرحمن ، ومن أبغض أحد الملائكة فهو كافر عدو لله، ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ٩٨ .

٦- أولياء الله المؤمنون أهل الدين والتوحيد بالمحبة والنصرة والذلة لهم .

(٩٩) تنبيه : الولاية التي للرسول ﷺ والمؤمنين هي من ولاية الله وتوليه .

(١٠٠) صفات أولياء الله وشروط الولاية .

لتحصيل ولاية الله يشترط توفر أمرين: الإيمان والتقوى .

وعلى قدر نقصهما تقص الولايـة: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ يونس: ٦٢ - ٦٣ .

(١٠١) أهل البراء المشروع والولاء الممنوع:

١- الكفار عموما من يهود ونصارى ومجوس وهندوس ورافضة وقبورية وغيرهم لا يجوز موالاتهم ومن خصص اليهود أو النصارى بولاء خاص أو طائفة كافرة بالولاء فهو كافر مرتد مكذب لله ورسوله كافر بلا إله إلا الله .

٢- أهل الكتاب اليهود والنصارى وخصصتهم ، لشدة عداوتهم ولكثرة المتشبهين بهم، وكثرة مناصريهم كما هو المشاهد في وقتنا بزعم أنهم يتفقون معنا أو بحجة أنهم أصحاب كتاب ودين سماوي .ولخطورة موالاتهم وكثرة الموالين لهم نهانا الله ﷻ عن موالاتهم بقوله :﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ المائدة: ٥١.

٣- المرتدون عن دين الله أفراداً أو جماعات .

٤- المنافقون والزنادقة كالعلمانيين والليبراليين والدمقراطيين والمستغربين والوطنيين ودعاة الإنسانية وغيرهم ، وهؤلاء قد يخفى على الناس حالهم فيوالونهم لذا وجب بيان حالهم والدعوة للبراءة منهم .

وكيفية البراءة منهم وردت في القرآن بجهادهم والغلظة عليهم وقتل من أظهر نفاقه وعلمت ردته وفضحهم وعدم قبول اعتذارهم وعدم الصلاة عليهم والإستغفار والإعراض عنهم إن كان الإسلام في حال ضعف وعدم موالاتهم.

٥- الحاكمون بغير ما أنزل الله والحكام المبدلون شرع الله وخصصتهم بالذكر لكثرة الشبهة حولهم وكثرة من يتولاهم لدفاع المنصب والشهوة والمال أو الخوف.

٦- المفسدون في الأرض ومن يصد عن سبيل الله ويحارب دينه .

٧- الدين الباطل.

٨- الطاغوت أياً كان بلداً أو قوماً أو قانوناً أو منظمة أو محكمة وضعية .

٩- أولياء الطاغوت وجنوده .

١٠- السحرة .

١١- الفسقة والظلمة والعصاة وهؤلاء يتبعض الولاء في حقهم.

١٢- إبليس لعنه الله والشياطين.

١٣- كل من يبغضه الله تعالى ممن ثبت فيهم النص. وقد ثبت أن الله يبغض الكفار والفاحش البذيء والألد الخصم والإمام الجائر.

١٤- كل من يحارب الجهاد ويصد عن سبيل الله .

الضابط في أهل الولاء غير المشروع :صرف الولاء لأعداء الله .

كما أن هنالك أهلاً للموالاة فهناك من ليس أهلاً للولاء بل هو من أهل البراءة والعداوة والولاء له غير مشروع .

(١٠٢) أعداء الله قسمان :

أصليون ومتولون لأعداء الله مرتدون بموالاتهم.

فمن والى أعداء الله فهو من أعداء الله ، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ . وتجب معاداة وتكفير أصحاب القسمين على حد سواء .

قال الطبري في تفسيره:(من تولاهم ونصرهم فهو من أهل دينهم وملتهم).

قال ابن بطة في الإبانة: (وتبغض في الله من عصاه ووالى أعداءه).

قال ابن حزم في المحلى في متولي الكفار: (كافر من جملة الكفار).

(١٠٣) الولاء والبراء مع العصاة الفسقة :

الولاء في حق الفاسق ناقص ليس بالكامل ، وأيضاً متبعض غير مطلق، فيأخذ بعض الولاء مع بعض العداء والبراء .

فنواليه موالاة ناقصة على قدر طاعته ونعاديه على قدر فسقه وجوره فالولاء في حقه ليس كاملاً بل ناقص ولا نصرف له ولاءنا كله ، فلا نواليه مطلقاً ولا نعاديه مطلقا بل نوالي فيه إيمانه وطاعته ونبغض فيه معصيته .

ومن صور البراءة منهم: ١- هجرهم ٢- تعزيرهم ٣- إقامة الحدود.

(١٠٤) موالاة المرتدين :

لا يختلف الحكم في كفر الموالي إن صرف ولاءه للكفار الأصليين أو المرتدين إن علم بردتهم فالحكم سواء ، فمن والى المرتدين فيعتبر مرتداً مثلهم، ولو لم يحكم الموالي بردتهم إذا علم بوقوع الكفر منهم أو كانت ردتهم ظاهرة، وقد ظن البعض أنه يجوز إظهار الموالاة للمرتدين ويعذر بعدم معاداتهم، وأن الذي أمر الله به هو معاداة الكفار الأصليين، وهذا من الجهل بحقيقة الدين ، ومن رأى كتاب الدلائل للشيخ سليمان وسبيل النجاة للشيخ حمد، يجدها أُلفت في بيان كفر من يوالي المرتدين .

(١٠٥) الولاء والبراء في الأشخاص :

من البدع المنكرة التي ابتلي بها أكثر المتأخرين وقل من يسلم منها عقد الولاء والبراء في شخص معين يوالي فيه ويُعادي تعصبا له فتراه يعادي من يعاديه بل ومن يخالفه ولا يقلده ولا يتبعه ، وهذا من الغلو والتقليد المذموم الذي يدخل صاحبه في عبادة الأحبار والرهبان واتخاذهم أربابا من دون الله .

الفصل الحادي عشر

مقتضيات وأسباب ودوافع ومبررات ونواقض الولاء والبراء

(١٠٦) نواقض عقيدة الولاء والبراء ومبطلاته :

١- حب الكفار وهذا كفر حتى لو وجد معه حب للمؤمنين .

٢- عدم بغض الكفار حتى ولو لم يحبهم .

٣- بغض المؤمنين .

٤- عدم محبة المسلمين حتى ولو لم يبغضهم .

٥- موالاة الكفار .

٦- ترك معاداة الكفار ولو لم يواليهم إن تصورنا ذلك .

٧- مناصرة الكفار عموما ومظاهرتهم على المسلمين خصوصا.

٨- معاداة المسلمين ومحاربتهم وفتنتهم وصدهم عن سبيل الله والجهاد.

٩- ترك موالاة المؤمنين مطلقاً وخذلانهم وترك مناصرتهم ولو لم يعاديهم .

فمن لم يوال المؤمنين بالكلية أو عاداهم فليس بمسلم ، أما من قصّر في موالاتهم ونصرتهم فخذلهم فهو على خطر وشعبة من النفاق ولكن لا يكفّر .

(١٠٧) ضابط النواقض : يعود إما لتخلف ركن أو وجود ناقض .

فنقض باب الولاء والبراء متعلق بالبغض والعداوة والحب والنصرة، إما بفعلها لمن لا يستحقها وإما بتركها عمن يستحقها وعدم فعلها معه ، ومن وقع في شيء من ذلك لا يعد محققا للولاء والبراء الواجب عليه.

(١٠٨) طرق معاداة الحق وأهله :

تكون بأحد طريقين :

إما بترك معاداة الباطل ، وإما بترك موالاة الحق ومناصرته .

(١٠٩) الدخول في أولياء الله وحزب الله يتطلب شرطين :

يشترط في دخول الإسلام وحزب الله وفي أهل لا إله إلا الله شرطان :

الأول : موالاة أولياء الله ومحبة أهل لا إله إلا الله ونصرتهم .

الثاني : معاداة أعدائها ومخالفيها وبغضهم .

وبتخلف أحد الشرطين يصير المرء من أعداء الله داخلاً في حزب الشيطان .

فموالاة الشيطان تتحقق بزوال الشرطين أو أحدهما :

١- بغض المؤمنين وعدم محبتهم ، أو معاداة المؤمنين وعدم موالاتهم .

٢- محبة الكافرين وعدم بغضهم ، أو مناصرة الكافرين وعدم موالاتهم .

(١١٠) أصناف حزب الشيطان وطرقهم:

١- من يبغض الله ورسوله والمؤمنين ولا يحبهم .

٢- من يحب أعداء الله من الكافرين ولا يبغضهم .

٣- من يوالي الكفار ويترك معاداتهم .

٤- من يعادي المؤمنين ويترك موالاتهم ومناصرتهم .

٥- من يظاهر الكافرين ويناصرهم على المسلمين.

(١١١) درجات الولاء والبراء وكونه أصلاً وواجباً وكمالاً :

الأولى : درجة الأصل ، وهذه من نقضها خرج من الملة .

مثال درجة الأصل :

١- في الولاء : محبة المؤمنين وتوليهم .

وهو من شروط كلمة التوحيد (محبتها ومحبة أهلها) .

٢- في البراء والمعاداة : بغض أعداء الله الكفار ومعاداتهم .

فمن ترك هذه الأصول فأبغض المؤمنين أو أحب الكفار عموم الكفار أو قام بتولي الكافرين ومظاهرتهم خرج الإيمان من قلبه وكفر .

الثانية: درجة الكمال :

وهذه من نقصت عنده فإنه لا يخرج من الملة وإيمانه لا يزول وإنما ينقص .

ودرجة الكمال على مرتبتين : وجوب يأثم تاركه ومستحب لا يأثم تاركه .

مثال درجة الكمال في الولاء والبراء :

١- في الولاء : حبك لأخيك ما تحبه لنفسك فهذا من كمال الموالاة والإيمان .

قال النبي ﷺ : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " رواه البخاري ، أي لا يؤمن الإيمان المطلق الكامل حتى تكتمل في قلبه الموالاة .

٢- مثال درجة الكمال في المعاداة والبراء :

تضييق الطريق على الكفار وعدم السلام عليهم وأن نبدأهم به .

ومما يقدح في الكمال حب الكافر لدنياه أو قرابته أو القيام له.

فمن ترك هذا الفعل، لم يأت بكمال المعاداة فينقص إيمانه ولكن لا يكفر .

(١١٢) مراتب الموالاة والمعاداة:

درجات الموالاة والمعاداة منها أصل وركن وواجب ومستحب وكفر ومعصية ومكروه، وهذه الدرجات متعلقة بمولاة المؤمنين ومعاداة الكفار .

١- فمنها ما هو ركن يكفر تاركه .

٢- ومنها ما هو كفر وناقض يكفر فاعله .

٣- ومنها ما هو واجب يأثم تاركه لكن لا يكفر .

٤- ومنها ما هو محرم يأثم فاعله لكن لا يكفر .

٥- ومنها ما هو مستحب ينبغي الإتيان به ولا يأثم تاركه .

٦- ومنه ما هو مكروه ينبغي تركه والبعد عنه لكن لا يأثم فاعله.

قال الشيخ عبداللطيف:(مسمى الموالاة يقع على شعب متفاوتة منها ما يوجب الردة وذهاب الإسلام بالكلية ومنها ما هو دون ذلك) الدرر ٨/ ٤٣٢ .

(١١٣) حقوق الموالاة في الله وطرق الولاء :

المحبة والنصرة والإعانة . قضاء الحاجات للإخوان على قدر المستطاع . البشاشة وإدخال السرور عليهم . السكوت عن عيب إخوانه وذكر مثالبهم وتتبع عثراتهم وسقطاتهم . إحسان الظن بالإخوان وعدم سوء الظن بهم. الدفاع عن عرض المؤمن من قدح وذم المعتدين . عدم سبهم وشتمهم خصوصاً من أجل الدفاع عن الكافرين . العفو عن هفوة الأخ والكف عن عثراته . دوام المحبة والمودة وإظهار ذلك . الدعاء للمؤمنين بالخير والنصر . النصح للمسلمين . تمني الخير لهم. زيارة المريض واتباع الجنازة وإجابة دعوته . وغيرها من الحقوق الواجبة .

(١١٤) مقتضيات الولاء والبراء :

١- محبة أولياء الله وبغض أعداء الله من المشركين الكافرين .

٢- مناصرة أولياء الله وموافقتهم وإعانتهم في كل شيء .

٣- معاداة أعداء الله ومنابذتهم ومخالفتهم والبراء منهم وإظهار المعادة وعدم الركون إليهم وإتباعهم وموافقتهم ومشابهتهم .

٤- الهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وعدم الإقامة معهم .

٥- جهاد أعداء الدين، والجهاد من أعظم لوازم الولاء والبراء، فيجب مناصرة المسلمين والقتال معهم والدفع عنهم ونصرتهم وجهاد الكفار وقتالهم .

٦- عدم التشبه بأعداء الله ولو في المباحات .

٧- ترك كل ما يخل بالبراءة من الكفار .

٨- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله .

٩- تبديع المبتدع وهجره هو والفاسق .

١٠- الإقامة مع المؤمنين وعدم مجامعة الكفار ومساكنتهم ومعاشرتهم .

(١١٥) أسباب تحقيق الموالاة في الله :

١- الإيمان بالله وتدبر كتابه والنظر في الآيات المتعلقة بالولاء والبراء وقراءة كلام السلف فيها وليحذر أن يصغي لكلام الخلف من أهل الأرجاء والذلة فقد شوهوا الدين وحرفوا مراد الله وكذبوا عليه .

٢- تجنب الخلاف بين المسلمين لأنه يورث العداوة .

٣- صحبة أهل الخير والمعرفة بالله .

٤- سلامة الصدر من الغش والحقد والضغينة والحسد والخيانة للمسلمين.

٥- الفرح بحسن حال المسلمين .

٦- حفظ السر للأخ المسلم .

٧- المواساة للإخوان بالمال وإيثارهم.

٨- الاحتراز من سوء الظن بالمسلم .

٩- إرضاء المسلم أخيه والتودد له.

١٠- قضاء حاجاته .

١١- القيام بحقوقه ، وغير ذلك.

(١١٦) أسباب تحقيق المعاداة في الله :

١- استشعار عداوة الكفار لنا وعدم رضاهم عنا إلا إذا تركنا ديننا .

٢- معصية الكفار فيما أمروا وعدم طاعتهم .

٣- عدم الركون إلى الكفار والظالمين .

٤- ترك موالاة الكافرين والبشاشة لهم وإكرامهم .

٥- إرغام الكفار وعدم إكرامهم بل احتقارهم وإهانتهم وإصغارهم .

٦- عدم التشبه بهم وعدم موافقتهم بل تقصد مخالفتهم .

٧- ترك إتباع أهواء الكفار أو تحقيق رغباتهم ، (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) .

٨- عدم الإقامة مع الكفار في ديارهم أو مجامعتهم ومساكنتهم.

٩- ترك معاشرتهم ومجالستهم ومؤاكلتهم ومؤانستهم ومباطنتهم.

(١١٧) كيف يُربّى الناس على الولاء والبراء :

١- تعليم الناس معنى (لا إله إلا الله) وأنها قول وعمل وانقياد، وأنها متضمنة للبراءة من الكفار وعداوتهم والكفر بالطواغيت، وأن الشهادتين لا تقبل إلا بذلك وزرع ذلك في الناشئة والأبناء، فكما يعلمون الوضوء والصلاة يعلمون بغض الكفر وأهله وتجنبهم وإظهار معاداتهم والبراءة منهم، لا أن يمنعون من تعلم هذه المسائل.

٢- تعريف الناس بمعنى الإسلام والعبادة ، وأنها ليست مجرد الطهارة والصلاة بل يدخل فيها التعامل والاقتصاد والكفر بالطاغوت .

٣- محاربة كل ما فيه موالاة للكفار وسد الذرائع والوسائل المفضية لموالاة الكفار، والإنكار العلني لها وتحذير الأمة منها وممن يروجها .

٤- تكفير من يتولى الكافرين وتحذير المسلمين منه ومن موالاته والاحتساب على دعاة التقريب والموالاة مع الكفار والإنكار عليهم .

٥- تقوية الروابط الإيمانية بين المسلمين .

٦- إظهار عورات الكفرة وأنهم يسعون في إزالة دين الله وتبيين كفرهم بالله ومحادتهم له وبغضهم لرسوله ولدينه وحربهم للمسلمين .

٧- تحذير أهل الإسلام من موالاة الكفار وأنهم متى ما تركوا معاداة الكفار وتكفيرهم وبغضهم والكفر بالطاغوت صاروا بذلك مرتدين والعياذ بالله .

٨- كشف الشعارات الزائفة التي ينادي بها أعداء الله من المنافقين والكفار والتي الهدف منها إذابة وتمييع الولاء والبراء كالحرية والوسطية والتعددية وقبول الرأي الآخر وحقوق الإنسان والتعايش والتسامح والحوار والإنسانية والوطنية.

(١١٨) : وجوب تعليم الناشئة الولاء والبراء :

وينبغي غرس محبة المسلمين في قلوبهم وغرس كره الكفار وبغضهم وتعليمهم أصول ذلك وتبيينه لهم ، فيعلمونهم إياه كما يعلمون الصلاة والوضوء لاأن يترك تعليمه أو يحذف من الكتب.

قال محمد بن عبد الوهاب : (فرض معرفة شهادة أن لا إله إلا الله قبل فرض الصلاة، فيجب أن يبحث عن معنى ذلك أعظم من وجوب بحثه عن الصلاة ، وتحريم الشرك والإيمان بالطاغوت أعظم من تحريم نكاح الأمهات) الدرر٢/ ١٢١.

(١١٩) وجوب الإنكار على من يتولى الكفار وبيان خطورة عمله والتحذير منه وتكفيره والاحتساب عليه وبيان ذلك للناس ليحذروا منه ومن فعله .

(١٢٠) وجوب تجريد الولاء والبراء من حضوض النفس:

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ التوبة: ٢٤.

قال ابن عباس: (من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه

حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئا). رواه ابن جرير وابن المبارك في الزهد موقوفا .

وقد صارت الموالاة والمعاداة والحب والبغض بين الناس لأسباب دنيوية كثيرة ، كالقرابة والقوم والوطن والمال والتجارة والوظيفة والمنصب والمصالح الدنيوية والخوف من ضياعها وخشية الدوائر والخوف من الكفار وطلب العزة.

وأعظمها منزلة ما كان الولاء والبراء فيه لله ولرسوله ودينه وأهل دينه كما في الحديث : (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله).

قال ابن تيمية : (من أحب إنساناً لكونه يعطيه فما أحب إلا العطاء ولو ادّعى أنه لله فهو كاذب) . الفتاوى ١٠/ ٦٠٩ .

وإن أي موالاة ومحبة ليست لله تتحول إلى عداوة، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ ﴾ العنكبوت: ٢٥.

وقال تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ الزخرف: ٦٧ .

قال ابن تيمية : (والناس إذا تعاونوا على الإثم والعدوان أبغض بعضهم بعضاً وإن كانوا فعلوه بتراضيهم ، قال طاووس : ما اجتمع رجلان على غير ذات الله إلا تفرقا عن تقال وبغض . وقال الخليل: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ﴾ وهؤلاء لم يحصل لهم هذه العداوة بمجرد المعصية بل لأجل المشاركة والمعاونة على الضرر) . ١٥/ ١٢٨ .

(١٢١) مفاسد وأضرار وعقوبات موالاة الكفار :

أولها : الردة عن الدين والعقاب الأخروي والخلود في النار.

ثانيها : ظهور شعائر الكفر والشرك والاستخفاف بالمعاصي .

لأن الموالاة لقوم فيه نشر لباطلهم وهذا إفساد عظيم .

ثالثاً : الإفساد في الأرض وعدم الإصلاح .

رابعاً : الركون للعدو بالميل والمحبة والمودة .

خامساً : الرضا بحكم المشركين وأفعالهم وطاعتهم والحكم بغير ما أنزل الله.

سادساً : الدخول تحت قهر الكفار وغلبتهم .

سابعاً : نبذ العزة الإسلامية وعدم تمايز المسلمين عن الكفار .

ثامناً : مفارقة جماعة المسلمين وتفريق كلمتهم وإضعافهم.

تاسعاً : إذلال المسلمين والدلالة على عوراتهم ومحاربة أولياء الله.

عاشراً : عدم الحب والبغض في الله والتي هي أوثق عرى الإيمان .

الحادي عشر : ترك معاداة الكفار التي لا يصح الدين إلا بها .

الثاني عشر : ترك موالاة المؤمنين ومناصرتهم كما فرض الله تعالى.

الثالث عشر : إعانة الكفار وتقويتهم وتكثير سوادهم وإقرارهم على كفرهم .

الرابع عشر : حصول الفتنة في الدين وظهورها.

وغيرها من المفاسد التي لا تحصى التي نصت عليها الآية ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ الأنفال: ٧٣ ، وذكرها الله لنا ليزجرنا ويجعلنا نحذر هذا الفعل المشين الواقع فيه كثير من المرتدين والمنافقين .

(١٢٢) عوامل ضعف الولاء والبراء وأسباب موالاة الكفار:

١- محبة الكفار وكره المسلمين. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ﴾ الحشر: ١١ ﴿ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ آل عمران: ١١٩

٢- تقديم ولاء القرابة في النسب والدار والجنس والأهل والولد، فيقول: كيف لا أوالي أقاربي بل وأعاديهم من أجل الدين ويجعل رابط القرابة وولايتها مقدمة على الولاية الدينية فبهذا يبطل الدين في قلبه، لأن الدين يستلزم محبة أهل دينه وبغض عدو الدين ولو كان أقرب قريب، وإن داعي الحمية القومية والوطنية والقبلية من أعظم الصوارف التي ردت الكثير عن دين الله وبسببها امتنعوا عن معاداة المشركين ولم يستطيعوا مخالفة قومهم والبراءة منهم فآثروا الكفر على الإيمان.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ التوبة: ٢٤.

وقال: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ المجادلة: ٢٢.

فتأمل كيف نهى الله عباده عن تقديم هذه الرغبات (القرابة من الوالدين والأبناء والزوجات والعشيرة والمال والتجارة والوظيفة والمنصب والسكن والوطن والراحة) على الدين والجهاد والولاء والبراء.

٣- طلب المصالح الدنيوية والحرص عليها والخوف من ضياعها، واستحباب الحياة الدنيا وتقديمها على الآخرة، والميل إلى الشهوات من المال والمنصب، كما منع هرقل الدخول في الإسلام والبراءة من قومه خوفه على ملكه.

٤- طلب العزة من الكفار كما قال تعالى عنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ النساء: ١٣٩.

٥- الخوف من الكفار والخشية من الدوائر، وهذه علة أهل النفاق في كل زمان كما أخبر ﷻ عنهم، فمن لم يكن مكرها وإنما خاف على مصالحه وأمواله وخشي من قتالهم كما هو حال أكثر الذين يوالون الكفار ويدعون الإكراه فإن هذا كفر وردة وليس عذرهم بمقبول كما نصت الآيات: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ المائدة: ٥٢.

٦- الدخول في الأحزاب والمذاهب والانتماءات والعصبيات والدعوات الجاهلية التي تفرق المسلمين وتفسد عقيدة الولاء والبراء وأخبثها الوطنية ومن فروعها وجود الحدود الإقليمية السياسية لبلاد المسلمين.

٧- الجهل بالدين، وكم هم أولئك الذين يدخلون في الإسلام وقومهم وأهل بلدهم على الكفر ومع ذلك لا يظهر مخالفتهم والبراءة منهم بل يوافقهم وينـاصرهم ولو على المسلمين حمية لهم ويحبهم لقرابتهم منه جهلا منه أن فعله ذلك يعتبر كفراً يناقض الإسلام ومع هذا كله لا نعتبره معذوراً فلا يصح الانتماء لحزب الله والدخول في دينه إلا بموالاته ومعاداة أعداءه.

وإن من أسباب جهلهم أن كثيراً من الدعاة إلى الإسلام عندهم لا يعلمون حقيقة الإسلام ولا يؤمنون بعقيدة الولاء والبراء ويظنون أن المهم بغض الكفر وتركه وليس شرطا أن يعادي الكفار بل قد ينهون عنه وهذه العقيدة الإرجائية يعد صاحبها ممن تلبس بنواقض الإسلام ووقع في الردة .

٨- التأويل الفاسد فقد يوالي أعداء الله المرتدين وغيرهم ولا يعلم أنهم كفار كمن يوالي الحكام المشركين ويفتتن بهم ويقاتل معهم ضد المسلمين مدعياً التأويل وهذا التأويل ليس عذراً في ارتكاب النواقض لأنه يلزمه السؤال عن دينه الحق كما يسأل عن دنياه ولنعلم أنه ليس كل الكفار عالمين معاندين مكذبين بل كثير منهم من الجاهلين المتأولين .

٩- كثرة أهل السوء والضلال من علماء السوء والمرجئة الخبيثة الذين يهونون من موالاة الكفار ويخرجون معاداة الكفار من أصل التوحيد.

وإني لأعجب من أحد الدعاة المشهورين ممن يتبنى الدعوة إلى الإسلام، وأسلم على يديه الآلاف، وهو يقول عن نفسه لا ينبغي المصادمة مع الغير والاختلاف مع الآخرين، ويقول أيضاً عنه دكتور في قسم العقيدة في محاضرة له وهو يترجم لهذا الداعية بعد موته ويذكر مناقبه التي منها ماذكره ويؤكد كلامه السابق، (كان لا يؤمن بالصدام مع الغير والاختلاف مع الآخرين) ، ويقصد معاداة الكفار ومن شدة عدم إيمانه بالمصادمة أنه سمى الكافر بالغير والآخر ، فأي دين يدعو إليه هذا الداعية وأي عقيدة يدرّسها هذا الدكتور المترجم لهذا الداعية .

١٠- قلة الإيمان وضعف اليقين والإعراض عن الدين.

١١- ترك الجهاد الذي فيه العزة والتمكين وتحقيق الولاء والبراء .

١٢- مخالفة الجماعة وإتباع غير سبيل المؤمنين الموحدين المجاهدين .

١٣- مساكنة الكفار والإقامة في ديار الكفار وعدم الهجرة منها.

قال حمود التويجري في التحفة: (إذا علم تحريم موالاة أعداء الله تعالى وموادتهم ، فليعلم أيضا أن الأسباب الجالبة لموالاتهم وموادتهم كثيرة جدا ، ومن أقربها وسيلة مساكنتهم في الديار ، ولاسيما في ديارهم الخاصة بهم ، ومخالطتهم في الأعمال ومجالستهم في المجالس ومصاحبتهم وزيارتهم واستزارتهم وتولي أعمالهم وتوليتهم في أعمال المسلمين والتزيي بزيِّهم والتأدب بآدابهم وتعظيمهم بالقول أو بالفعل . وكثير من المسلمين واقعون في كثير من هذه الأفعال الذميمة) .

هذه أهم الأسباب والعوامل التي لأجلها والى كثير من المسلمين الكفار ويعتذرون بأعذار كاذبة ويبررون أفعالهم بمبررات واهية لا تسوغ الموالاة ، وهي لا تنفي حكم الردة على من تلبس بموالاة الكفار ولا يغير الحكم وجودها أو عدمها، فتنبه لضلال ما يقذفه ضلال الزمان ومرجئة العصر ممن مرغ عقيدة الولاء والبراء في التراب نزولاً عند شهوات أسياده الكفرة وأوليائهم والله المستعان .

(١٢٣) الآثار المترتبة على موالاة الكفار :

يترتب على الموالاة ما يترتب على أي عمل كفري: من الردة والتكفير واستباحة الدم والمال والبراءة والعداوة والقتال وذهاب الولاية وغير ذلك .

قال حمد بن عتيق:" قد دل القرآن والسنة على أن المسلم إذا حصلت منه موالاة أهل الشرك والانقياد لهم ارتد بذلك عن دينه " الدرر ٩/ ٢٦٣ .

ومن آثارها كفر زوجة المتولي إن لم تتبرأ من زوجها مع علمها بتوليه للكفار كما قتل ابن الزبير المرأة التي تولت زوجها ولم تكفره لما قتل بعد أن ادعى النبوة.

ومن آثارها سقوط بيعة الإمام إذا حصلت منه الموالاة للكفار.

قال الجلعود: (ومن العقوبات المترتبة على موالاة الكفار أنه إذا كان الموالي للكفار حاكماً فإن موالاته للكفار هذه إما أن تكون موالاة كفر وردة عن الإسلام وفي هذه الحالة تسقط البيعة للحاكم والحكومة بنص القرآن وإجماع الأمة، قال تعالى :﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ النساء: ١٤١) المولاة والمعاداة ٨٩٢ .

(١٢٤) أشكال عداوة الكفار وطرق البراءة منهم :

١- الجهاد وقتل كل طاغوت وهذا أعظم مقتضيات البراءة من الكفار ومعاداتهم وأهم معاني الكفر بالطاغوت وما شرع الجهاد إلا لهذا الأصل كما قال ربنا تعالى ﷻ : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ الأنفال: ٣٩، والفتنة الشرك والكفر .

وقال تعالى : ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٢٩ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ التوبة: ١٢٣ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ النساء: ٧٦ ﴿ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ التوبة: ١٢، وأئمة الكفر هم الطواغيت.

وليس في الجهاد وقتال الكفار ظلم لهم إذ أن قتال الكفار بعد دعوتهم للإسلام فإن عاندوا وصدوا عن سبيل الله وشوهوا الإسلام عند أتباعهم ولم يلتزموا دفع الجزية فإن قتالهم متعين علينا والله أمرنا بذلك .

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالقتال والتحريض عليه : ﴿ فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ النساء: ٨٤.

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحج: ٤٠ ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ البقرة: ٢٥١

فانظر كيف أخبر الله تعالى فيما سبق من الآيات أن الجهاد فيه كف لشر الكافرين وإنهاء الطعن في الدين من أئمة الكفر وإيقاف صدهم عن الدين وحربهم لأهله وأن ترك دفع الباطل بالحق مسبب لتسلط الطواغيت وهدم التوحيد والأماكن التي يقام فيها من المساجد وغيرها وبهذا تفسد الأرض .

والله تعالى جعل ترك الجهاد من النفاق: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ آل عمران: ١٦٧، وقال رسوله ﷺ : (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبه من النفاق) رواه مسلم.

كما توعد الله ﷻ تارك الجهاد بالنار: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ التوبة: ٣٩.

٢- معاداة الكفار وبغضهم والتبرؤ منهم وممن يعبدونهم من دون الله :

قال تعالى حاكيا قول الخليل ﷺ لأبيه وقومه في إظهاره العداوة لهم وتبرئه منهم، والذي أمرنا الله تعالى بالاقتداء به وأخذه أسوة لنا: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ الزخرف: ٢٦ ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنبياء: ٦٧ ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الشعراء: ٧٧ ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ الممتحنة: ٤.

وقد نصت الآية على أصل الولاء والبراء ومعاداة الكفار من عدة أوجه :

ففي قوله :﴿ بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ ﴾.بيان لحقيقة البراء ، وأنه يقوم على ثلاثة أصول :

الأول: البغض لهم ، الثاني: إظهار العداوة لهم ، الثالث: تكفيرهم.

وفي قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ دلالة على الاجتماع على الحق والاتباع والتأسي والموافقة والتناصر والتحالف والموالاة فيما بينهم .

وتأمل قوله:﴿ وَبَدَا ﴾، الذي يفيد البدوّ وهو غاية الظهور والوضوح ، كما يفيد الابتداء فلا يدخل أحد الإسلام إلا مع البدء بمعادة الكفار وهذا لا يقبل التأخير.

وقوله ﴿ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ تدل على المفاعلة من الطرفين وأنها حاصلة من الجانبين، فلا بد من اجتماع الموالاة مع المعاداة .

ثم تأمل كيف جمع بين العداوة والبغضاء ﴿ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ ﴾، وقدم العداوة المتعلقة بالجوارح على البغضاء المتعلقة بالقلب، دليل على وجوب اجتماع الظاهر والباطن ، فلابد من إظهار العداوة والبراءة منهم ، خلافا لما ظنه كثير من الجهال أن باب البراء خاص بالبغض دون العداوة.

ثم تأمل تقديم البراءة من العابدين وشركهم قبل المعبودين في قوله﴿ بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ، فلا تكفي عداوة الكفار دون الطواغيت المعبودة والمتبعة والأسياد المطاعة وهي لا تكفي أيضاً دون عداوة أهلها ومتبعيها ، وكم من جاهل يظن أن البراء متعلق بالكفر دون فاعله وأن معاداة الكفار ليست مشروعة وإنما المشروع هو فقط بغض الكفر وتركه دون التعرض لأصحابه لأن الله سيتولاهم .

ثم تأمل قوله:﴿ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا ﴾ ، مما يدل على استمرار العداوة وأبديتها وأننا لا نقطع عداوتنا للكفار وتكفيرهم إلا إذا آمنوا وأقاموا التوحيد ، وجاء بحرف (حتى) مع أبدا ليؤكد الاستغراق التام وبقاء الفعل (العداوة) ما بقي سببه (الكفر).

ثم تأمل قوله:﴿ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ ، كيف أكد على التوحيد في كلمة وحده وأنه السبب الوحيد للتولي ،وأنه لا يكفي مجرد الإيمان بالله دون توحيد ودون الموالاة والمعاداة فيه فتأمل واعلم ثم اعمل. فالموالاة سببها الإيمان بالله وتوحيده .

واعلم يا أيها الموحد أن هذه هي ملة إبراهيم التي لا يرغب عنها إلا من سفه نفسه ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ البقرة: ١٣٠، وهذه هي الأسوة الحسنة التي أمرك ربك تعالى بالاقتداء بها.

٣- الهجرة من دار الطواغيت والكفرة وعدم الإقامة عندهم ولا السفر إليهم، وهجرهم ومجانبتهم واعتزالهم ومفارقتهم وعدم مخالطتهم.

قال تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ النساء: ٩٧﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ النساء: ٨٩﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ الأنفال: ٧٢.

٤- اعتزال الكفار واجتنابهم :

قال تعالى مبينا لهذا الأصل : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ مريم: ٤٨﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ ، قال أهل العلم فما وهبه الله لإبراهيم من النبيين الصالحين كان ببركة اعتزاله للكفار .

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾ الزمر: ١٧ ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ المدثر: ٥ ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦.

ومما يخالف هذا الأصل وينقضه الركون إليهم وطاعتهم والإقامة عندهم وعدم الهجرة والسفر إليهم ومدحهم والذب عنهم والدفاع عنهم.

٥- الكفر بالطاغوت وتكفير الكفار والمرتدين والمشركين .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ فلا بد من مخاطبتهم بصفة الكفر.

٦- تكسير وهدم الطواغيت المعبودة والمتبوعة والمطاعة وإزالتها وقد كسر الرسول ﷺ الأصنام، ولم يستبق طاغوتاً لا حياً ولا جماداً، فأمر بهدم الأصنام والطواغيت وقتل طواغيت الكفر وأئمته وأمر بهدم القباب وطمس الصور وإنزالها وقطع التمائم ، وكل هذه الأمور من لوازم الكفر بالطاغوت وهي أيضا مما يتضمنه .

٧- الإغلاظ عليهم وقتالهم:

قال تعالى مبينا لهذا الأصل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ التوبة: ١٢٣ ومن صور هذه الغلظة قتل المشركين بنص الآيات.

وقال تعالى مادحا أولياءه : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح: ٢٩.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ المائدة: ٥٤، وتأمل كيف جعل أهل الردة وموالين الكفار في مقابل أهل الجهاد والعزة على الكفار .

فالغلظة والشدة على الكفار مقصد من مقاصد الشريعة وباب من الدين.

٨- إغاظة الكفار :

قال تعالى مادحاً أصحاب الرسول ﷺ في شدتهم على الكفار وإغاظتهم وأن تحصيل ذلك مطلب شرعي: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ الفتح: ٢٩.

وجاء قوله: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ﴾ بعد: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ليؤكد معنى الشدة.

وقال تعالى: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ ﴾ الأحزاب: ٢٥ ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾ الشعراء: ٥٥ ﴿ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا ﴾ التوبة: ١٢٠.

والأصل وجود الغيظ والشدة بين أهل الكفر وأهل الإيمان، وهذا بخلاف حال أهل النفاق رحماء على الكفار أشداء على أهل الدين .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ التوبة: ٧٣ ، التحريم: ٩ ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ التوبة: ١٤-١٥.

ولا يزول الغيظ ولا يشف الصدر إلا بالقتال والجهاد.

قال ابن مسعود: جاهد الكفار والمنافقين، قال: بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وليلقه بوجه مكفهر عابس متغير من الغيظ والبغض.

٩- مخالفة الكفار وتقصده:

وهذا من مقاصد الشريعة قال ﷺ : (خالفوا المشركين) رواه البخاري.

ويضاد هذا المبدأ موافقتهم والتشبه بهم .

١٠- عصيانهم وعدم طاعتهم وعدم الاحتكام إليهم أو تحكيم قوانينهم .

١١- التحذير منهم ودعوة الناس إلى الكفر بها والإنكار عليهم.

١٢- إهانتهم وإصغارهم وعدم احترامهم أو توقيرهم أو تعظيمهم كما أمر الله ورسوله :

قال تعالى : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ التوبة: ٢٩ .

وقال النبي ﷺ : (لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي .

وروى أبو نعيم في الحلية عن علي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا تساووهم في المجلس وألجئوهم إلى أضيق الطرق فإن سبّوكم فاضربوهم وإن ضربوكم فاقتلوهم) . وفي رواية : (صغّروا بهم كما صغّر الله بهم) .

١٣- عدم موالاتهم أو موادتهم، أو الركون إليهم، أو التحالف معهم :

قال تعالى مبينا ذلك : ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ الكهف: ١٠٢ ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ آل عمران: ١١٨ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ المائدة: ٥١ ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النساء: ١٤٤ ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ ﴾ الممتحنة: ١ ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ هود: ١١٣ .

(١٢٥) عداء الكفار للمسلمين:

صرّح الله سبحانه بعداوة الكفار للمسلمين ، وأخبر سبحانه أنهم سيبقون على العداوة وصد الناس عن الدين الحق والتلبيس عليهم ومقاتلة المسلمين حتى يردوهم عن دينهم وأنهم لن يرضوا عن أهل الإسلام أبدا إلى قيام الساعة وأن عداوتهم لا تنقطع، وأنهم لا يزالون يقاتلونهم حتى يردوهم عن دينهم ، وأنهم لا يرضون إلا بدخول المسلمين في ملتهم، وأن جهود المنافقين المسارعين فيهم الذين يتولونهم ويحبونهم لن تبوء بغير الفشل ومع هذا كله فلا يزال بعض الجهال يشكك في هذه الثوابت . وإليك بعض النصوص المبينة لذلك .

قال تعالى: ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ الممتحنة: ٢ ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ البقرة: ١٠٩ ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ البقرة: ٢١٧ ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ البقرة: ١٢٠ ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ آل عمران: ١١٨ ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ النساء: ٨٩ ﴿ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ آل عمران: ١١٩ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٠٠ ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ النساء: ١٠٢ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ النساء: ٥١ ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ﴾ البقرة: ١٣٥ ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ البقرة: ١١١ ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾ الأنفال: ٤٩.

وأما من الواقع : فإن المتتبع للتاريخ القديم والحديث يجد أن عداوة الكفار يهود ونصارى وغيرهم لم تنقطع عن المسلمين، منذ بعثة النبي ﷺ وهو يلاقي أصناف الأذى وألوان العداوة من الكفار ، وفي القرون الماضية شن النصارى حملات صليبية ، وبعد أن توقفت تلك الحملات تلتها حملات استعمارية، فاحتلوا غالب ديار المسلمين سنين طويلة وأفسدوا فيها، ومعها حملات التنصير للمسلمين ، فلم يكفوا عن عدائهم للمسلمين أبداً ، وخبثهم وإن كان قد يقل أحياناً لكنه لا ينعدم .

بل لا تنس ما يقومون به على الدوام من الحرب الإعلامية والغزو الفكري والسخرية بديننا ونبينا .

وفي هذه السنين لقي المسلمون من العداء على يد الكفار وأذنابهم من المرتدين مالا نشكوه إلا إلى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

حيث يقوم اليهود بحرب المسلمين في فلسطين .

والشيوعيون والبوذيون والهندوس في آسيا وروسيا والهند.

كما تقوم الحملات الصليبية المسعورة تحت مظلة الأمم المتحدة ورئاسة إمريكا بحرب الإسلام فضربوا المسلمين في كل مكان وحاصروهم وقتلوا ما لا نحصيه.

قال الرئيس الأمريكي بوش عن حملته ضد الإرهاب صراحة في مؤتمر صحفي يوم الأحد ٢٨ / ٦ / ١٤٢٢ : (هذه الحملة صليبية) .

كما أنه طعن في الشريعة الإسلامية التي قام بها طالبان : فتكلم على منعهم حلق اللحى، وفرضهم الحجاب، ومنعهم للموسيقى والغناء والرقص .

وصدق الله : ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ آل عمران: ١١٨ ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ الممتحنة: ٢ ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ﴾ البقرة: ٢١٧ ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ البقرة: ١٢٠.

ونقلت عنه جريدة الخليج الإماراتية قوله عن حملته الصليبية وحربه للإسلام: (ولن نتوقف إلى أن يصبح كل عربي مسلم مجردا عن السلاح وحليق الوجه وغير متدين ومحبا للأمريكان ولا يغطي وجه امرأته ... وسنبدأ العمل في هذا المشروع) .

لكن الله بمنته دحر هذا الصليبي الخبيث بما ثبت به جنوده من المجاهدين في سبيله، فأبكوا عينه وقتلوا جنوده فولوا الأدبار هاربين وجعل العاقبة للمتقين.

وفي كتاب (المطالبات الإمريكية): وكونها تقوم على منع الجهاد ، عدم إظهار شعائر الدين والتمسك به ، إلغاء عقيدة الولاء والبراء ومعاداة الكفار وإيجاب تولي الكفار والغرب ، أن تكون لهم السيادة والأمر لهم وعلى المسلمين تنفيذ الأوامر والطاعة دون تذمر ، امتلاك ثروات المسلمين ، نشر الزنا والفواحش .

فهل يشك عاقل بعد هذا أن سبب هذا الذل ترك الجهاد ولا حل في غيره.

(١٢٦) سبب حرب الكفار للمسلمين وعداوتهم اتباعهم نبيهم ﷺ وقولهم ربنا الله وتمسكهم بالإسلام ، كما أخبر تعالى عنهم : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ ﴾ ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ ، وليست اقتصادية وسياسية أو لأجل أخذ خيرات بلادهم والاستيلاء على أوطانهم أو البترول أو المعادن وغير ذلك مما يروج لها سفهاء العقول والإعلاميون والخبراء الجهال .

(١٢٧) يشترط في صحة الإيمان اجتماع الظاهر والباطن في الولاء:

كما أن الإيمان قول وعمل باطن وظاهر، وأن الإيمان لا يقبل من المرء بمجرد وجود أحدهما فلا يكون الإنسان مؤمنا ما لم يؤمن باطناً وظاهراً ولا يكون مؤمناً في الباطن دون الظاهر إلا عند المرجئة ، وكما أن التوحيد قول وعمل واعتقاد ظاهر وباطن ، فما ينقض الإيمان والتوحيد يكون بالاعتقاد والقول والعمل .

فكذلك الموالاة والمعاداة لا تصح إلا بالظاهر مع الباطن، ولا يعقل وجود موالاة باطنة دون ظهور علامتها الظاهرة والعكس إلا في المكره ، فمن ادّعى أنه يوالي أولياء الله ويحبهم ولكن لا يناصرهم بل ربما يحاربهم ويناصر أعداءهم فهو من أعداء الله وليس من أوليائه ولو كان محبا للمؤمنين يكره الكافرين، ومثل ذلك من أظهر موالاة الكفار وموافقتهم ومداراتهم وادّعى بغضه لهم ، فإنه لا يقبل منه قوله، إذ لا بد من توافق الباطن مع الظاهر والمحبة والنصرة والبغض والعداوة.

(١٢٨) فائدة لطيفة في الجمع بين المحبة والموالاة والبغض والمعاداة :

جاء في حديث ابن عباس الجمع بين المحبة والموالاة والبغض والمعاداة: (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله) الطبراني .

فتأمل كيف جمع المحبة مع الموالاة والبغض مع المعاداة ، ولم يكتف بذكر الحب والبغض بل جمع معها المولاة والمعاداة مما يدل على زيادة في المعنى بزيادة المبنى .

والمعنى أن المحبة والبغض ليست كافية في تحقيق الإيمان وعروته الوثقى ، بل لابد معها من الموالاة الظاهرة وهي النصرة مع المحبة والعداوة الظاهرة والبراءة الظاهرة والمنابذة والجهاد مع البغض.

فلا حجة بعد ذلك لمن يزعم أنه يكفي في الإيمان مجرد المحبة والبغض سواء وجدت الموالاة الظاهرة والنصرة أم انعدمت، ويقول الولاء والبراء الظاهر أمر مستحب وليس بركن وتركه مجرد معصية وليس بكفر كما هو مذهب المرجئة .

قال الشيخ سليمان:" قوله: (ووالى في الله) هذا بيان للازم المحبة في الله وهو الموالاة، فيه إشارة إلى أنه لا يكفي في ذلك مجرد الحب ، بل لابد مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب وهي النصرة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين باطناً وظاهراً، وقوله:(وعادى في الله) هذا بيان للازم البغض في الله وهو المعاداة فيه، أي إظهار العداوة بالفعل كالجهاد لأعداء الله والبراءة منهم والبعد عنهم، إفادة إلى أنه لا يكفي مجرد بغض القلب بل لابد مع ذلك من الإتيان بلازمة " التيسير ٤٢٢ .

عليه فكما أن الإيمان يشترط مع التصديق فيه وجود الانقياد والقبول والعمل فكذلك الولاء والبراء يشترط مع المحبة وجود النصرة ومع البغض وجود العداوة.

وكما أنه قد يصدق العبد الله ورسوله ثم ينقاد لغيرهما فلا يكون مؤمنا فكذلك قد يحب الله ورسوله ثم يناصر عدوهما فلا يكون وليهما فالمحبة والنصرة في باب الولاء مثل التصديق والانقياد في باب الإيمان فكل منهما له ركن باطن وركن عمل .

(١٢٩) تلازم الباطن والظاهر :

الولاء الظاهر يستلزم الولاء الباطن والمودة وهو دليل عليه ، والعكس فالولاء الباطن يستدعي الولاء الظاهر.

فموالاة الكفار الظاهرة لا تكون مع وجود المحبة الباطنة غالباً ، وإن لم تكن موجودة فإنها تستدعيها .

ومحبة الكفار وبغض المسلمين في الباطن تستدعي إظهار موالاة الكفار ومعاداة المسلمين في الظاهر ، كما قال تعالى في توضيح هذا المبدأ : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ آل عمران: ١١٨.

قال الشيخ سليمان في أوثق عرى الإيمان : (موالاة الكفار والدفع عنهم حمية دنيوية هل يمكن هذا إلا بداع من المحبة في قلبه، وإلا فلو كان يبغضهم في الله ويعاديهم لكان أقر لعينه ما يسخطهم ويغيظهم) .

(١٣٠) لوازم البغض للكفار :

كما أن للمحبة لوازم من إتباع للمحبوب وطاعته والرضا به والانقياد له والدفاع عنه ومناصرته ، فكذلك البغض له لوازم فيلزم منه المعاداة والمجاهدة والسب والبراءة والخصومة والتخلص والمجانبة، فمن أبغض شيئاً عاداه وجاهده وتبرأ منه وأظهر كرهه له ورده وإلا كان بغضه كذباً ومجرد دعوى، وهو ملزوم لغيره فالسب والعداوة لوازم يلزم منها وجود البغض وتدل على وجوده في القلب.

وعلى هذا فمن ادعى بغض الكفر والكفار وهو لا يتبرأ منهم ولا يعاديهم ولا يجانبهم ولا يجاهدهم ولا يكفرهم ولا يسبهم، بل يتولاهم ويناصرهم ويدافع عنهم ويجادل عنهم ويفرح بهم ويرضى عنهم ويبرر أعمالهم ويمدح تصرفاتهم ويحارب من يعاديهم ويذمه ويسيء إليه ويؤذيه بلسانه وأفعاله، فهو كافر كذاب محب للكفار والكفر وأهله مبغض للإسلام وأهله ولو ادعى أنه على خلاف ذلك فلا يقبل منه، ولا يتصور فيه ذلك إلا عند المرجئة الغلاة حيث تصوروا وجود من يحب النبي ﷺ ودينه وهو في صفوف أعدائه مقاتل له ويحارب أصحابه وأتباعه .

(١٣١) لا تـجتمع موالاة الله وموالاة أعدائه ولا يصح الولاء إلا بالبراء :

قال ابن القيم : (ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم ، والولاية تنافي الـبراءة فـلا تجتمع البراءة والولاية أبداً ، والولاية إعـزاز فـلا تجتمـع هـي وإذلال الكفـر أبـداً ، والولاية صلة فلا تجامع معاداة الكافر أبداً) أحكام أهل الذمة ١ / ٢٤٢ .

وقال ابن القيم في الجواب الكافي: (لا تصح الموالاة إلا بالمعاداة).

(١٣٢) موالاة الكفار فيها إظهار للكفر ونصرة له :

موالاة الكفار وإن كانت للدنيا فمؤداها تكـون لـدينهم ونهايـة أمرهـا تقويـة دينهم ونصرته، ومن هذا الوجه قال الطبري : (توالونهم على دينهم).

(١٣٣) الفرق بين قول أهل السنة والمرجئة في تلازم الظاهر مع كفر الباطن:

جعل بعض الأعمال الكفريّة العملية من الكفر الاعتقادي وصاحبها كـافر في الباطن ، قد يلتبس على البعض فيظنه من مذهب المرجئة ،والفرق بين القولين ظاهر.

فالمرجئة لا يكفرون بالعمل وإنما بالاعتقاد فالعمل ليس كفراً إلا إذ قارنه كفر اعتقادي ، فموالاة الكفار عندهم ليست كفـرا بـذاتها ولا تكـون كفـرا إلا إذا كـان صاحبها يحب الكفار ودينهم وإذا قالوا أنها كفر فلأنها دليل على رضا المتولي بالكفر.

أما حقيقة قول من جعل من أهـل الـسنة هـذا العمـل كفـرا اعتقاديـا فلـيس مرادهم هنا أن الموالاة لا تكون كفرا إلا إذا رضي بالكفر فإن هذا ترتيب للشيء عـلى نفسه فيصير المعنى لا يكفر من تولى الكفر وهو راض به إلا من رضي به ، وإنما المراد أن الموالاة كفر لأنها لا تصدر إلا من راض بـالكفر ومحباً للكفـار ، فهـم يكفـرون بالموالاة ولا يقولون أنها ليست بكفر إلا إذا كان معهـا اعتقـاد كـما تقولـه المرجئـة ،

فيكفرون موالي الكفار لأنه في الأصل محبا لهم راضيا بكفرهم، لكن حتى لو لم يكن محبا للكفار وراضيا بالكفر فلا يمنع من التكفير.

وقد بينا هذه القاعدة في مسائل التكفير وضوابطه عند الكلام عن استلزام بعض الكفريات الظاهرة لكفر باطن بالقلب وكونها لا تصدر إلا من قلب كافر.

(١٣٤) الموالاة والمعادة من صفات الأفعال :

من فعل الموالاة وصف بها وقيل أنه موالٍ، ومن فعل المعاداة وصف بها وقيل عنه: معادٍ، فمن أظهر الموالاة وفعل صورة من صورها للكفار سمي موالياً للكفار.

(١٣٥) أحكام الموالاة يجرى فيها على الظاهر :

وهذا أصل من أصول عقيدة أهل السنة، فالمعمول به في الولاء والبراء هو حكم الظاهر، فمن والى الكفار بظاهره حكمنا بردته في الظاهر ولا ننظر إلى الباطن .

قال الشيخ حمد بن عتيق:" قد دل القرآن والسنة على أن المسلم إذا حصلت منه موالاة أهل الشرك والانقياد لهم ارتد بذلك عن دينه " . الدرر ٩/ ٢٦٣.

فالله ﷻ تعبّدنا في أحكام الدنيا بالظواهر ولم يكلفنا بالبواطن بل نحكم بالظاهر، وهو تعالى يتولى السرائر ويعلم الصادق من الكاذب، فيحاسب الناس على أعمالهم ويبعثهم على نياتهم كما في حديث عائشة المتفق عليه في الجيش الذي يُخسف به وفيه من ليس منهم ، فيهلكهم الله جميعاً في الدنيا ويبعثهم على نياتهم يوم القيامة .

وبهذا الأصل نقول : فكما أننا نكف سيوفنا عمّن أبطن النفاق وأبدى الإسلام وأظهر شعائره ووالى أهله ، فكذلك نُعملها في من أظهر موالاة الكفار وشايعهم وانحاز لهم ، نكفره ونقاتله وإن زعم أنه يبطن الإسلام.

ومما يدل على هذا الأصل : ما كان عليه النبي ﷺ في تعاملاته مع الناس، ومن ذلك ما فعله مع العباس لما خرج يوم بدر، فأسره المسلمون وعاملوه على ظاهره لا بما ادعاه من إبطان الإسلام وأنه كان مكرهاً في الخروج معهم ، وقد قال له النبي ﷺ عندما رآه يتعذّر بالإكراه ويدعي الإسلام: (الله أعلم بشأنك إن يك ما تدعي حقاً فالله يجزيك بذلك، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا فافد نفسك..) رواه أحمد .

وقال عمر ﷺ: (إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله، وإن الوحي قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا منكم ، فمن أظهر لنا خيراً أمّنّاه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء ، الله يحاسب سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنْه ولم نُصدّقه وإن قال إن سريرته حسنة) رواه البخاري .

قال ابن رجب : (البغض في الله فهو من أوثق عرى الإيمان وليس داخلا في النهي ، ولو ظهر لرجل من أخيه شر فأبغضه عليه وكان الرجل معذورا فيه في نفس الأمر ، أثيب المبغض له وإن عُذر أخوه ، كما قال عمر ... وقال الربيع: لو رأيت رجلا يظهر خيرا ويسر شرا أحببته عليه آجرك الله على حبك الخير ولو رأيت رجلا يظهر شرا ويسر خيرا أبغضته عليه آجرك الله على بغضك الشر) العلوم ٢/ ٢٦٦.

وبهذا كله يُعلم أننا مكلفون في معاملاتنا وأحكامنا في الدنيا بالظاهر دون الباطن، ولو لم نحكم بالظاهر لأمسى الإسلام وأهله ألعوبة لأهل النفاق والردة.

(١٣٦) ليس كل من فعل بعض صور الموالاة يعد موالياً :

فمن أظهر موالاة الكفار تقية وإكراها أو لمصلحة كزيارة لدعوته أو مصلحة جهادية كالدخول في الكفار لنقل أسرارهم، فإنه لا يعد مواليا ولا يحكم بردته وإذا لم توجد هذه المبررات فيبقى الحكم على أصله وهذه المسألة مستثناة من القاعدة.

(١٣٧) حكم المعاداة وحكم إظهارها :

الأول : معاداة الكفار وبغضهم وتكفيرهم من أصل الإسلام ويكفر تاركه.

الثاني : إظهار البغض والمعاداة والتصريح به من الكمال الواجب .

فلابد من إظهار العداوة للكفار وإبدائها وإظهار الموالاة والمناصرة للمؤمنين ولا يعتبر العبد مسلما إذا لم يبغض الكفار ويعاديهم، ولا يتم إسلامه ويكتمل إلا بهذا الإظهار فترك أصل المعاداة كفر أما ترك إظهار المعادة فهو معصية دون الكفر.

قال عبد اللطيف آل الشيخ : (مسألة إظهار العداوة غير وجود العداوة ، فالأول يعذر به مع العجز والخوف لقوله (إلا أن تتقوا منهم تقاة)، والثاني لا بد منه، لأنه يدخل في الكفر بالطاغوت ، وبينه وبين حب الله تلازم كلي) الدرر ٨/ ٣٥٩ .

قال ابن سحمان : (لا يقول بأن من لم يظهر عداوة المشركين ويظهر بغضهم كافر إلا الخوارج الذين يكفرون بالذنوب ونحن لا نقول بهذا ولا نخرج بمجرد الإقامة بين أظهر الكفار وعدم إظهار العداوة من الإسلام) الجيوش الربانية ١٠٤ .

قال حمد بن عتيق:(من يقيم عند الكفار لأجل مال وولد وبلاد وهو لا يظهر دينه مع قدرته على الهجرة ولا يعينهم على المسلمين ولا يواليهم بقلبه ولا لسانه فهذا لا نكفره لأجل مجرد الجلوس ولكن نقول أنه عاصي) الدفاع عن أهل السنة ١٠ .

(١٣٨) القاعدة الفاصلة في باب الولاء والبراء :

محبة الله تستلزم محبة أوليائه وموالاتهم ومناصرتهم وعدم خذلانهم، كما تستلزم بغض أعدائه ومعاداتهم، فلا يجتمع حب لله مع حب اعدائه، ومن تجب موالاته تحرم معاداته والعكس، وترك معاداة الكفار يستلزم حصول ضده من موالاتهم ومحبتهم والعكس كذلك، وكل موالاة للكفار فيها معاداة للمسلمين، ولا يصح الإيمان والإسلام إلا باجتماع الموالاة والمعاداة واجتماع الظاهر والباطن في الولاء، ولا يجتمع موالاة المؤمنين باطناً بالمحبة مع وجود موالاة للكفار ومعاداة للمؤمنين ظاهرا، على أنه لا يشترط في الكفر وجود المحبة والبغض .

١/ لا يقبل الدين ولا يصح الإسلام إلا بالولاء والبراء .

٢/ لا يصح الولاء والبراء إلا بمعاداة الكفار.

٣/ لا يصح الإيمان والإسلام إلا باجتماع الموالاة والمعاداة .

إذ لا يتحقق الولاء إلا بالبراء فمتى وجد أحدهما انتفى الآخر ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ المائدة: ٥١ فلا يظن ظان أن الإسلام يثبت بمجرد موالاة أولياء الله دون معاداة أعدائه فلا يصح الإيمان ولا يقبل الإسلام بولاء دون براء ولا ببراء من الكفار مع عدم توفر الموالاة لأولياء الله .

قال ابن القيم : (لا تصح الموالاة إلا بالمعاداة كما قال تعالى عن إمام الحنفاء إنه قال لقومه : ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الشعراء ، فلم تصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة إلا بتحقيق هذه المعاداة فإنه لا ولاء إلا لله ولا ولاء إلا بالبراءة من كل معبود سواه) .

٤/ كل من تجب محبته فإنها تجب موالاته ومناصرته.

٥/ من وجبت موالاته ومحبته حرم علينا بغضه ومعاداته وحرم خذلانه.

٦/ من وجبت موالاته وجب بغض أعدائه ومعاداتهم وحرمت موالاتهم.

٧/ كل من وجب علينا بغضه فإنه تجب معاداته وحرم علينا محبته أو مناصرته ومظاهرته .

٨/ من يعتقد أن الموالاة والمعاداة خاصة بالدين دون أتباعه فيبغض الكفر ولا يعادي أهله ويحب الإسلام ولا يوالي أتباعه فهو كافر عدو لله.

٩/ كل ما يجب موالاته يحرم معاداته والعكس :

وهذه قاعدة مطردة لا يصح الإسلام إلا بتحققها فكل من وجبت موالاته حرم علينا معاداته وكل من وجبت معاداته حرمت مولاته .

١٠/ محبة الله تستلزم محبة أوليائه وموالاتهم ومناصرتهم وعدم خذلانهم، كما أنها تستلزم بغض أعدائه ومعاداتهم ، فهي شرط وأصل فيه . فحقوق أولياء الله وشروط الولاية : المحبة وهي الموالاة الباطنة والنصرة وهي المولاة الظاهرة .

١١/ لا يجتمع حب الله مع حب أعدائه :

لا يمكن أن يجتمع في قلب الشخص حب حقيقي لله مع حب ما يكرهه سبحانه من الكفر وأعدائه الكافرين كما قال سبحانه ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ المجادلة: ٢٢.ولو ادعى شخص هذا النوع من المحبة لكانت دعوى كاذبة ومحبة غير مقبوله حتى لو تصورنا حصولها .

١٢/ يشترط في صحة الإيمان وقبوله اجتماع الظاهر والباطن في الولاء .

١٣/ لا تـجتمع موالاة المؤمنين باطناً بالمحبـة مـع مـوالاة الكفـار ومعـاداة للمؤمنين ظاهراً من غير إكراه :

لايتصور وجود موالاة المؤمنين باطناً بالمحبة مع وجود موالاة للكفار ومعاداة للمؤمنين ظاهرا من غير إكراه، فلا يمكن أن يدعي شخص محبة قوم ثم يخـذلهم ولا يناصرهم ولا يواليهم بل يعاديهم ظاهراً ويوالي أعداءهم ويناصرهم عليهم .

ولو فرضنا إمكـان ذلـك وأن الـشخص يحـب المـؤمنين ولا يـواليهم ظـاهراً وسلمنا بوجود من يبغض الكفار لكن يواليهم، وتصورنا وجود مـن يـوالي الكفـار وهو يبغضهم ولايحبهم، فإنه والحالة هذه إن تصورناها فإنها تعتبر أيضاً كفراً عملياً ناقل عن الملة ولا تمنع حكم التكفير، لأن لنا الظاهر ونحكم به وليس لنا الباطن، ثم حتى لو قدر أنا علمنا ما في الباطن وأطلعنا عليه، فـإن المـوالاة الظـاهرة والمنـاصرة للمسلمين وعدم المظاهرة عليهم شرط مستقل في بقاء الإسلام حتى ولو أيقنا وجود المحبة فإنها لا تكفي بل لابد من مناصرة وموافقة لهم كذلك لابد من وجـود معـاداة أعدائهم وهذا الركن العملي للتوحيد ومن أجله فرض الجهاد .

١٤/ لو تصورنا أن من يوالي الكفار لا يحبهم وإنما يبغضهم وسـلمنا بوجـود هذه الحالة وأنه فعل تلك المولاة مختاراً عالماً لأجل مصالحة الدنيوية فإنه والحالة هذه تعتبر أيضاً كفرا عملياً ناقل عن الملة ولا تمنع حكم التكفير . لأن مجـرد فعـل التـولي العملي الظاهر وترك مطلق المعاداة كفر وردة وناقض من نواقض الإسلام بذاتها .

١٥/ لا يشترط في الكفر في باب التولي للكفار وجود المحبة والبغض .

فلا يشترط في تكفير من يوالي الكفار ويناصرهم محبة دينهم أو بغض المسلمين بل قد يواليهم لمصالحه ودنياه وشهواته ومنصبه وماله ومع هذا كله يعتبر صانع هذه الموالاة مرتداً كافراً إذ لابد من الدخول في (لا إله إلا الله) من اجتماع الولايتين الباطنة والظاهرة .

١٦/ ترك معاداة الكفار يستلزم حصول ضده من موالاتهم ومحبتهم :

والعكس كذلك :لا بد أن يعلم كل مسلم أن ترك معاداة الكفار يستلزم حصول ضده من موالاتهم ومحبتهم، فمن انعدمت في جوارحه معاداة أعداء الله فلابد له من حصول أمرين : حصول موالاتهم ثم وجود محبتهم وإنتفاء بغضهم وهذا من باب اللزوم وأمر معروف بالعادة .

١٧/ الأصل أن كل موالاة للكفار فيها معاداة للمسلمين ولو بطريق اللزوم.

هذه قاعدة الولاء التي لا يستقيم دين المسلم إلا بتحقيقها ومن جهلها فهو غير عالم بدينه . فهذه قواعد مطردة لا يصح الإسلام إلا بتحققها .

وكل ما سبق يعد من شروط اعتبار الولاء والبراء ومرد الولاية للإيمان ومرد العداوة وجود الكفر .

الفصل الثاني عشر : صور الموالاة وأمثلتها

(١٣٩) أمثلة وصور واقعية معاصرة ومنتشرة لموالاة الكفار :

المثال الأول : محبتهم ومودتهم والرضا عنهم:

قال تعالى :﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ المجادلة: ٢٢.

وهذه الآية تقطع على المبتدعة الحجة وتبطل القول الإرجائي أن محبة الكفار مقتصر على المحبة لأجل دينهم إذ المذكور فيها الأب والابن ونفت موالاتهم إن كانوا كفاراً وأوجبت معاداتهم وعدم مولاتهم ومودتهم ومحبتهم ، مع كون محبتهم طبعية وليست دينية ومع ذلك نهي عنها.

الثاني : عدم تكفيرهم:

ومن هذا الباب تصحيح مذهبهم ومدح طريقتهم وتصويب دينهم أو الشك في كفرهم وأنهم من أهل النار ، والتحرج من تكفيرهم ومناداتهم بالأسماء الشرعية التي سماهم الله بها (المشركون الكافرون) والاستعاضة عنها بتسميتهم بأسماء بلادهم أو تسمية الكافر بالآخر والغير بدل التسمية الشرعية التي سماهم الله بها وأمرنا ربنا أن نسميهم بها بقوله ﷻ : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ الكافرون: ١.

ومن هذا الباب الدعوة إلى التقريب بين الأديان والاعتراف بها.

ومن هذا الباب أيضا احترام شعائرهم وشعاراتهم ومن ذلك تعليق أعلامهم ويزيد الأمر خطورة إذا كانت أعلامهم فيها الصليب أو كانت شعاراً لعقيدة التثليث، كالخطوط الثلاثة في أعلام كثير من الدول الكافرة والمستعمرة.

وتقليدهم في مذاهبهم الكفرية والتحايل على الله بدعوى أسلمتها كما قالوا الديمقراطية الإسلامية والليبرالية الإسلامية والبنوك الإسلامية وأسلمة القوانين الوضعية وهكذا .

الثالث : السماح لهم بالدعوة لدينهم .

السعي لتحقيق أهدافهم وترويج غزوهم الفكري وتيسير مساعيهم في حرب الإسلام والسماح لهم بإظهار كفرهم بحجة التعبير عن الرأي وحرية الفكر وإبداء محاسنهم وأخلاقهم أو الدعوة لدينهم، وتركهم يدعون إلى دينهم، وذلك من خلال:

فتح الإعلام لهم ليفسدوا المسلمين ويظهروا ما عندهم، وتركهم ينشرون أفكارهم ويظهرون فسادهم في قنواتهم الإعلامية، وتمكينهم من فتح المدارس يعلمون فيها ما يريدون من كفرهم وفكرهم، ومن ذلك ما يسمى بالمدارس الأجنبية والسماح بفتحها وإنشائها لهم في بلاد الإسلام ، وكذلك نشر كتبهم ومجلاتهم وثقافاتهم، والسماح لهم ببناء معابدهم وكنائسهم وإظهار الرضا بها.

والإذن لهم بإظهار الكفر ودعمه ونشره والدعوة إليه وتسهيله وعدم منعهم والإنكار عليهم فضلاً عن دعوتهم للإسلام وبيان ما عندهم من الكفر.

وكل هذا من أعظم الغش والخيانة للإسلام والمسلمين ومحادة رب العالمين، ولو تأمل هؤلاء السفهاء في حال الكفار وهم لا يحابوننا ولا يجاملوننا إذا جاءوا

فضلا عن أن يفعلوا في بلادهم أمراً نريده بينما هم يتدخلوا في أمرنا ونحن نستجيب هواناً وذلة فنلبس لباسهم وزيهم في بلدانهم ونتكلم بلغتهم وهم لا يتركون شيئاً من مظاهرهم وزيهم ولغتهم وملابسهم وزيهم البتة فأي ذل وهوان بعد هذا.

ومما يدخل في هذا الباب كل ما يشمل مسمى التغريب .

ومن أخبث صورها وأعظمها خيانة للمسلمين الابتعاث بإرسال أبناء المسلمين ليتلقوا فكر عدوهم ويفسدوا عقيدتهم وأخلاقهم فيرجعوا بلادهم وقد ملؤوا عقولهم شبهات على دينهم .

بل زاد أعداء الملة والمنافقين على ذلك أن أرسلوا بنات المسلمين مع رضا الديّوث من أهلهن ، فرجعوا متبرجات عاريات عن أخلاقهن وحيائهن وحشمتهن ودينهن ليربين جيلا يكون أداة بيد أعداء المسلمين .

الرابع : نصرتهم وإظهارهم ومظاهرتهم :

وهذه أشنع صور الموالاة وأغلظها ردة ونفاقا ، فأي نجاسة وخسة أعظم من مظاهرتهم ومناصرتهم ومعاونتهم بالمال والبدن والرأي على المسلمين ، أو التجسس والعمالة لهم والدلالة على المسلمين وكشف عورات المسلمين لهم ونقل أخبارهم وأسرارهم إليهم، وتمكينهم من إهانة المسلمين والاعتداء عليهم وقتلهم ،وإهانة المسلمين لإرضائهم أو الشماتة بأهل الإسلام أمامهم.

ومن صور إظهارهم وتمكينهم : السعي في تقويتهم ونفعهم ومعاونتهم في أمورهم مطلقاً ونصرتهم وتأييدهم ودعمهم والدخول في سلطانهم وتسهيل أمورهم وتيسير مطالبهم والاستجابة لأوامرهم وتنفيذ مخططاتهم وإعطائهم

الأموال ليتقووا بها وتمكينهم من استغلال أموال المسلمين وثرواتهم وإعطائهم شيئا من بلاد المسلمين وإدخالهم بلاد الإسلام والسماح لهم بالإقامة والتملك.

ومن الصور المتعلقة بهذا: محاولة تلميعهم وإظهار أنهم على شيء وإبداء ما لديهم من خير وما نبغوا فيه من ظواهر الدنيا وتغرير العوام والسذج بذلك حتى يعتقدوا أنهم أفضل من المسلمين .

ومن صور نصرتهم : النصح لهم ومناصحتهم وإفادتهم وتمني الخير لهم والصدق معهم ونصحهم والتصافي معهم والمشورة عليهم وتحسين العلاقات الدائمة معهم والشراء منهم من غير ضرورة إلا لنفعهم.

الخامس : الركون إليهم ومباطنتهم:

وقد نهانا ربنا المولى ﷻ عن الركون إليهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ هود: ١١٣.

وقال تعالى:﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ الإسراء .

قال أهل اللغة: الركون السكون إلى الشيء والميل إليه والاعتماد عليه.

قال أهل العلم والتفسير: ومما يدخل في الركون إليهم : الميل لهم وإكرامهم والإحسان إليهم ومداهنتهم وطاعتهم وتوليتهم الأعمال والإنخراط في هواهم والإنقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم وموافقتهم.

قال الثوري :من لات لهم دواة أو برا لهم قلما، أو ناولهم قرطاسا دخل في هذا.

ومن صور الركون إليهم مباطنتهم واتخاذهم بطانة ووليجة:

وقد نهينا عن اتخاذهم بطانة ،كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ آل عمران: ١١٨.

وبطانة الرجل: وليجته وصفيّه وخاصته وصاحب سره وداخلة أمره الذي يشاوره في أحواله ويستند إليه .

قال البغوي: أي أولياء وأصفياء من غير أهل ملّتكم وبطانة الرجل خاصته تشبيها ببطانة الثوب التي تلي بطنه لأنهم يستبطنون أمره ويطّلعون منه على مالا يطلع عليه غيرهم ، ثم بين العلّة في النهي عن مباطنتهم فقال جل ذكره { لا يألونكم خبالا } أي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد .

وقال القرطبي: نهى الله المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكافرين واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولائج يفاوضونهم في الآراء ويسندون إليهم أمورهم .

وروى ابن أبي حاتم: قيل لعمر ﷺ : إنّ ها هنا غلاماً من أهل الحيرة حافظا كاتبا فلو اتخذته كاتبا ، فقال : قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين .

قال ابن كثير: ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين واطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب .

ومن مباطنتهم : اتخاذهم وليجة بدل المؤمنين ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾ التوبة: ١٦.

قال أهل اللغة والتفسير : وليجة الرجل خاصته وبطانته وأولياؤه، فالوليج هو الذي يواليه ويفشي إليه أسراره ويعتمد عليه فيختص بدخيلة أمره دون الناس ، وهو ليس من جنسه وأهله ، لأن أصل الوليجة كل ما يتخذه الإنسان معتمدا عليه وليس من أهله ، من قولهم فلان وليجة في القوم إذا لحق بهم وليس منهم، فالوليجة كل شيء أدخلته في شيء ليس منه وهذا في اللغة ، ولا شك أن الكفار ليسوا منا فكيف نتخذهم بطانة وندخلهم في أمورنا ونطلعهم على أسرارنا.

ومن صور الركون إليهم واتخاذهم بطانة :

إكرامهم والإحسان إليهم ومجالستهم ومصاحبتهم ومعاشرتهم وزيارتهم والميل إليهم والانقطاع إليهم وتقديمهم وتقريبهم والاعتماد عليهم وطاعتهم والاستجابة لهم والانخراط في هواهم واستمالتهم والوثوق بهم والثقة فيهم واستشارتهم ومشاورتهم والنصح لهم والذب عنهم والدفاع عنهم وجعلهم حلفاء وجعل السفارات الدائمة عندهم ، واستئمانهم وعدم تخوينهم واستعمالهم في أمر من أمور المسلمين واستخدامهم والاستعانة بهم واتخاذهم أعوانا وتوليتهم الأعمال وتنصيبهم وتأميرهم والاعتزاز بهم وابتغاء العزة منهم والدفاع عنهم والتماس الأعذار لهم والرضا بهم وبأعمالهم وموافقتهم وتقليدهم والتشبه بهم والانتساب إليهم والتزيي بزيهم والإقامة معهم والسفر إليهم وعدم الهجرة من بلادهم، وغير ذلك مما بينه أهل العلم ويعلم بالعقل والفطرة .

السادس : الإقامة في ديار الكفار ومجالستهم :

الإقامة بين ظهرانيهم، وعدم الهجرة من بلادهم، والسفر إليهم بدون حاجة.

ومنها مصادقتهم ومصاحبتهم ومؤاخاتهم ومخالطتهم ومعاشرتهم ، وحضور مجالسهم وزيارتهم للأنس بهم والدخول عليهم ومجامعتهم والالتصاق بهم، وتفضيل العيش معهم والسكنى بينهم وقد تبرأ الرسول ﷺ ممن يفعل ذلك .

ومن الأدلة الصريحة في تحريم الإقامة :

عن سمرة بن جندب ﷺ عن النبي ﷺ قال : (لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فهو مثلهم) . ولفظ الحاكم (فليس منا) .

وعند أبي داود (من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله) .

وعن جرير بن عبد الله ﷺ أن الرسول ﷺ بعث سرية إلى خثعم فاعتصم ناس بالسجود فأسرع فيهم القتل فبلغ النبي ﷺ فأمر لهم بنصف العقل وقال : (أنا بريء من كل مسلم يقيم بين ظهراني المشركين) وفي لفظ (أظهر) قالوا يا رسول الله : لِم ؟ قال : (لا تراءى ناراهما) رواه أبو داود والترمذي .

وعند الطبراني والبيهقي: (من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة) .

قال الإمام أحمد : لا تنزل من المشركين في موضع إذا أوقدت رأوا فيه نارك وإذا أوقدوا رأيت فيه نارهم ولكن تباعد عنهم اهـ .

قال النبي ﷺ: (لا تستضيئوا بنار المشركين) رواه أحمد والنسائي عن أنس.

قال ابن كثير في تفسيره : معناه لا تقاربوهم في المنازل بحيث تكونون معهم في بلادهم بل تباعدوا منهم وهاجروا من بلادهم . واختار هذا القول ابن القيم.

وقال ابن الأثير : معناه لا تستشيروهم وجعل الضوء مثلاً للرأي عند الحيرة .

وقال الحسن: قوله ولا تستضيئوا بنار المشركين فإنه يقـول لا تستـشيروهم في شيء من أموركم ، وتصديق ذلك في كتاب الله ثم تلا هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾، قال ابن كثير : وهذا التفسير فيه نظر .

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (لا يقبـل الله من مشرك بعدما يسلم عملا أو يفارق المشركين إلى المسلمين) رواه أحمد والنسائي .

وعن يزيد بن الشخّير قال : بينا أنا مع مطرف بالمربد إذ دخل رجل معه قطعة أدم ، قال : كتب لي هذه رسول الله ﷺ ، فهل أحد منكم يقرأ ؟ قال : قلت أنا أقــرأ ، فإذا فيها : (من محمد النبي ﷺ لبني زهير بن أُقَيْش أنهم إن شـهدوا أن لا إلـه إلا الله وأن محمدا رسول الله وفارقوا المشركين وأقروا بـالخمس في غنـائمهم وسـهم النبـي وصَفيِّه أنهم آمنون بأمان الله ورسوله) رواه النسائي .

وعن جرير ﷺ قال : بايعت رسـول الله ﷺ عـلى إقـام الـصلاة وإيتـاء الزكـاة والنصح لكل مسلم وعلى فراق المشركين . رواه النسائي .

وفي رواية له قال جرير : أتيت النبي ﷺ وهـو يبـايع ، فقلـت : يـا رسـول الله ابسط يدك حتى أبايعك واشترط علي فأنت أعلم ، قال : (أبايعك عـلى أن تعبـد الله وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتناصح المسلمين وتفارق المشركين) .

ونحوه عن أبي اليسر كعب بن عمرو ﷺ عند الحاكم.

أن رسول الله ﷺ أخذ على رجل دخل في الإسلام فقال : (تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان وأنك لا ترى نار مشرك إلا وأنت له حرب).

رواه ابن جرير عن الزهري مرسلا.

وفي هذه الأحاديث أمر صريح للمسلمين بالهجرة ، ووعيد شديد لمن جامع المشركين وساكنهم اختيارا، لأن ذلك من أعظم الأسباب الجالبة لموالاتهم وموادتهم، فليحذر المسلمون المقيمون بين الوثنين والمرتدين والنصارى والمجوس وغيرهم من أعداء الله تعالى أن يلحقهم هذا الوعيد الشديد ، فليتأمل المسلمون الساكنون مع أعداء الله تعالى هذه الأحاديث وليعطوها حقّها من العمل.

قال ابن رشد: "فإذا وجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة على من أسلم ببلد الحرب أن يهاجر، ويلحق بدار المسلمين ولا يثوي بين المشركين، ويقيم بين أظهرهم لئلا تجري عليه أحكامهم، فكيف يباح لأحد الدخول إلى بلادهم حيث تجري علينا أحكامهم في تجارة أو غيرها، وقد كره مالك رحمه الله تعالى أن يسكن أحد ببلد يسب فيه السلف فكيف ببلد يكفر فيه بالرحمن ، وتعبد فيه الأوثان". المقدمات ٢/ ٦١٢.

وقال ابن حزم : (من لحق بدار الكفر والحرب مختارا محاربا لمن يليه من المسلمين، فهو بهذا الفعل مرتد له أحكام المرتد، لأن الرسول ﷺ لم يبرأ من مسلم . وأما من فر إلى أرض الحرب لظلم خافه ، ولم يحارب المسلمين، ولا أعانهم عليه، ولم يجد في المسلمين من يجيره فهذا لا شيء عليه لأنه مضطر مكره) المحلى ١٣/ ١٣٨.

وقال ابن كثير في تفسيره: (كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكنا من إقامة الدين ، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالإجماع).

وقال عبد اللطيف آل الشيخ: (الإقامة ببلد يعلو فيها الشرك والكفر، ويظهر الرفض، ودين الإفرنج لا تصدر عن قلب باشره الإسلام وقلب رضي بالله ربا

وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا، وفي قصة إسلام جرير بن عبد الله أنه قال يا رسول الله بايعني واشترط، فقال الرسول ﷺ: "تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وأن تفارق المشركين" أخرجه النسائي،وفيه إلحاق مفارقة المشركين بأركان الإسلام ودعائمه العظام) الدرر ٧/ ١٢١ .

حكم الإقامة والهجرة:

إذا كانت الإقامة ببلاد الكفر رغبة واختيارا لصحبتهم فيرضى ما هم عليه ويمدحهم أو يعينهم على المسلمين فهذه ردة .

أما إذا ترك الهجرة وفضل الإقامة عندهم لأجل دنياه ولم يوافقهم أو يعينهم وأبغضهم ولكن لم يظهر معاداتهم فهو عاص .

وأما إن أقام عندهم وهو مظهر لعداوتهم فمحل خلاف :

فذهب كثير من العلماء إلى جواز الإقامة بين أظهر الكفار وعدم وجوب الهجرة إذا كان يظهر دينه فيتبرأ منهم وأنهم على الباطل وأمن الفتنة .

والصحيح عندي والله أعلم أن الأصل تحريم الإقامة في بلاد الكفار بنص الأحاديث والآيات الموجبة للهجرة والمحرمة للإقامة عندهم، ولا يوجد صارف لها أو مخصص بعدم القدرة على إظهار الدين.

أحوال الإقامة عند الكفار :

الأول : الإقامة عندهم عن رغبة واختيار ا لصحبتهم فيرضى ماهم عليه أو يمدحهم أو يعاونهم على المسلمين فهذا كافر .

الثاني : أن يقيم عندهم لأجل مال أو ولد وهو لا يظهر دينه مع قدرته على الهجرة ولا يعينهم على المسلمين ولا يوافقهم فهذا عاص ولا نكفره لأجل الإقامة.

الثالث : المقيم عندهم مستضعفا لا يقدر على الهجرة وهذا قد عذره الله ﷻ.

الرابع : أن يكون مظهرا لدينه فيتبرأ منهم ويعاديهم ، ومن هذه حاله فذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا حرج عليه في الإقامة بين أظهرهم بما أنه قائم بإظهار الدين الذي لا تجب معه الهجرة ، وهذا ما عليه أكثر أئمة الدعوة ، منهم الشيخ حمد بن عتيق في رسالته الدفاع عن أهل السنة ص١٠.

والحق أن الإقامة محرمة والهجرة واجبة على الأصل الذي قررته النصوص.

قال عبد اللطيف:(الإقامة ببلد يعلو فيها الشرك ، لا تصدر عن قلب باشره الإسلام،وفي حديث جرير إلحاق مفارقة المشركين بأركان الإسلام).

تنبيه : يختلف حكم السفر لبلاد الكفار عن الإقامة فالسفر جائز بشروطه إذا كان لحاجة وأمن الفتنة واستطاع إظهار دينه أما الإقامة فلا تجوز مطلقا بنص الحديث وقد تبرأ النبي ﷺ من فاعله ، وثبت سفر أبي بكر لديار المشركين للتجارة من غير إقامة وإقرار النبي ﷺ لذلك كما عند أحمد.

ومن هذا الباب : التجنس بجنسياتهم اختيارا .

ومن أقام ببلاد الكفر رغبة واختيارا لصحبتهم فيرضى ما هم عليه من الدين أو يمدحهم أو يرضيهم بعيب المسلمين أو يعينهم على المسلمين فهذا كافر عدو لله .

وإذا كان عقد التجنس مشتمل على ناقض كمظاهرتهم والاعتراف بقوانينهم الشركية فهي ردة .

ولما سأل الشيخ رشيد رضا عن حكم التجنس بجنسية دولة كافرة والتزام قوانينها وقبول أحكامها المخالفة للإسلام ومنها القتال في صفوفها .

قال: (إذا كان الحال كما ذكر السؤال فلا خلاف بين المسلمين في أن قبول الجنسية ردة صريحة) مجلة المنار ٢٥/ ٢٢.

والدليل قوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ آل عمران: ٢٨ ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ المائدة: ٨١ .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ٩٧ .

وقال تعالى :﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ النساء: ٨٩.

السابع : طاعتهم وإتباع أهوائهم ومتابعتهم .

من أطاع الكفار فيما يأمرون به وأظهر الموافقة لهم فهو كافر وخارج عن الملة .

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٠٠ .

وجاء النهي عن طاعتهم مطلقا، فحذف المعمول فيه المتعلق بالطاعة ، ليفيد العموم .

قال الشيخ سليمان في الدلائل : (أخبر تعالى أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على أعقابهم عن الإسلام، فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ولم يرخص في موافقتهم وطاعتهم خوفا منهم).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ الشعراء: ١٥١.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ﴿٢٦﴾ ﴾ محمد . فجعل طاعة الكفار في بعض أوامرهم سببا لردة من أطاعهم

قال الشيخ سليمان في الدلائل عنها : (أخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردة قولهم للذين كرهوا ما نزل الله، سنطيعكم في بعض الأمر، فإذا كان من وعد المشركين الكارهين لما نزل الله بطاعتهم في بعض الأمر كافرا وإن لم يفعل ما وعدهم، فكيف بمن وافق المشركين وأظهر أنهم على هدى) قلت فكيف بمن حكم قوانينهم.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ . فصرح تعالى بأنهم مشركون في طاعة أولئك الكفار،حينما وافقوهم في تحليل أو تحريم .

وإن من أعظم صور طاعة الكفار الشركية وأخبث حالات الطاعة الكفرية طاعتهم فيما يشرعونه من قوانين وضعية تحلل ما حرم الله وتناقض شريعته، مما يقوم به الحكام المرتدون المتولون لليهود والنصارى المطيعون لهم.

الثامن: موافقة الكفار في الظاهر :

من وافقهم وهو ليس في سلطانهم وإنما حمله على ذلك حرصه على الدنيا وليس الإكراه حكمنا بكفره ولو كان يوجد عنده بغضهم ومخالفتهم في الباطن .

والموافقة هي إظهار التأييد للكفار أو أنهم على حق ، أما مناصرتهم والتمكين لهم وتسهيل أمورهم فهذا قدر زائد عن الموافقة ،وهو أعظم من الموافقة ردة وأشد كفرا.

وهنا حالتان :

الأولى : من يوافق الكفار ويداهنهم .

الثانية : من يظاهرهم وينصرهم ، وهي أشنع من الأولى وأغلظ ردة .

ويدل على كفر الأول أدلة :

١- قوله تعالى:﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة: ٢١٧.

قال الشيخ سليمان في الدلائل: (أخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا ، ولم يرخص في موافقتهم خوفا على النفس والمال والحرمة، بل أخبر عمن وافقهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرهم أنه مرتد ، فكيف بمن وافقهم من غير قتال) .

٢- قوله بعد آية الإكراه :﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ النحل: ١٠٧.

٣- كما يدل له حديث : (وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا). عند أبي داود.

فكفروا لما أخذوا الأمان من الكفار المحاربين وأظهروا التأييد والموافقة لهم.

قال النبي ﷺ في غزو الترك (بنو قنطوراء) للبصرة وافتراق المسلمين حينها لثلاث فرق : (فيفترق أهلها ثلاث فرق ، فرقة يأخذون أذناب البقر والبرية وهلكوا ، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا ، وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلون وهم الشهداء) رواه أبو داود بسند صحيح .

ومعنى(يأخذون لأنفسهم وكفروا):أي يطلبون الأمان أو يقبلون الأمان من الترك ، كما قال شراح الحديث في عون المعبود وغيره.

وهذا الحديث فيه الدليل الصريح على كفر من حالف الكفار الصائلين على ديار المسلمين وأخذ الأمان منهم فأمّنهم وأمّنوه وأظهر تأييده لهم ووافقهم وهو مع ذلك لم يظاهرهم وإنما طلب منهم الأمان وكف عن قتالهم ومع ذلك ارتد بعمله هذا فكيف الحكم في من قاتل معهم وناصرهم على المسلمين وظاهرهم .

يقول الشيخ سليمان في مقدمة الدلائل : (اعلم رحمك الله أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفاً منهم، ومداراة لهم، ومداهنة لدفع شرهم، فإنه كافر مثلهم وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ويحب الإسلام والمسلمين..).

حالات موافقة الكفار :

قال الشيخ حمد بن عتيق: (الحالة الأولى: أن يوافقهم في الظاهر والباطن فهذا كافر خارج من الإسلام. سواء أكان مكرهاً أم غير مكره، فهو ممن قال الله فيه: (ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) .

الحالة الثانية: أن يوافقهم ويميل إليهم في الباطن، مع مخالفتهم في الظاهر، فهذا كافر أيضاً، وهم المنافقون.

الثالثة:أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو على وجهين:

أحدهما: أن يفعل ذلك لكونه في سلطانهم مع ضربهم وتقييدهم له وتهديده بالقتل، فإنه والحالة هذه يجوز له موافقتهم في الظاهر مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان كما جرى لعمّار قال تعالى: إلا من أُكره وقلبه مطمئنٌ بالإيمان .

الوجه الثاني: أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو ليس في سلطانهم، وإنما حمله على ذلك إما طمع في رئاسة أو مال أو مشحة بوطن أو عيال أو خوف مما يحدث في المال فإنه في هذه الحالة يكون مرتداً ولا ينفعه كراهته لهم في الباطن وهو ممن قال الله فيهم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ النحل:١٠٧. فأخبر أنه لم يحملهم على الكفر الجهل أو بغضه، ولا محبة الباطل، وإنما هو أن لهم حظاً من حظوظ الدنيا آثروه على الدين.) . سبيل النجاة والفكاك ص٦٢.

يقول ابن تيمية عن حديث: " وهذا الحديث(من تشبه بقوم فهو منهم) أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله: "﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ المائدة: ٥١. فقد يحمل هذا على التشبه المطلق، فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك". اقتضاء ١/ ٢٣٧ .

التاسع : الدعوة للحزبيات والقوميات والوطنيات :

وإذابة الروابط الدينية الإسلامية مع المسلمين واستبدالها بالروابط الجاهلية وإحياء العصبيات والنعرات والشعارات والتحزبات.

ومن ذلك : غضب المرء عصبية لقومه وهم كفار ويدافع عنهم ويبرر أعمالهم، كما هو الحال بكثير من الأمريكيين والأوربيين والهنود والروس الذين أسلموا ولا زالوا يوالون بلدانهم التي اشتهرت بحرب المسلمين وعداوتهم وقد رأينا من يتعصب لبلده بل ولا يستنكر حربه للمسلمين ، ومثل هذا لا يقبل إسلامه وهذه حاله بل يبقى على كفره ويصير مرتدا إن حدثت له هذه الولاية بعد صحة إسلامه.

حقيقة الوطنية والقومية والدعوة للولاء فيها :

من الأمور الشركية والأديان الوضعية التحاكم والتوالي والتباري في الوطن والقوم ، فالوطنية عند عبيدها لها أحكام وقوانين وأنظمة يوالي فيها المواطن والقومي والحزبي ويعادي فيها غيره مطلقاً وتقسيم الحقوق والواجبات على أساس الإنتماء إلى القوم أو الوطن دون النظر إلى الإنتماء للعقيدة والدين .

وهذا النوع من الموالاة يدخل في قسم الموالاة الكبرى المكفرة التي تخرج صاحبها من الملة ، ويوجد هذا العمل الكفري ظاهراً في شعارات الوطنيين والقوميين حيث والوا وعادوا في الوطن سواء كان المواطن مؤمنا أو كافراً.

وقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة : (أن من لم يفرق بين اليهود والنصارى وسائر الكفرة وبين المسلمين إلا بالوطن، وجعل أحكامهم واحدة فهو كافر).

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" إن الله قد أذهب عنكم عُبيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعنَّ رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن " أخرجه أحمد، وغيره .

وقال ﷺ:" إذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية، فأعضوه بهَنِ أبيه ولا تكنوا" أخرجه أحمد والترمذي.

قال ابن الأثير في النهاية: التعزي الانتماء والانتساب إلى القوم مفاخرة.

فأعضوه بهن أبيه: أي قولوا عض أير أبيك وذكره .

وقال ﷺ:" من دعا بدعوى الجاهلية فإنه جثى جهنم ـ أي من جماعات جهنم ـ فقال رجل: يا رسول الله: وإن صلى وصام؟ فقال: وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله التي سماكم: المسلمين، المؤمنين، عباد الله " رواه احمد وأبو داود.

وقال ﷺ:" ليس منا من دعا بدعوى الجاهلية " سنن النسائي .

وكل دعوى غير دعوى الإسلام فهي دعوى جاهلية ، وكل آصرة ورابطة تقوم على غير العقيدة والدين فهي جاهلية نتنة يجب نبذها .

وقال ﷺ:: (إن أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بي ، وليس كذلك ، إن أوليائي منكم المتقون مَن كانوا وحيث كانوا) رواه البزار والطبراني وابن أبي عاصم.

وقال ﷺ : " كلكم لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى " رواه أحمد.

المثال العاشر : الدعوة إلى العولمة والتعايش السلمي والإخاء والوسطية وملتقى الأديان والمجتمع الدولي والتسامح والعالمية والسلام والسلم والحوار بين الأديان ولقاء الحضارات والحوار الوطني والتعددية وقبول الآخر وتقبل الرأي الآخر، والدعوة للوطنية والقومية والديمقراطية واللبرالية والدعوة للحرية وغيرها من الدعوات المنافية للولاء والبراء ، وكلها من الكفر في الولاء والبراء وهي معاصرة وليدة هذا العصر، وهذا يدل على تجدد صور الموالاة للكفار وهي من أعظم ما يذيب عقيدة الولاء والبراء ويبطلها.

وإن هذه العبارات والمعاني والألفاظ المزهقة للحق دائماً نسمعها ونرى الناعقين بها المنادين بها ليلاً ونهاراً في السر والعلن وفي الإعلام المقروء والمسموع والمشاهد ، واعلم أن كل ما ذكرناه من هذه العبارات وما في معناها أعظم ما يذيب الولاء والبراء ويضيعه وينقض التوحيد والموالاة فيه .

وتأمل كيف زعم أهل الصليب النصارى واليهود في هيئاتهم وقراراتهم بمكرهم وخداعهم أنهم يريدون نشر السلام والحرية والتعددية والإخاء وأن الأديان لا عداء بينها وأن من يعادي لدينه راع للإرهاب يجب أن ينبذ ويحارب . مع حربهم الضروس على المسلمين ، لتعلم أنهم بدعوتهم هذه لا يريدون غير أن يهدموا الإسلام ويسقطوا كيان التوحيد والملة الإبراهيمية التي قامت على الولاء والبراء وكفراً بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ آل عمران: ٨٥.

وهذا منهم ليس بعجيب ولا مستغربا إنما العجب في من صدق دعواهم وكذب كتاب ربه ، فصار كالكلب لأسياده مناديا بما ينادي به اليهود والنصارى

ويتفانى في خدمتهم وتحقيق مطامعهم فيزعم أن المجاهدين أهل إرهاب وأن الناس إخوة مسلمهم وكافرهم والفرق في طرق العبادة، فرموا التوحيد والجهاد وأهله بقوس واحده . وكم نسمع من قمة وقرار واجتماع وهيئة في تقرير ذلك والدعوة إليه في الجمع بين الأديان وحماية حقوق الإنسان الكافر وحرب المسلم المجاهد وإسلامه للعدو الكافر ، والعجيب فوق هذا كله تأييد أصحاب الفتاوى لهم متخذين من موالاة الكافرين ومعاداة الموحدين قاعدة لهم .

الحادي عشر : عدم عداوتهم :

الدعوة لنبذ العنف والمصادمة والمخالفة والخلاف والصدام، والدعوة للسلام والتعايش ، وعدم تربية المسلمين وتعليم الأبناء والطلاب معاداة الكفار لإرضائهم.

وترك إظهار العداوة لهم ، وعدم قصد مخالفتهم ، وترك قتالهم وإيقاف الجهاد ضدهم مطلقاً ، وعدم إلزام الكفار في بلاد الإسلام بأحكام الإسلام الظاهرة وإخفاء شعائر دينهم وعدم إظهارها، وإلغاء الفوارق بين المسلم والكافر وادعاء المساواة بينهما مطلقاً .

ومن هذا الباب من يدعو إلى كف المسلمين عن التعرض للكفار وعدم سبهم وتنقصهم والتنكيل بهم حمية لهم من غير قصد دعوتهم للإسلام وهذا من صور موالاة الكفار.

قال الشيخ سليمان آل الشيخ في رسالته أوثق عرى الإيمان : (الذي يتسبب بالدفع عن الكفار حميّة دنيوية إما بطرح نكال أو دفن نقائص المسلمين لهم، أو يشير بكف المسلمين عنهم من أعظم الموالين المحبين للكفار من المرتدين والمنافقين

وغيرهم .. وإن كان المراد بكف المسلمين عنهم أن لا يتعرض المسلمون لهم بشيء لا بقتال، ولا نكال وإغلاظ ونحو ذلك، فهو من أعظم أعوانهم، وقد حصلت له موالاتهم مع بعد الديار، وتباعد الأقطار) .

ومن هذا الباب ما دعا إليه بعض الجهال من أنه لا يشرع الدعاء على اليهود والنصارى ولا يجوز لعنهم بالعموم وهذا القول من صور موالاة الكفار وعدم معاداتهم، ونحن نقول ما قاله لنا رسولنا ﷺ : (لعنة الله على اليهود والنصارى).

كذلك من هذا الباب من يزعم أن الأصل مع الكفار السلم وعصمة الدم وليس الحرب والقتل ، ويكذب زعمهم قول النبي ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) متفق عليه.

الثاني عشر : مدحهم والثناء عليهم وتعظيمهم والفرح بهم .

وتعظيمهم واحترامهم والإعجاب بهم والرضا بهم وتبجيلهم وتوقيرهم وإكرامهم والقيام لهم والإعراض عن المسلمين والإقبال عليهم والمبالغة في استقبالهم وابتداؤهم بالسلام والمبالغة في الترحيب بهم وتصديرهم في المجالس والتذلل لهم وخدمتهم ودعاؤهم بالكنية والألقاب التي فيها تعظيم ومدحهم والثناء عليهم الإعجاب بهم ملاطفتهم والتودد لهم، والفرح برؤيتهم والمسرة بوجودهم والانبساط لهم وانشراح الصدر لهم البشاشة وطلاقة الوجه لهم والسرور بمجالستهم والأنس بهم ، وعدم إصغارهم وإهانتهم كما أمر الله تعالى.

ومن الأدلة المحرمة لمدح الكفار وتعظيمهم والموجبة علينا إهانتهم:

قال النبي ﷺ : (لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي.

وروى أبو نعيم في الحلية عن علي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تساووهم في المجلس وأجئوهم إلى أضيق الطرق فإن سبّوكم فاضربوهم وإن ضربوكم فاقتلوهم) . وفي رواية : (صغّروا بهم كما صغر الله بهم) .

عن بريدة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تقولوا للمنافق سيدا فإنه إن يكن سيدا فقد أسخطتم ربكم) رواه أبو داود والنسائي .

وعند الحاكم:(إذا قال الرجل للمنافق يا سيد فقد أغضب ربه تبارك وتعالى).

وعند البيهقي في الشعب:(إذا قال الرجل للمنافق ياسيد فقد باء بغضب ربه) .

عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز لذلك العرش) رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبيهقي في شعب الإيمان .

وعن جابر ﷺ قال : نهى رسول الله ﷺ أن يصافح المشركون أو يكنّوا ويرحب بهم . رواه أبو نعيم في الحلية .

وقال ﷺ :" من وقّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام " رواه الطبراني وفيه ضعف .

والمادح للكفار على قسمين :

١ - إن مدح فيهم أمراً دنيويا كأن يقال فلان شجاع وكأن يقال حاتم كريم وعنتر شجاع أو هذا الكافر لا يخلف مواعيده ونحو ذلك فهذا أمر لا يعتبر محرما

فضلا عن أن يكون شركاً ما لم يصل إلى محبة الكافر وتعظيمه واحترامه وتبجيله فهنا تصبح موالاة محرمة.

٢- إن مدحهم في دينهم وشركهم كأن يقول أفضل طريقة في التجارة هي الطريقة الرأسمالية أو الاشتراكية أو اللبرالية أو الدمقراطية أو الطريقة الفلانية والإسلام ما وسع الجانب الفلاني أو الاقتصاد في هذا الزمان لا يجري عليه أحكام الشريعة لأنه لم يكن مثله في زمن الرسول ﷺ، فهذا المدح كفر ويخرج من الملة لأنه صحح طريقة المشركين بمدحه هذا .

الثالث عشر : التشبه بهم وتقليدهم.

وسيأتي مبحث التشبه بهم.

الرابع عشر:مداهنتهم ومجاملتهم ومداراتهم لمصلحة الدنيا على حساب الدين.

(١٤٠) صور موالاة الكفار :

١- محبتهم ومودتهم .

٢- الرضا بهم أو بكفرهم .

٣- تصحيح مذهبهم ومدح طريقتهم وتصويب دينهم .

٤- عدم تكفيرهم أو الشك في كفرهم وأنهم من أهل النار .

٥- مظاهرتهم ومناصرتهم ومعاونتهم بالمال والبدن والرأي .

٦- الشماتة بأهل الإسلام أمامهم .

٧- كشف عورات المسلمين لهم ونقل أخبارهم وأسرارهم إليهم .

٨- التجسس والعمالة لهم والدلالة على المسلمين .

٩- الإعراض عن المسلمين والإقبال عليهم

١٠- السماح لهم بالدعوة لدينهم .

١١- فتح الإعلام لهم ليفسدوا المسلمين ويظهروا ما عندهم .

١٢- السماح لهم ببناء الكنائس وإظهارهم لدينهم .

١٣- فتح المدارس وإنشاؤها لهم يعلمون فيها ما يريدون من كفرهم .

١٤- قتل المسلم بالكافر وإهانة المسلم لإرضائهم .

١٥- تمكينهم من إهانة المسلم والاعتداء عليه .

١٦- ترك قتالهم وإيقاف الجهاد ضدهم مطلقاً .

١٧- عدم إظهار العداوة لهم .

١٨- عدم قصد مخالفتهم .

١٩- موافقتهم في الباطن أو الظاهر .

٢٠- إذابة الروابط الدينية الإسلامية مع المسلمين واستبدالها بالروابط الجاهلية وإحياء العصبيات والنعرات والشعارات والتحزبات.

٢١- إلغاء الفوارق بين المسلم والكافر وادّعاء المساواة بينهما مطلقاً .

٢٢- نشر كتبهم ومجلاتهم وثقافاتهم والسماح لهم بنشر أفكارهم وفسادهم .

٢٣- احترام شعائرهم وشعاراتهم ومن ذلك تعليق أعلامهم.

٢٤- دخول كنائسهم وإظهار الرضا والإعجاب بها .

٢٥- تحقيق أهدافهم وغزوهم الفكري وتيسير مساعيهم في حرب الإسلام .

٢٦- عدم تربية المسلمين وتعليم الأبناء والطلاب على معاداة الكفار.

٢٧-عدم إلزامهم بأحكام الإسلام الظاهرة وإخفاء شعائر دينهم.

٢٨- تقليدهم في مذاهبهم الكفرية والتحايل على الله بدعوى أسلمتها .

٢٩- تلميعهم وإبداء محاسنهم ومحاولة إظهار أنهم على شيء وعندهم خير.

٣٠- السماح لهم بإظهار كفرهم بحجة التعبير عن الرأي وحرية الفكر .

٣١- إتخاذهم بطانة ومباطنتهم.

٣٢- اتخاذهم وليجة من دون المؤمنين .

٣٣- استعمالهم في أمر من أمور المسلمين واستخدامهم كتابا وعمالا وخدما.

٣٤- استئمانهم وعدم تخوينهم، وقد خونهم الله .

٣٥- جعل السفارات الدائمة عندهم واتخاذهم سفراء.

٣٦- الإعتماد عليهم من غير ضرورة.

٣٧- الرضا بهم .

٣٨- الوثوق بهم والثقة فيهم .

٣٩- الميل إليهم .

٤٠- استمالتهم .

٤١- محالفتهم وجعلهم حلفاء .

٤٢- الدفاع عنهم والذب عنهم والتماس الأعذار لهم .

٤٣- اتخاذهم أعوانا والاستعانة بهم في كل شيء .

٤٤- توليتهم وتنصيبهم وتأميرهم .

٤٥- الاستجابة لدعوتهم والتشرف بهم.

٤٦- معاونتهم في أمورهم ولو بشيء يسير كالتقريب لهم والمناولة .

٤٧- الاعتزاز بهم وابتغاء العزة منهم .

٤٨- تحسين العلاقات الودية الدائمة معهم .

٤٩- المشورة عليهم .

٥٠- تأييدهم ودعمهم إعلاميا .

٥١- استشارتهم ومشاورتهم

٥٢- تنفيذ مخططاتهم

٥٣- تسهيل أمورهم وتيسير وتنفيذ مطالبهم .

٥٤- السعي في تقويتهم ونفعهم .

٥٥- نصرتهم ومعاونتهم .

٥٦- اعطاؤهم الأموال ليتقووا بها .

٥٧- مناصحتهم والصدق في النصح لهم ، في غير الدعوة للإسلام.

٥٨- تمكينهم من استغلال أموال المسلمين وثرواتهم .

٥٩- إعطاؤهم شيئاً من بلاد المسلمين .

٦٠- إدخالهم بلاد الإسلام والسماح لهم بالإقامة والتملك .

٦١- عدم إخراجهم من جزيرة العرب .

٦٢- مداهنتهم ومجاملتهم ومداراتهم لمصلحة الدنيا على حساب الدين .

٦٣- التحرج من تكفيرهم ومناداتهم بالأسماء التي سماهم الله بها كالمشركين والكافرين وتسميتهم بأسماء بلدانهم أو بالصديق والآخر والغير والأخوة الإنسانية.

٦٤- الصدق معهم ونصحهم والتصافي معهم .

٦٥- تهنئتهم بأعيادهم وهذا من شهادة الزور الواردة في الآية .

٦٦- رفع شعاراتهم .

٦٧- الدخول في سلطانهم .

٦٨- تفضيل الكافرات على المسلمات في الزواج.

٦٩- الشراء منهم من غير ضرورة إلا لنفعهم .

٧٠- مشاركتهم اقتصادياً من غير ضرورة.

٧١- طاعتهم .

٧٢- الركون إليهم .

٧٣- التشبه بهم .

٧٤- إتباع أهوائهم ومتابعتهم .

٧٥- التأريخ بتاريخهم الميلادي .

٧٦- التسمي بأسمائهم .

٧٧- التحدث بلغتهم من غير ضرورة وقد جاء النهى عنه لأنه يورث النفاق.

٧٨- مخالطتهم ومعاشرتهم .

٧٩- السفر إليهم من غير ضرورة .

٨٠- عدم الهجرة من بلاد الكفار لبلاد المسلمين .

٨١- التجنس بجنسياتهم .

٨٢- الإقامة بين ظهرانيهم .

٨٣- العيش معهم والسكنى بينهم في ديارهم وقد تبرأ الرسول ﷺ من ذلك .

٨٤- مصادقتهم ومصافاتهم.

٨٥- مصاحبتهم .

٨٦- مؤاخاتهم واتخاذهم إخوانا.

٨٧- الإلتصاق بهم .

٨٨- حضور مجالسهم ومجامعهم .

٨٩- مدحهم والثناء عليهم .

٩٠- تبجيلهم وتعظيمهم .

٩١- احترامهم وتوقيرهم .

٩٢- الفرح برؤيتهم .

٩٣- المسرة بوجودهم .

٩٤- الانبساط لهم وانشراح الصدر لهم.

٩٥- البشاشة وطلاقة الوجه لهم .

٩٦- إكرامهم والمبالغة في استقبالهم.

٩٧- تقريبهم .

٩٨- الجلوس معهم وزيارتهم للأنس بهم والدخول عليهم ومصاحبتهم .

٩٩- تقديمهم.

١٠٠- تصديرهم في المجالس .

١٠١- التذلل لهم .

١٠٢- خدمتهم .

١٠٣- القيام لهم .

١٠٤- ابتداؤهم بالسلام والمبالغة في الترحيب بهم .

١٠٥- دعاؤهم بالكنية والألقاب التي فيها تعظيم كسيد .

١٠٦- ملاطفتهم والتودد لهم .

١٠٧- ذكرهم وتسميتهم بها في تعظيم لهم .

١٠٨- الإعجاب بهم .

١٠٩- السماح لهم بإظهار الفساد والإذن لهم بنشر شعاراتهم وأفكارهم.

(١٤١) ضوابط الموالاة الكبرى المكفرة :

١- توليهم ، التولي العام المطلق للكفار .

٢- محبة الكفار لما هم عليه من الكفر ، أو محبة جميع الكفار أو جنس منهم .

٣- مظاهرة الكفار ومناصرتهم على المسلمين ، والعمالة لهم والتجسس على المسلمين والدلالة عليهم وكشف عوراتهم وسرهم والفرح بظهورهم على المسلمين.

٤- كل ما فيه نيل من الإسلام وحرب له وصد عنه، وهذا يدخل في ناقض بغض الدين.

٥- عداوة المؤمنين وحربهم وبغضهم والشماتة بأهل الإسلام أمامهم .

٦- السعي لإظهار الكفار وتمكينهم في الأرض وتسليطهم وإعانتهم .

وكل ما فيه تمكين للكفار أو تنفيذ مخططاتهم وتحقيق أهدافهم وترويج غزوهم الفكري وتسيير مساعيهم في حرب الإسلام أو السماح لهم بالدعوة لدينهم .

٧- صرف جنس الموالاة لهم . من طاعتهم وتعظيمهم والركون إليهم وملازمتهم ومصاحبتهم ومصادقتهم وموافقتهم والتشبه بهم والإقامة عندهم رغبة واختياراً لصحبتهم فيرضى ما هم عليه ويرضيهم بعيب المسلمين واتخاذهم بطانة وأصحابا ومدحهم والثناء عليهم وتبجيلهم والإعجاب بطريقتهم والنصح لهم وإكرامهم وإدناؤهم والفرح بهم وتفضيلهم على المسلمين وتقديمهم في كل شيء والإعراض عن المسلمين والإقبال عليهم، ومن فعل هذه الصور مجتمعة كان كافرا والعياذ بالله وهذا الضابط داخلا في الأول.

٨- عدم بغض الكفار وترك معاداتهم مطلقاً.

٩- عدم تكفيرهم أو تفضيل شيء من هديهم أو تصحيح مذهبهم .

١٠- التشبه بهم في فعل شيء من شعائرهم الدينية كلبس الصليب ونحوه .

١١- إلغاء الفوارق بين المسلم والكافر وإدعاء المساواة بينهما مطلقاً ، وتقرير وحدة الأديان والتقريب بينها، وإزالة الخلاف العقدي، وإسقاط الفوارق الأساسية بين الكفر والإيمان.

١٢- موافقة الكفار من غير إكراه والتشبه المطلق بهم .

قال الشيخ ابن بدران : (ويندرج في هذه الولاية المكفرة من جعل نفسه جاسوسا لهم على المسلمين أو معينا لهم على نفوذ أمرهم ومن طلب من الكفار حمايتهم من غير ضرورة تلجئه إلى ذلك ومن استعان به الكفرة بالرد على القرآن وتشكيك المسلمين في دينهم ، ومثل هؤلاء لاخلاف في ردتهم) الروضة ص١١٧ .

وقال الشيخ عبد اللطيف : (وأكبر ذنب وأضله وأعظمه منافاة لأصل الإسلام نصرة أعداء الله ومعاونتهم والسعي فيما يظهر به دينهم وما هم عليه من التعطيل والشرك والموبقات العظام، وكذلك انشراح الصدر لهم وطاعتهم والثناء عليهم، ومدح من دخل تحت أمرهم وانتظم في سلكهم، وكذلك ترك جهادهم ومسالمتهم، وعقد الأخوة والطاعة لهم). مجموعة الرسائل ٣/ ٥٧ .

وقد أوضحت هذه الضوابط و بينت أدلتها وأقوال أهل العلم في ثنايا الكتاب

(١٤٢) نصت الأدلة الشرعية على بعض صور الموالاة :

كالمودة والمحبة والطاعة وإرضائهم ومداهنتهم والمسارعة إليهم ومدحهم والميل والركون إليهم واتخاذهم بطانة ووليجة والإقامة معهم وعدم المفارقة.

مباحث متعلقة بالولاء والبراء

مبحث المظاهرة . في باب مستقل .

مبحث : المداراة والمداهنة وعلاقتها بالولاء والبراء :

(١٤٣) تعريفها :

معنى المداهنة : ترك ما يجب لله من الولاء والبراء والغيرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتغافل عن ذلك لغرض دنيوي وهوى .

فالمداهنة هي المعاشرة والاستئناس والمسالمة والمصانعة والملاطفة مع وجود المنكر والقدرة على الإنكار وقد نهي عنها نبينا ﷺ والدليل: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾.

والمداراة : هي درء الشر والمفسدة بالقول اللين وترك الغلظة وإظهار المعاداة والإنكار إذا خيف حصول منكر اشد منه أو الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره وبطشه .

(١٤٤) حكمها :

حكم المداهنة : محرمة ومن كبائر الذنوب لأنها تميت الحق وتظهر المنكرات وتلغي الولاء والبراء ، وقد تفضي إلى الكفر وتكون ردة.

حكم المداراة : تجوز بشرطين :

الأول : إذا لم يترتب عليها قدح في أصل من أصول الإسلام أو تعطيل أحد فرائضه أو كان أمراً عاماً .

الثاني : إذا لم تؤدي إلى إضرار بالغير فلا تجوز حينئذ .

فإذا ترتب على المداراة ضرر بالغير أو قدح في الأصول العظام أو كتم للحق وكان في أمر عام كانت داخلة في المداراة المحرمة والمداهنة والموالاة.

فالمداراة قسمان : مباحة ، ومحرمة تدخل في المداهنة إذا تخلفت شروطها.

(١٤٥) الفرق بين المداهنة والمداراة :

المداهنة : ترك ما يجب من إظهار معاداة الكفار وإنكار المنكرات لأجل المصالح الدنيوية .

المداراة : ترك ما يجب من إظهار معاداة الكافر والإنكار لأجل خوف مفسدة أعظم من إظهار المعاداة أو لأجل مصلحة شرعية .

ومن الفروق بينها أيضا ما ذكره القرطبي والقاضي عياض وابن حجر :

(المداراة : بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين وهي مباحة ،

والمداهنة : بذل الدين لصلاح الدنيا) . فتح الباري ١٠/ ٤٥٤.

وقال نحوه عبد اللطيف آل الشيخ في الدرر(٨/ ٧٢) .

(١٤٦) تنبيه : إذا ترتب على المداراة مظاهرة للكفار ونحوها كانت كفراً، كما أن المدارة مع الكافر المحارب للمسلمين وإظهار الموافقة له ردة كالمداهنة والعياذ بالله، خلافا لما يظنه بعض الجهال من جواز المداراة مطلقا .

(١٤٧) علاقة المداهنة والمداراة بالولاء :

المداهنة والمداراة المحذورة من الموالاة غير المشروعة المحرمة، لكونها متعلقة بعدم إظهار المعاداة للكفار والفسقة والبراء منهم .

مبحث : التشبه بالكفار

وتحت باب التشبه مسائل وقواعد :

(١٤٨) تعريف التشبه :

هو المماثلة والمحاكاة والتقليد والموافقة.

وشرعا : هو مشابهة الكفار فيما هو من خصائصهم .

(١٤٩) ضابط التشبه :

فعل ما يعرف بالعادة أنه من أفعال الكفار ومن زيهم وخصائصهم وصفاتهم.

(١٥٠) لو أسلم كفار على زيهم وصار عادة للمسلمين فإنهم يقرون ما لم تكن تحمل شعاراً للكفر .

(١٥١) حكم التشبه :

التشبه منه ما هو كفر ناقل عن الملة ومنه ما هو دون ذلك .

(١٥٢) التشبه بالكفار له ثلاث حالات :

١- التشبه بهم في ما هو من خصائص دينهم وشعائرهم .

٢- التشبه بهم تشبها تاما في الظاهر في كل شيء.

٣- التشبه بهم في بعض الأحوال في الأمور الدنيوية.

وحكم التشبه أنه كفر في الحالتين الأوليتين :

الأولى : إذا كان التشبه في ما هو من خصائص دينهم وشعائرهم كأن يلبس لباس القساوسة أو لبس زنانير اليهود أو شوكة عباد الشيطان أو علق الصليب

ولبس لباساً فيه الصليب فإن هذا ردة وكفر وشرك لأن هذا التقليد يستلزم تصحيح ما هم عليه من كفر وشرك.

الثانية : إذا كانت المشابهة تامة في الظاهر في كل شيء.

وقد قرر أهل العلم أن موافقة الكافر في الظاهر والزي الخارجي والأفعال بحيث من رأى المتشبه لا يفرق بينه وبين الكفار أن هذا من الكفر .

يقول ابن تيمية عن حديث (من تشبه بقوم فهو منهم): " وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله:﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ المائدة: ٥١. فقد يحمل هذا على التشبه المطلق، فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه منهم، في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفرا، أو معصية أو شعارا لهم، كان حكمه كذلك. ". الاقتضاء ١/ ٢٣٧ .

قال القاضي حسين من الشافعية :(لو تقلنس المسلم بقلنسوة المجوسي أو تزنر بزنار النصراني صار كافراً لأن الظاهر أنه لا يفعل ذلك إلا عن عقيدة الكفر) من كتاب حسن التنبه لما ورد في التشبه .

أما لو قلد المسلم كافراً في أمر دنيوي كأن يقلده في لبس معين فإنه يعد مرتكبا أمراً محرماً .

(١٥٣) أدلة النهي عن التشبه :

١ – قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ آل عمران: ١٥٦.

٢ – قال تعالى:﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الفاتحة: ٧.

٣- قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يونس: ٨٩.

٤- قال تعالى: ﴿ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ الأعراف: ١٤٢.

٥- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الجاثية: ١٨.

٦- قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ البقرة: ١٢٠.

٧- قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ التوبة: ٦٩

٨- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ الحديد: ١٦.

٩- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ آل عمران: ١٠٥.

١٠- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ الفرقان: ٧٢.

قال بعض السلف حضور أعياد الكفار.

١١- قال تعالى: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ المائدة: ٤٨، وفي الآية بعدها: ﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾.

١٢- قال ﷻ: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ الشورى: ١٥.

وفي هذه الآيات رد على من زعم أن التشبه بالكفار لم ينهى عنه في القرآن.

ومن السنة :

١- قال النبي ﷺ : (خالفوا المشركين) رواه البخاري .

٢- نهى النبي ﷺ عن التشبه بالكفار فقال: (من تشبه بقوم فهـو مـنهم). رواه أبو داود وأحمد بسند جيد .

(١٥٤) علة النهي عن التشبه بالكفار:

التشبه بالغير يورث التبعية له والدخول تحت حزبه وطاعته ومحبته .

(١٥٥) الـحِكَم في النهي عن التشبه بالكفار :

١- الوقوع في التبعية لهم ، واتباع غير سبيل الله .

٢- أن المشابهة تدعو للموالاة والميل إليهم وتفضي للمحبة المودة.

٣- أن المشابهة تورث التعظيم والمهابة للكفار وإذلال المسلم وإهانته.

٤- أنها تناقض احتقارهم وإهانتهم وإصغارهم كما أمر الله ﷻ .

٥- أن المخالفة في الظاهر تعين على معاداة الكفار ومجانبتهم وعدم موالاتهم .

٦- أن مخالفتهم وعدم التشبه بهم من صور البراءة منهم .

٧- أن أعمال الكفار وما يختصون به لا تسلم من النقص والضرر .

٨- فساد مذهب الكفار إذا الصلاح في ما أمر الله به والشر في مخالفته .

٩- أن في التشبه عدم التمييز والتفريـق بـين أوليـاء الله وحزبـه وبـين حـزب الشيطان، والتمايز بين المسلم والكافر أمر مقصود في الشريعة .

(١٥٦) علاقة التشبه بالموالاة :

موافقة الكفار ومشابهتهم في عمل واحد يدخل صاحبه في جنس الموالاة ويحكم عليه أنه متشبه ويصدق عليه اسم المتشبه .

ولا يشترط في ذلك أن يوافقهم في جميع الأعمال ويتشبه بهم في كل شيء .

فالمشابهة داخلة في عموم الموالاة من جهتين :

١- أن التشبه والمشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسباً بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال والاختلاط ويزول التمايز ، ومن ثم الموالاة والتعظيم.

٢- أن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة وانقطاعا وبراءة.

(١٥٧) علاقة الباطن بالظاهر في التشبه :

أولاً : التشبه في الظاهر يورث المحبة والموافقة في الباطن والميل إليهم.

ثانياً : المحبة والتعظيم في الباطن تؤدي للتشبيه والتقليد لمن أحبه.

فالمشاركة للكفار في الهدي الظاهر تؤول إلى مشاركة ومشابهة في الأخلاق ، وموالاة في الباطن، وفي المقابل فإن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة عن الكفر وأسبابه، وتحقق عداوة وبراءة من الكفار .

كما أن المخالفة في الظاهر تعين على مقاطعة الكافرين ومجانبتهم ومعاداتهم وعدم موالاتهم .

قال ابن القيم في أحكام أهل الذمة : (ليحصل كمال التمييز وعدم المشابهة في الزي الظاهر ليكون ذلك أبعد من المشابهة في الزي الباطن فإن المشابهة في أحدهما تدعو إلى المشابهة في الآخر بحسبها).

(١٥٨) بطلان قول إن المحرم في التشبه إذا قصد المتشبه التشبه بهم :

وهذا باطل فالنهي عن التشبه جاء عاما ولم يخصص بوجود قصد التشبه، ثم إن علل تحريم التشبه موجودة فيمن نوى المشابهة وفيمن لم ينوها والمفاسد موجودة في الحالين .

قال ابن تيمية:" ما نهى عنه من مشابهتهم يعم ما إذا قصدت مشابهتهم أو لم تقصد ، فإن عامة هذه الأعمال لم يكن المسلمون يقصدون المشابهة فيها، وفيها ما لا يتصور قصد المشابهة كبياض الشعر). اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٧٣.

(١٥٩) الفرق بين مخالفة الكفار والنهي عن مشابهتهم :

الأمر بالمخالفة أعم من الأمر بترك المشابهة .

ووجه ذلك: أن الأمر بالمخالفة يقتضي البعد عن موافقة الكافر في أمورهم حتى لو وافق فعلهم فعلنا، وأما الأمر بترك التشبه بهم فهو يقتضي النهي عن إرادة ذلك وتقصده .

(١٦٠) قاعدة : جنس المخالفة للكافرين أمر مقصود للشارع.

قال ﷺ : (خالفوا المشركين) . ويضاد هذا المبدأ موافقتهم والتشبه بهم .

(١٦١) الأمور التي فيها تشبه بالكفار .

١- مشابهتهم في العقائد ودينهم وعباداتهم وطقوسهم .

٢- مشابهتهم في أعيادهم ، أو مشاركتهم فيها أو تهنئتهم بها وهذا من شهادة الزور الواردة في الآية .

٣- مشابهتهم في عاداتهم وأخلاقهم وسلوكهم .

٤- ومشابهتهم في خصائص حياتهم كالملبس والمأكل والمشرب والمشابهة في هذه الأمور من الكبائر العظام المفضية لمفاسد عظيمة .

٥- رفع شعاراتهم .

٦- التأريخ بتاريخهم الميلادي والتسمي بأسمائهم.

٧- التحدث بلغتهم من غير ضرورة وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: (من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم العجمية فإنه يورث النفاق) الحاكم .

وورد مثله عن عمر ﷺ .

(١٦٢) التشبه بهم فيما يوجب الكفر والخروج عن الملة كلبس الصليب والزنار وتعظيم شعائرهم.

قال القاضي عياض : (وكذلك نكفر بكل فعل أجمع المسلمون على أنه لا يصدر إلا من كافر وإن كان صاحبه مصرحا بالإسلام مع فعله ذلك كالسعي إلى الكنائس مع أهلها بزيهم من شد الزنار وفحص الرؤوس فقد أجمع المسلمون أن هذا الفعل لا يوجد إلا من كافر)الشفاء ٢/ ١٠٧٢ .

وقال ابن تيمية : (ومن زار الكنائس واعتقد أن زيارتها قربة فقد كفر فإن كان مسلما فهو مرتدا) مختصر الفتاوى المصرية ٥١٤ .

وقال الخرشي في شرح مختصر خليل : (وكذلك يكون مرتدا إذا شد الزنار ..ومثله فعل شيء مما يختص بزي الكفار) .

وفي فتاوى اللجنة: (إذا بين له حكم لبس الصليب وأنه شعار النصارى ودليل على أن لابسه راض بانتسابه إليهم وأصر على ذلك حكم بكفره) ٢/ ٧٨.

(١٦٣) ورد النهي عن التشبه لعدة أجناس منها :

الأعاجم والفسقة العصاة والحيوانات والنساء والغرب الروم وأهل الكتاب وأهل الجاهلية والأعراب والشيطان .

وعلة النهي ما يترتب من التشبه بهم من وجود المنقصة وإضعاف الدين والاعتزاز به ، ولابن تيمية كلام في هذا الباب في كتابه الاقتضاء.

(١٦٤) مبحث : تحريم مشاركة الكفار في أعيادهم :

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ الفرقان: ٧٢.

فمدح الله ﷻ عباده الذين يمتنعون عن شهود أعياد المشركين فهذا يقتضي الندب إلى ترك شهودها ، وتسمية الله تعالى لها زورا تقتضي تحريم فعلها .

عن أنس ﷺ قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: (ما هذان اليومان؟) قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ : (إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر) رواه أبو داود وغيره .

فلم يقر الرسول ﷺ اليومين الجاهليين ولا تركهم يلعبون فيهما على عادتهم وقال: إن الله قد أبدلكم بهما يومين خيرا منهما ، والإبدال عن الشيء يقتضي الإقلاع عن المبدل منه والنهي عنه .

وعن ثابت بن الضحاك ﷺ قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببُوَانَة فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببُوَانَة، فقال النبي ﷺ : (هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد)، قالوا: لا، قال: (فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟) قالوا: لا فقال النبي ﷺ (أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم).رواه أبو داود .

ودلّ هذا الحديث على أن الذبح بمكان عيدهم معصية لله و(لا وفاء لنذر في معصية الله).

وهذا النهي متعلق بالذبح بالبقعة التي يقيمون فيها عيدهم ، فكيف بمشاركتهم في نفس عيدهم.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يصوم يوم السبت والأحد أكثر ما يصوم من الأيام، ويقول إنهما يوما عيد للمشركين فأنا أحب أن أخالفهم . رواه النسائي . وهذا نص في مشروعية مخالفتهم في عيدهم .

وقال عمر ﷺ : (لا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم فإن السخطة تنزل عليهم) رواه البيهقي.

وقال : اجتنبوا أعداء الله في عيدهم .

وفي شروط عمر على أهل الذمة : أنهم لا يظهرون أعيادهم في دار الإسلام . فكيف بمشاركتهم وتهنئتهم .

وهذا يوجب العلم اليقيني بأن النبي ﷺ كان يمنع أمته عن أعياد الكفار، ويسعى في إزالتها بكل وسيلة ، وهكذا فعل الصحابة من بعده ، وذلك لأن مشابهة الكفار في أي فعل من أفعالهم لا تجوز، ومن باب أولى موافقتهم في أعيادهم.

(١٦٥) مما هو أعظم حرمة من مشاركة الكفار في أعيادها تشريع أعياد شركية مضاهية للأعياد الإسلامية وإحداث أعياد بدعية مشابهة للكفار كالأعياد الوطنية .

وضابط العيد ما كان محددا بيوم معين ويحصل فيه اجتماع وأعمال معينة خاصة كالتهنئة والإكرام أو جعله يوم راحة . ولا يختلف حكم التحريم بعد ذلك سواء سمي عيدا أو يوم كذا أو الاحتفال باليوم الفلاني فهذا لا يغير كونه عيدا محرما .

وقد بين ذلك ابن تيمية في اقتضاء الصراط .

مبحث الهجرة

(١٦٦) تعريفها :

لغة الترك . وهي الخروج من البلد الذي هو فيه .

الهجرة شرعا : الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام .

(١٦٧) ضابط بلاد الإسلام والكفر .

اختلف أهل العلم في ضبطها :

فقيل : مردها للحاكم فدار الإسلام من يحكمها مسلم ودار الكفر من يحكمها كافر أصلي أو مرتد .

وقيل : مردها لسكانها : فمن كان أهلها على الإسلام فديار إسلام وإلا فديار كفر.

وقيل: مردها لظهور الشعائر .

وقيل مردها لما تحكم به فإذا كانت محكومة بشريعة الإسلام فديار إسلام وإذا حكمت بغير ما أنزل الله فكفر حتى ولو حكمت بقانون واحد يخالف شريعة الإسلام فديار كفر .

قال ابن القيم : دار الإسلام هي التي نزلها المسلمون وجرت عليها أحكام الإسلام .

(١٦٨) أقسامها :

١- هجرة أوطان : بالانتقال من بلد إلى بلد .

٢- هجرة أبدان : بترك العصيان والكفران، كما أمر النبي ﷺ بذلك أصحابه.

(١٦٩) أنواعها :

١- هجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام .

٢- هجرة من بلد الخوف على الدين إلى بلد الأمن كما هي الهجرة للحبشة . وكالهجرة لبلاد الكفر إذا كان حكمها وقانونها يسمح بإظهار الدين الإسلامي .

٣- هجرة من بلاد الفسق والمعاصي إلى بلد الطاعة والصلاح .

(١٧٠) أدلتها :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ٩٧ .

قال تعالى : ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ النساء: ٨٩.

قال تعالى : ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ العنكبوت: ٥٦.

وقال النبي ﷺ : (من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله) رواه أبو داود.

وقال ﷺ : (أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين) رواه أبو داود .

وقال ﷺ : (لا يقبل الله من مشرك أشرك بعدما أسلم عملاً حتى يفارق المشركين إلى المسلمين) رواه أحمد.

وقال ﷺ : (لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم في مساكنهم ومن جامعهم فليس منا) أخرجه الحاكم.

(١٧١) حكم الهجرة والإقامة:

إذا كانت الإقامة ببلاد الكفر رغبة واختيارا لصحبتهم فيرضى ما هم عليه ويمدحهم أو يعينهم على المسلمين فهذه ردة .

أما إذا ترك الهجرة وفضل الإقامة عندهم لأجل دنياه ولم يوافقهم أو يعينهم وأبغضهم ولكن لم يظهر معاداتهم فهو عاص .

وأما إن أقام عندهم وهو مظهر لعداوتهم فمحل خلاف :

فذهب كثير من العلماء إلى جواز الإقامة بين أظهر الكفار وعدم وجوب الهجرة إذا كان يظهر دينه فيتبرأ منهم وأنهم على الباطل وأمن الفتنة .

والصحيح عندي والله أعلم أن الأصل تحريم الإقامة في بلاد الكفار بنص الأحاديث والآيات والهجرة واجبة عند القدرة حتى مع القدرة على إظهار الدين.

(١٧٢) أحكام الهجرة :

١- من تجب عليه الهجرة : وهو القادر عليها مع عدم القدرة على إظهار دينه.

٢- تستحب : إذا كان قادرا على إظهار دينه . وتسقط عن العاجز .

(١٧٣) شروط جواز السفر لبلاد الكفار:

١- أن يتمكن من إظهار دينه .

٢- أن يمتلك ديناً وعلماً يمنعانه من الشهوات والشبهات .

٣- أن يكون سفره وإقامته للضرورة .

(١٧٣) أحوال الإقامة عند الكفار :

تقدم عند الكلام عن الإقامة ببلاد الكفار .

(١٧٤) متى شرعت :

شرعت الهجرة للحبشة في السنة الخامسة للبعثة وبعد ثلاث عشرة سنة من البعثة شرعت الهجرة للمدينة.

(١٧٥) الهجرة باقية إلى قيام الساعة :

قال ﷺ : (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) رواه أبو داود والنسائي وأحمد .

أما الحديث المتفق عليه : (لا هجرة بعد الفتح) فهو خاص في الهجرة من مكة إلى المدينة فهذه انتهت بعد فتح مكة.

(١٧٦) حقيقة إظهار الدين الواجب ، تقدم بيانه .

تنبيه: قدمنا الأحاديث الناهية عن الإقامة مع المشركين وكلام العلماء في ذلك.

(١٧٧) مبحث : الـهَجْـر :

جاءت السنة بهجر أهل المعاصي وعدم السلام عليهم ولا الرد عليهم إن سلموا وعدم حضور ولائمهم خصوصاً إن احتوت المعاصي حتى يتوبوا .

ومن ذلك : هجر النبي ﷺ كعب بن مالك وصاحبيه خمسين يوما، وهجر زينب بنت جحش رضي الله عنها قريبا من شهرين لما قالت : أنا أعطي تلك اليهودية تعني صفية ، وهجر الذي بنى فوق الحاجة حتى هدم بناءه وسواه بالأرض، وهجر رجلا رآه متخلقا بزعفران حتى غسله وأزال عنه أثره، وهجر رجلا رأى عليه جبة من حرير حتى طرحها، وهجر رجلا رأى في يده خاتما من ذهب حتى طرحه، أما الذي جاءت الأحاديث بالنهي عنه فيما زاد على الثلاث هو التهاجر الدنيوي .

قال ابن حجر في فتحه:ذهب الجمهور إلى أنه لا يسلم على الفاسق ولا المبتدع.

وقال المهلب : ترك السلام على أهل المعاصي سنة ماضية وبه قال كثير من أهل العلم في أهل البدع وألحق بعض الحنفية بأهل المعاصي .

قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى المصرية : من أظهر المنكر وجب الإنكار عليه وأن يهجر ويذم على ذلك فهذا معنى قولهم من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له بخلاف من كان مستترا بذنبه مستخفيا فإن هذا يستر عليه لكن ينصح سرا ويهجره من عرف حاله حتى يتوب ويذكر أمره على وجه النصيحة).

وكلام السلف ومن بعدهم من أهل العلم في هجر أهل البدع ومن يميل إليهم كثير جدا ، ومع هذا فقد أبى أهل العقل المعيشي إلا أن يخالفوا ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها فتراهم يبالغون في توقير أهل البدع وتعظيمهم ويحرصون على

مؤاخاتهم مصاحبتهم ودعوتهم إلى منازلهم والدخول عليهم في بيوتهم ومواكلتهم ومشاربتهم والأنس بهم والإنبساط معهم وتوليتهم في الأعمال من تعليم وغيره لا فرق عندهم بينهم وبين أهل السنة نعوذ بالله من الخذلان وعمى البصيرة .

وقد صار تقريب أهل البدع وتوليتهم في وظائف التعليم والوثوق بهم في ذلك سببا في إفساد عقائد كثير من المتعلمين وأخلاقهم فتراهم لا يبالون بترك المأمورات ولا بارتكاب المنهيات.

وقد روى الطبراني وأبو نعيم وغيرهما بأسانيد فيها مقال عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه مرفوعا : (من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام) . وذكر ابن الجوزي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا مثله .

تنبيه : من كمال الولاء والبراء التبديع والتفسيق لمستحقها :

فلا تتوقف أيها الموحد في تبديع المبتدع ولا تتوقف في تفسيق الفاسق المجاهر كما لا تتوقف في تكفير المشرك، واعلم أن هذا من كمال الولاء والبراء لله تعالى .

مبحث : أحكام معاملة الكافر

(١٧٨) معاملة الكفار لها ثلاث حالات :

الحالة الأولى : معاملة مكفّرة مخرجة من الملة :

وقد اصطلح بعض أهل العلم على تسمية هذه الحالة بـ (التولي) ، فكل ما دل الدليل على أنه كفر وردة فهو من هذه الحالة ، وذلك نحو : محبة دين الكفار والفرح بانتصارهم ومظاهرتهم على المسلمين .

الحالة الثانية : معاملة محرمة غير مكفّرة :

وهي كل ما دل الدليل على تحريمها ولا تصل إلى الكفر، ودل العرف على اعتبارها موالاة كتصديرهم في المجالس وابتدائهم بالسلام ، وغير ذلك.

الحالة الثالثة : معاملة جائزة :

وهي غير داخلة في الموالاة، وهي ما دلت الأدلة على جوازها مثل البيع منهم، والبر والإقساط لغير المحاربين، وصلة الرحم الأقارب والصدقة على فقيرهم، ونحو ذلك .

فتنبه للفرق بين هذه الحالات الثلاث، وقد حاول المتعالمون وأرباب الشبه والقلوب الزائغة المريضة في عصرنا إباحة الحالتين الأولى والثانية استدلالاً لها بالحالة الثالثة على طريقة التلبيس على الناس .

(١٧٩) الجواب عن شبهة :

قول الرسول ﷺ في رسالته إلى هرقل (عظيم الروم) ، ليس من التعظيم والموالاة لأمرين :

الأول : أنه ﷺ لقبه بلقبه عند قومه ، مثل قولك : (فلان) رئيس كـذا ، فلـيس فيه تعظيم له، بل وصف فقط، ثم إنه قال (عظيم الروم) فنـسبه إلى قومـه ولم يطلـق (عظمته) ، ولم يقل : (هرقل العظيم) .

الثاني : أنه لم يزد على ذلك اللقب ألفاظاً تدل على تعظيمـه لـه والتـي يزيـدها المعظمون للملوك مثل السيد أو صاحب الجلالة والفخامة ونحو ذلك .

(١٨٠) أمور مباحة مع الكفار :

١- البيع والشراء والإيجار مـا لم يكـن في مـا يـستعان بـه أهـل الحـرب عـلى المسلمين . والتعامل مع الكفار والاستفادة منهم فيما نحتاجه مـن صـناعات مباحـة ونحوه .

٢- السفر لبلاد الكفار من أجل التجارة أو علاج أو حاجة ضرورية إذا أظهر المسلم دينه وبراءته منهم وتكفيرهم وعدم موالاتهم. وقد سافر أبو بكر وغـيره مـن الصحابة . فشرط الجواز قائم على أمرين : أن يكون هناك ضرورة وحاجة ملحة وأن يظهر المسافر دينه .

٣- الصدقة على فقراءهم وإطعامهم .

٤- عيادة الكافر إذا كان الغرض دعوته للإسـلام أو تعزيـة أو تهنئتـه بـزواج وغيره إذا كان يقصد الدعوة .

٥- حضور تشييع جنازة قريبه الكافر وتعزيته بشرط ألا يدعوا لـه ولا يـصلي عليه.

٦- الاستعانة بهم في أمر يجيدونه كصناعة ونحوه ما لم يوجد مسلم .

٧- الاستعانة بكافر أجير على حرب الكفار وهذه محل خلاف، مع كون حالة المعين أجيراً مأموراً تابعاً لا آمراً متبوعاً كما أنه لا يجوز أن يستعان به على مسلم باغ مطلقاً.

٨- الدخول في حمايتهم عند الضرورة إذا لم يوجد غيرهم ويكثر هذا في البلدان التي يحارب فيها الإسلام والصلاة . ودليله الصحابة حين هاجروا للحبشة ضرورة وفراراً بدينهم قبل إسلام النجاشي.

٩- صلة الرحم والأقارب الكفار .

١٠- الإقساط لغير المحاربين، وبرهم من غير مودة باطنية كالرفق بضعيفهم وإطعام جائعهم وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال أذايتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفاً معهم لا خوفاً وتعظيماً، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة ونصيحتهم في جميع أمورهم فجميع ما نفعله معهم من ذلك لا على وجه التعظيم لهم وتحقير أنفسنا بذلك الصنيع لهم .

١١- الصلح المؤقت معهم ، والوفاء بعهدهم .

١٢- مداراتهم حال الإكراه بضوابط.

١٣- دعوتهم للإسلام وتعريفهم بمحاسنه وهذا واجب لهم علينا .

(١٨١) ما أباحه الله في معاملة الكفار لا تستلزم المحبة والموالاة أو تجوزها :

يجوز الإحسان للوالدين إذا كانوا كفارا والصدقة على الفقراء الكفار وزيارة الجار وعيادة المريض الكافر وملاطفته بغرض دعوته مع وجود أصل العداوة في حق

هؤلاء، وهذا فارق بين البابين فتتصدق على الكافر الفقير الغير المحارب وأنت لا تحبه ولا تناصره على المسلمين بل تبغضه وتعاديه فهذا أمر ليس من الموالاة المحرمة، وعليه فإنه لا دليل فيه على ما يشتهيه المخذولون عن دينهم المتأولون المبررون لأعداء الدين من المرتدين، وكل ما أتوا به من هذه الآية وغيرها من التعليلات والشبه والدواعي ليجوزوا بها موالاة الكفار ساقطة لا تبيح أمراً نص القرآن على تحريمه وأوضحه أكثر من غيره حتى لا يكون مع المبطلين لحدود ما أنزل الله حجة.

(١٨٢) التفريق بين الموالاة وبين البر والإقساط :

والأصل فيها قوله تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ الممتحنة: ٨ .

وهذه الآية نزلت في أسماء رضي الله عنها لما سألت النبي ﷺ عن بر أمها المشركة المسالمة غير المحاربة وينبغي أن ن فرق بين الموالاة المحرمة وبين الأمور المباحة مع الكافر .

فنفي التحريم إلى الإباحة يدل على أن الأصل التحريم في موالاة الكفار وأما الإحسان للمسالم الكافر فهذا لا يعد من باب موالاة الكفار المحرمة ومع ذلك فهو للإباحة والجواز فلو لم يحسن الإنسان فلا شيء عليه والإحسان له شروط :

١- أن يكون قريباً كما هو سبب النزول في أسماء مع أمها أو يكون البر في غير القريب ويكون محتاجا ذليلا أو يكون المقصود دعوته للدين.

٢- أن لا يكون محارب .

٣- أن لا يقارن البر مودته ومحبته نصرته .

فائدة : لم يقل (تولوهم) وإنما قال (تبروهم) وفرق بين الأمرين، وقد تقدم كلام ابن القيم في أن هذه ليست موالاة .

فائدة : تأمل حين قال سبحانه ﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾ ،ولم يقل أن تولوهم بل جاء التولي في النهي عنه مما يدل على أن موالاة الكفار محرمة مطلقاً أما الإقساط والإحسان فتجوز للكافر المسالم أما المولاة والتولي فلا تجوز لا مع المحارب ولا المسالم .

قال القرافي : (نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على موادات القلوب ولا تعظيم شعائر الكفر ، فمتى أدى إلى أحد هذين امتنع ، وصار من قبل ما نهي عنه في الآية وغيرها، ويتضح ذلك بالمثل : إخلاء المجالس لهم عند قدومهم علينا ، والقيام لهم حينئذ ، ونداؤهم بالأسماء العظيمة الموجبة لرفع شأن المنادى بها، كذلك إذا تلاقينا معهم في الطريق وأخلينا لهم واسعها ورحبتها والسهل منها ، وتركنا أنفسنا في خسيسها وحزنها وضيقها، فإن هذا ممنوع لما فيه من تعظيم شعائر الكفر وتحقير شعائر الله تعالى وشعائر دينه واحتقار أهله، وكذلك لا يكون المسلم عندهم خادماً ولا أجيراً يؤمر عليه وينهى .. وأما ما أمر من برهم من غير مودة باطنية كالرفق بضعيفهم وإطعام جائعهم وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال أذايتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفاً معهم لا خوفاً وتعظيماً، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة ونصيحتهم في جميع أمورهم فجميع ما نفعله معهم من ذلك لا على وجه التعظيم لهم وتحقير أنفسنا بذلك الصنيع لهم ، وينبغي لنا أن نستحضر في قلوبنا ما جبلوا

عليه من بغضنا وتكذيب نبينا ﷺ، وأنهم لو قدروا علينا لاستأصلوا شأفتنا واستولوا على دمائنا وأموالنا ، وأنهم من أشد العصاة لربنا ومالكنا ﷻ، ثم نعاملهم بعد ذلك بما تقدم ذكره امتثالاً لأمر ربنا). الفروق ٣/ ١٤ .

(١٨٣) الإحسان للكافر المسالم وبره من باب الرخصة :

إن مما هو مقعد عند أهل السنة أن الأصل معاداة الكافر وبغضه مطلقاً وهذا هو الأصل والعزيمة وهو الغلظة على الكفار والشدة عليهم، وأما بر الكافر والإحسان إليه إذا توفرت فيه شروط جواز ذلك فإن هذا من باب الرخصة المستثناة من الأصل وليس العزيمة، إذ العزيمة الغلظة على الكافر ولم يستثن إلا مصاحبة الوالدين بالمعروف والإحسان للمسالم لتألفه ودعوته للإسلام إذ ليست موالاة للكافر وليست مقصودة لذاتها فضلاً عن أن تكون عزيمة وأصل بذاتها .

ومن هذه القاعدة المبنية على قاعدة الباب أن الدين قائم على الموالاة للمؤمنين والمعاداة للكافرين نعلم ضلال هؤلاء المنغمسين في الدنيا والفسق والابتداع الزاعمين أن الإسلام دين سلام مع الكفار وألفة ورحمة وذلة فنزعوا عنه لباس العزة والغلظة على الكفار، وقد ذكرنا في مواضع أدلة ذلك وصور من غلظة النبي ﷺ والصحابة ﵃ مع الكفار، وأن ما خالف ذلك فهي في أمور مخصوصة وحالات مستثناة من القاعدة .

(١٨٤) المحبة الطبعية لا تكون لكافر مطلقا ولو كان والدا:

جوّز البعض محبة الوالد والزوجة والولد إذا كانوا كفاراً وسموا ذلك بالمحبة الطبعية وأن الموالاة المنهي عنها ليست إلا محبة الكفر وحسب.

وبهذا طعنوا في عقيدة الولاء والبراء من حيث لا يشعرون.

والحق أن الوالدين والأبناء والزوجة كل هؤلاء إن كفروا صاروا أعداء ولا تجوز محبتهم مطلقا ولا موالاتهم وإنما المرخص فيه معهم الإحسان إليهم وبرهم وتمني هدايتهم ومحبة الخير لهم والإشفاق عليهم ورحمتهم . وليس في هذا أي محبة لذواتهم ولا لما هم عليه من الدين، كما أنه لا يتأتى التبعض في الموالاة والمحبة لهم التي قررها أهل السنة في حق فساق أهل الملة من عصاة المسلمين الموحدين .

فالكافر لا تجوز موادته ومحبته مطلقاً ولو كان من أقرب الناس لأنه محاد لله ويدل لذلك قوله تعالى ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ المجادلة: ٢٢ فالآية نص على نفي الإيمان عمن يواد ويحب الأب والابن الكافر.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ التوبة: ٢٣.

قال ابن حجر :" البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه " فتح الباري ٥/ ٢٧٦.

وقال محمد بن عبد الوهاب: (ومعنى الكفر بالطاغوت أن تبرأ من كل ما يعتقد فيه غير الله ، من جني أو انسي أو شجر أو حجر أو غير ذلك ، وتشهد عليه بالكفر والضلال وتبغضه ولو كان أباك وأخاك) مجموعة الرسائل ٤ / ٣٣ .

وقال سليمان في أوثق عرى الإيمان : (الله لاينهى المؤمنين عن بر من لم يقاتل من المساكين والنساء، وأما موالاتهم ومحبتهم وإكرامهم فلم يرخص الله في ذلك) .

قال ابن باز : (المحبة الطبيعية للأب ونحوه من الموالاة لا تجوز وليست من التولي أما محبة دينهم فكفر) سبل السلام شرح نواقض الإسلام .

(١٨٥) معاداة الكافر لا تستلزم عدم العدل معه والوفاء بعهده كما لا تجوز ظلمة والغدر به وخيانته:

فهذا كله لا يجوز ولم يأت جوازه والترخيص فيه في جميع الشرائع وترده العقول السوية ولكن ليس من الغدر والخيانة والظلم جهاد الكفار وقتلهم وإلزامهم دفع الجزية إذا أصروا على الكفر بعد الدعوة وهم صاغرون وإضطرارهم لأضيق الطريق واهانتهم كما قررنا ذلك في موضعه فإن هذا هو شرع الله الذي أمر به وليس في قتل المشركين ظلم كما تقدم .

الفصل الثالث عشر : حالات الناس مع الولاء والبراء

(١٨٦) أحوال أعداء الله وأولياء الشيطان المخالفين في الولاء والبراء:

١- من عبدالله ووحّده وترك الشرك ولكنه لم ينكر الشرك ولم يعاد أهله ، فهذا لا يعتبر مسلما لعدم كفره بالطاغوت ولا يصير المسلم مسلما إلا بذلك .

٢- من عادى المشركين ولم يكفرهم ، وهذا لم يأت بما دلت عليه كلمة التوحيد وتقتضيه من نفي الشرك وتكفير فاعله .

٣- من لم يحب التوحيد ولم يبغضه .

٤- من لم يبغض الشرك ولم يحبه .

٥- من ترك الشرك وعرف التوحيد ولكنه لم يعمل به فلم يبغض المشركين ولم يكفرهم .

٦- من عرف التوحيد وأحبه وعرف الشرك وتركه ، ولكنه مع ذلك يكره من دخل في جماعة التوحيد ويحب من بقي مناصراً للكفار وهذا أيضاً من الكفر.

٧- من عرف التوحيد وأنه الحق ولكنه لم يلتفت إليه ولم يتعلمه ولا دخل فيه، ولا انضم إلى جماعة المسلمين وبقي مع الشرك وأهله ووافقهم .

١٠- من تساوى لديه الإسلام والكفر في الحب والبغض أو من يحبهما من وجه ويبغضهما من وجه آخر وهذا لم يتحقق فيه معنى الإسلام القائم على الاستسلام والانقياد .

وقد ذكر هذه الأقسام الإمام محمد بن عبدالوهاب وغيره في الدرر ١/ ٦٦ .

(١٨٧) أصناف الناس في الولاء والبراء :

الصنف الأول : من أحب المؤمنين وناصرهم وحالفهم وظاهرهم وأعانهم ووافقهم وأيدهم ظاهراً وباطناً، وأبغض الكفار وعاداهم ونابذهم وجاهدهم وكفّرهم وتبرأ منهم وأظهر مخالفته وعداوته لهم ظاهراً وباطناً، فهذا الصنف وحده هو حزب الله وأولياء الرحمن الذين هم أهل لا إله إلا الله.

الثاني : من أبغض المؤمنين وعاداهم وظاهر عليهم وخالفهم وحاربهم وتبرأ منهم باطناً وظاهراً، ومقابل ذلك أحب المشركين وأحب دينهم وناصرهم واعتز بهم وأيدهم ووافقهم ورضي أفعالهم، وهؤلاء من حزب الشيطان وأعظم أوليائه.

الثالث : من أبغض المؤمنين وأظهر خلاف ذلك فناصرهم ووالاهم ظاهراً مع مخالفته لهم باطناً وأحب الكافرين وأبدا محاربتهم ومعاداتهم وهذا حال المنافقين .

الرابع : من أبغض المؤمنين ولكن لا يعاديهم ظاهراً، ومجرد بغض المؤمنين كفر لأنه ناقض لشرط المحبة لكلمة التوحيد ومحبة أهلها.

الخامس : من أحب المؤمنين وخالف ذلك بظاهره فعاداهم وناصر أعداءهم عليهم، وهذا كافر ولا عبرة بمحبته القلبية للمؤمنين إن تحققت وتصورنا وجودها .

السادس : من أحب المؤمنين بقلبه ولكنه لا يناصرهم، فهو لم يظهر موالاته للمؤمنين بل خذلهم وإن كان لم يعادهم واكتفى بمجرد المحبة وأبغض الكفار ولم يناصرهم ، وهذا مرتكب كبيرة وليس بكافر.

السابع : من أبغض الكفار لكنه لا يظهر معاداتهم ولا مخالفته لهم بل يخفيها بدون إكراه ، وظن أنه غير ملزم بإظهار عداوة الكفار والبراءة منهم وهذا فاسق.

وينطبق في هذا الصنف والذي قبله قوله ﷺ في من ترك جهاد الكفار المحاربين ولم يناصر المؤمنين (فرقة يأخذون أذناب البقر والبرية وهلكوا) رواه أبو داود .

الثامن : من أبغض الكفار ولكن يواليهم ويظهر الموافقة لهم وهذا كافر .

التاسع: من أحب الكفار ، وهذا كافر مطلقاً سواء والاهم أو عادهم ، وسواء أحب المؤمنين أو أبغضهم وسواء والاهم أو عاداهم.

فهذه الأصناف غير الأول كل أصحابها من حزب الشيطان وأصحابها دائرون بين النفاق والردة والفسق .

قال النبي ﷺ ذاكراً أصناف الناس مع الولاء والبراء والجهاد في حديثه عن غزو الترك للبصرة وافتراق المسلمين حينها لثلاث فرق : (فيفترق أهلها ثلاث فرق ، فرقة يأخذون أذناب البقر والبرية وهلكوا ، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا ، وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلون وهم الشهداء) رواه أبو داود .

(يأخذون لأنفسهم):أي يطلبون الأمان ويقبلونه ويظهرون الموافقة والتأييد، هذا حكمهم الكفر ، فكيف بمن قاتل معهم وناصرهم على المسلمين وظاهرهم .

وهذه المخالفات من هؤلاء راجعة لأركان الولاء والبراء الأربعة :

محبة المؤمنين ، بغض الكفار ، موالاة المؤمنين ، معاداة الكفار .

فإما أن تتحقق هذه الأركان الأربعة أو تزول جميعها أو واحد منها أو أكثر .

والإخلال بركن من الأركان ينقسم إلى مناقضة من أصله وإلى إخلال في كماله ، وقد اغتر كثير من الجهال في هذا الباب فإذا رأوا من يوالي الكفار ظاهراً وناصرهم مع دعواه بغضه للكفار ومحبة للمؤمنين جعلوه مسلماً وأنكروا على من يكفره .

(١٨٨) العقائد والمذاهب والفرق المخالفة في الولاء والبراء :

١- الخوارج حيث صرفوا معاداتهم للعصاة فكفروهم وعادوهم ولم يوالوهم مطلقاً والحق أن الولاء والبراء في العصاة متبعض كما تقدم .

وأيضاً الخوارج في هذا العصر ممن يكفر الشعوب والبلدان المسلمة ويجعل الأصل في المسلمين اليوم الكفر نعوذ بالله من ذلك .

ومن الخوارج في عصرنا من يعادي أهل التوحيد والمجاهدين ويجعلهم من الخوارج ويكفرهم وهؤلاء وقعوا في الردة بلا شك لحربهم التوحيد وبغضهم له.

٢- الرافضة يعادون الصحابة ﷺ ويكفرونهم ولم يجدوا من يعادون إلا خير الأمة ليخلعوا ربقة الإسلام من أعناقهم ببغضهم.

٣- الأشاعرة : قالوا بالموافاة ومعناه أن العبرة بالخاتمة وما يتوفى عليه العبد، فمن عاش على الكفر لكن أسلم وتوفي على الإسلام فإنهم يعتبرونه من أولياء الله وأن الله كان يحبه حتى حال كفره لأن الحب لا يتبعض كصفة في الله وسبب قولهم مذهبهم الفاسد في الصفات فحب الله وبغضه المتعلق بالأشخاص لا يتغير .

٤- المنافقون والمرتدون: يوالون الكفار ظاهراً أو باطناً سراً ، وهؤلاء أشد أمر عليهم الولاء والبراء وأصعب ما يلاقون معاداة الكفار ويرونه من التخلف.

٥- القوميون والوطنيون والحزبيون يوالون ويعادون في أحزابهم ويتولون من كان من قومهم وجنسهم وجماعتهم فقط ويبغضون من سواهم .

٦- المرجئة لا يكون الولاء للكفار كفراً إلا مع الولاء الباطن والحب للكفر .

٧- المنكرون لعقيدة الولاء والبراء. ومنهم :

١- علماء السوء ممن يفتي بجواز موالاة الكفار أو بعض صورها المحرمة ويجعلها من جنس التعامل المباح فهو أشد كفراً ممن وقع في موالاة الكفار، لأن متولي الكفار كفره عملي وهذا كفر اعتقادي .

٢- دعاة الوسطية .

٣- دعاة التعايش السلمي .

٤- دعاة الحوار الوطني.

٥- دعاة الحزبية والقومية الوطنية.

٦- دعاة الحوار بين الأديان .

(١٨٩) مذهب المرجئة في ناقض التولي :

والإيمان الصحيح عند هؤلاء المرجئة الجهمية هو مجرد ادّعاء الإسلام مع بغض الكفار ومحبة المؤمنين، والكفر في الولاء والبراء عند هؤلاء فقط في أن يبوح المسلم بكرهه لدين المسلمين وحبه لدين الكفار وقد يعذرونه مع ذلك لاحتمال أن يكون جاهلاً أو متأولاً، أما غير هذه الحالة فليست بكفر.

إن أصل القول المحدث في تولي الكفار منشأه من المرجئة الذين لا يكفرون إلا بأعمال القلوب ويخرجون أعمال الجوارح من الإيمان والكفر، فلا كفر عندهم إلا الجحود والاستحلال أو الحب والبغض للدين وما سواها فهو معصية ، فكما قالوا: إن التشريع وشرك الطاعة لا يكفر فاعلها إلا بالاستحلال وأنها ليست كفرا في ذاتها،كذلك قالوا أن المظاهرة وإعانة الكفار على المسلمين لا يكفر فاعلها إلا إذا كانت للدين بأن يحب دين المشركين ويبغض دين المسلمين.

(١٩٠) كفر منكر عقيدة الولاء والبراء :

من أنكر عقيدة الولاء والبراء أو طعن فيها أو استهزأ بها أو بالداعي إليها أو أبغضها أو حاربها ودعا إلى إزالتها وحذر من تعلمها والعمل بها فقد كفر الكفر البواح وخرج من ملة الإسلام وأباح للمسلمين دمه وماله وذلك لأنه كذّب الله وبما أمر به بل وجحد أعظم ما أمر الله به وهو التوحيد والموالاة والمعاداة فيه وأبغض ما جاء به الرسول ﷺ وجاهد من أجله ، وإذا كان من أخل بهذه العقيدة فوالى الكفار يكفر فكيف بمن أنكر هذه العقيدة إنه ليعتبر حقا من أئمة الكفر الواجب قتالهم .

قال أبو العباس الونشريسي (ت٩١٤) : (ولا تجد في تحريم هذه الإقامة وهذه الموالاة الكفرانية مخالفا من أهل القبلة.. ومن خالف الآن في ذلك أو رام الخلاف من المقيمين معهم والراكنين إليهم فجوز هذه الإقامة واستخف أمرها واستسهل حكمها فهو مارق من الدين ..) المعيار المعرب ٢/ ١٢٣ .

وقال محمد بن عبد الوهاب: (وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفّرهم أو قال ما عليّ منهم أو قال ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى إثماً مبيناً، فقد كلّف الله كل مسلم ببغض الكفار، وافترض عليه عداوتهم، وتكفيرهم والبراءة منهم، ولو كانوا آباءهم " الدرر ٢/ ١١٩ .

وقال بعض أئمة الدعوة :(من قال لا أعادي المشركين أو عاداهم ولم يكفّرهم أو قال لا أتعرض أهل لا إله إلا الله ولو فعلوا الكفر وعادوا دين الله أو ارتدوا فهذا لا يكون مسلماً والله أوجب معاداة المشركين وتكفيرهم "مجموعة الرسائل ١/ ٣٨ .

(١٩١) طرق الطواغيت وأساليبهم في حرب الولاء والبراء :

لطواغيت كل عصر أساليب في حرب دين الله والصد عنه ، ووجود هؤلاء الطواغيت سنة من سنن الله منذ أن خلق الله الخليقة ونشأ الصراع بين الحق والباطل، وكانت المصادمة بين أتباعها ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ محمد: ٣ ، فكان أول الطواغيت إبليس ثم جاء أولياؤه بعده من بني آدم إلى يومنا فكان من سنة الله أن يجعل ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ الفرقان: ٣١، حتى كان آخرهم نبينا محمد ﷺ الذي لقي من أصناف الطواغيت ما لم يلقه غيره ،وكان منهم من يريد إلغاء عقيدة الولاء والبراء كما قال الله عنهم : ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ القلم: ٩، إلا أن مما لا يخفى على من سبر أحوال الأمم ودرس التاريخ أنه لم يحصل حرب للدين ومكر لأهله مثلما حصل في زماننا ، فاسأل التاريخ وأهله ممن قبلك هل سمعوا بما يسمى بشعار الحرية والتعددية والدمقراطية والليبرالية والتعايش والوسطية والوطنية والحوار، وغيرها من دعوات وأساليب جاء بها طواغيت زماننا لهدم عقيدة الولاء والبراء ولتمييع التوحيد والكفر بالطاغوت وقتل الملة الإبراهيمة في المسلمين.

وإليك شيئاً مما رأيناه من أساليبهم في عصرنا مما لم يكن معروفا عند من سبقنا:

١- إحداثهم الشعارات والانتماءات المميتة لعقيدة الولاء والبراء فتزيلها وتزهقها أو تزاحمها، واستبداله بغيره من الشعارات والانتماءات والدعوات الجاهلية كالدعوة للوطنية والقومية والقبلية والمذهبية والأندية الرياضية وغيرها .

فالقومية والوطنية مثلاً تقوم على مبدأ الموالاة والمعادة في الوطن والجنس، فيوالى المواطن ومن هو من قومه سواء كان مؤمنا أو كافرا .

وانظر إلى الأندية الرياضية وما يسمى بالمباريات بينها التي طالما أورثت الموالاة والمعاداة بين أتباعها ، فهل المقصود منها إلا إلهاء الناس عن دينهم وتفريقهم بهذه الشعارات فبدل أن تكون المبارة بين المسلمين والكفار في ساحات الوغى بالأسنة كما أمر الله، إذ بنا نراها مباراة تطارد كرة عند أقدامهم تجمع المسلم مع الكافر في ملعب واحد ، إنها حقا سخافة ولهو ولعب كما أسموه .

بل إن ما أسموها بمباريات كأس العالم لا نراها تأتي إلا مع عرك الكفار للمسلمين وقصفهم وسحقهم وقتلهم بالآلاف ، فأولئك أعدوا لحرب المسلمين وطواغيتنا بأوامرهم أعدوا لكأس العالم ، أفلا يفيق أهل الإسلام من رقدتهم وينفضوا غبار الذل والهوان عن رؤوسهم ويحذروا هذه الوسائل الطاغوتية.

وبهذه يتبين أن هذه الدعوات للانتماءات لهذه الشعارات الجاهلية المعاصرة المزاحمة لعقيدة التوحيد والولاء للدين تهدم عقيدة الولاء والبراء والكفر بالطاغوت.

٢- الدعوة إلى التآخي في الكفر تحت عدة شعارات :

منها التسامح والانفتاح والعولمة والمجتمع الدولي والعالمية والسلام والسلم والتعايش السلمي والوئام والإخاء .

ومنها الإنسانية وحقوق الإنسان ويقصد بذلك ترك تكفير الكافر وقتاله.

ومنها الدعوة إلى الحوار بين الحضارات والحوار الوطني وقبول الرأي الآخر، ومعناها قبول دين الكفر.

ومنها الدعوة للحرية أي الحرية الدينية والكفر وحرية الرأي.

ومثلها اللبرالية والدمقراطية والتعددية وقبول الآخر والوسطية .

وغير ذلك من الدعوات والشعارات الكافرة بالله المنددة بالتوحيد والداعية للشرك الأكبر التي لا يخفى أن المقصود الأكبر منها إلغاء مبدأ التوحيد والولاء والبراء والكفر بالطاغوت، وأن لا تستنكر بعد هذه الشعارات حين تسمع بعبارة أخي المقيم وأخي المواطن كفارا أو مسلمين وعبارة الأخوة الإنسانية .

٣- الدعوة إلى ملتقى الأديان وتوحيد أو التقريب بينها أو الحوار بينها، والمقصود من حوار الأديان تصحيح دين اليهود والنصارى وعدم تكفيرهم ومعاداتهم، والالتقاء والاجتماع والموافقة والمسالمة وترك الاختلاف والبعد عن الأمور المخالفة ، وكل ذلك مناف لعقيدة الولاء والبراء من أصلها ، وقاعدة هذه الدعوة : (المداهنة لإخفاء المخالفة واستبدال المنافرة بالموافقة) ويقولون : (نجتمع فيما نتفق عليه ونترك ما نختلف فيه ويعذر بعضنا بعضا) ، ونسي هؤلاء الطواغيت أن أعظم ما يخالفونا فيه التوحيد إنكار نبوة نبينا محمد ﷺ وتكذيبه والطعن فيه.

٤- الدعوة للوسطية :

وقصد أصحاب الوسطية إنكار عقيدة الولاء والبراء وباب الجهاد وتكفير المرتد، وتقوم حقيقة هذه الدعوة على موالاة الكفار ومظاهرتهم وموافقتهم واللين معهم والرحمة بهم وترك جهادهم والغلظة عليهم وإبعاد تكفير المشركين والمرتدين.

وقفة في مناقضة دعاة الوسطية للشرع والعقل :

أما مناقضتهم للشرع: حيث كفروا بأوامر الله القاضية بالغلظة مع الكفار والمنافقين وقتلهم والشدة معهم كقوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ التوبة: ٧٣.

وأما مناقضتهم للعقل: فمع كون الكفار لازالوا يقاتلوننا ويسخرون بديننا ويسبون نبينا ويقتلون الأطفال ويغتصبون النساء، وهؤلاء يزدادون رأفة ولينًا بيد الصليبيين، وزعموا أن من الحكمة مقابلتهم باللين وإظهار محاسن الإسلام ، حتى قالوا طريقة حرب الدنمرك إبداء محاسن الإسلام .

بينما تراهم قلبوا وجه المجن مع أهل التوحيد المجاهدين فحاربوهم وأغلظوا عليهم ولم يعملوا فيهم بقاعدتهم (اللين والوسطية) ولا هم عملوا بما أوجبه الله تعالى بقوله: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الحجر: ٨٨.

وخذ مثالا لذلك ما دعا له هذا الفوزان المتعالم الخبيث الزاعم عدل أمريكا وظلم المسلمين المجاهدين لهم.

فانظر كيف نقضوا الدين ولم يكونوا من أهل هذه الآية ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح: ٢٩. لتعلم ما المقصود بوسطيتهم وأنها عين المداهنة والموالاة للكفار والعداوة للمؤمنين .

كما أن من التناقض في وسطيتهم أن حرموا تكفير المرتدين وصححوا ردتهم ومدحوا شركهم ، ثم أوجبوا تكفير الموحدين وذموا جهادهم ، فانظر كيف هم خوارج أنجاس على الموحدين مرجئة أرجاس مع المرتدين والمشركين.

٥- ومن الوسائل التي يستخدمها الطواغيت لهدم الولاء والبراء الإعلام والمجلات والصحف والاستعمار والغزو الفكري .

٦- ومن الوسائل التي يستخدمها الأعداء لهدم الولاء والبراء التعليم وفتح المدارس الأجنبية والابتعاث وإحضار الكفار والفساق لتدريس المسلمين.

فيقتلون الولاء والبراء والكفر بالطاغوت في المسلمين عن طريق مدارسهم وإعلامهم ، فبدلاً من أن يهلكوا الأجيال حسياً كما فعل فرعون، يقتلون فيهم عقيدة التوحيد ويربوهم على موالاة الكفار والمرتدين والرضا بقوانينهم وكفرهم .

٧- إرسال أبناء المسلمين للكفار وابتعاثهم ليتلقوا الكفر ولتذوب شخصيتهم الإسلامية وتهدم عقيدتهم وليرجعوا منحطين ليس لهم من الإسلام إلا اسمه وليكونوا أداة في أيدي الكفار حربا على أهل الإسلام .

٨- تأسيس البرلمانات والمجالس التشريعية باسم الشعب والأمة وأشباهها ليجمعوا فيها بين أدعياء الإسلام والمشركين ،حتى يميعوا قضية التوحيد وينشروا شرك التشريع ، فلا تعود المسألة مسألة براءة منهم أو كفر بقوانينهم ودساتيرهم.

٩- تجنيد العلماء لصالح أعدائهم وشغلهم بالفرعيات أو بما يشتركون معهم في عدائهم كالشيوعيين والرافضة وترك المرتدين والسكوت عن بيان نواقض الإسلام وتولي الكفار وتشريع القوانين وغيرها ، وقد وصل بهم الحال إلى أن يلغوا عداوتهم للطاغوت القريب ويصادقوه ويصبحوا جنوداً تحته وأعواناً له.

قال أبو فارس القيرواني: (ولست أعني بالعلماء المشتغلين في زماننا بعلوم الجدال والمماراة ولا المعتنين بدرس مسائل الأقضية والشهادات فيتقربون بذلك في جمع الحطام والتقرب من الحكام ونيل الرئاسة عند العوام) المعيار المعرب ١١/ ٢٩.

وقال ابن الجوزي : (ومن تلبيس إبليس على الفقهاء، مخالطة الأمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك وفي الجملة، فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن في أول الدخول ثم تتغير

بإكرامهم وإنعامهم أو بالطمع فيهم، ولا يتماسك عن مداهنتهم وترك الإنكار عليهم، وقد كان سفيان الثوري يقول: "ما أخاف من إهانتهم لي، إنما أخاف من إكرامهم فيميل قلبي إليهم). تلبيس إبليس ص١٢١.

١٠- إظهار الطواغيت الحرص على الدين والدعوة بعيدا عن العمل بالولاء والبراء والكفر بالطاغوت.

ختاما يا أيها الموحد لمولاه اعلم أن مولاك ﷻ حذرك من إتباع الطواغيت والسقوط في كفرهم وتميع الدين وإلغاء عقيدة الولاء والبراء والكفر بالطاغوت بسبب الطمع بما في أيديهم من الدنيا أو الجهل بأساليبهم التي ذكرنا لك أمثلة منها: قال ﷻ: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ القلم: ٨-٩ ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ الفرقان: ٥٢ ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ ﴾ المائدة: ٤٨-٤٩ ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ الشورى: ١٥ ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الجاثية: ١٨ ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ البقرة: ١٢٠ ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ الكهف: ٢٨.

وغيرها من الآيات التي تبين حقيقة هذه العقيدة وتفاني الطواغيت في صد الناس عنها ، وهي كافية لفقهاء زماننا ودعاة التوحيد في عصرنا لو أرادوا العمل بها.

الخاتمة : وفيها تبيين لحال دعاة زماننا وعلمائه وفقهائه :

إن مما ابتلى الله به أهل الإيمان في كل زمان أهل الضلال ودعاة الباطل الذين ليس لهم هم إلا تلبيس الحق بالباطل وصد الناس عن دين ربهم حتي يتميز المجاهد الصابر الطيب والمنافق والمرتد الخبيث الذي يتخذ أعداء الله بطانة ووليجة كما أخبر تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾ التوبة: ١٦ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ محمد: ٣١ ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ الفرقان: ٢٠.

وإن من هؤلاء المبطلين الضلال علماء السوء والمرجئة الخبيثة الذين يهونون من موالاة الكفار ويخرجون معاداة الكفار من أصل التوحيد ، حتى جعلوا معاداة الكفار وعدم رد السلام عليهم وإصغارهم وتضييق الطريق عليهم وعدم القيام لهم من قلة الأدب وسوء الخلق ومن المنكرات التي لا يقرها الدين وسماحته، وإن أثقل ما يطرق أسماع هؤلاء المنافقين الكلام عن الولاء والبراء .

قال الشيخ حمود التويجري رحمه الله في تحفة الإخوان: (ولا سيما في زماننا هذا الذي قد اشتدت فيه غربة الدين وانعكست فيه الحقائق عند الأكثرين حتى عاد المعروف عندهم منكرا والمنكر معروفا ، ومن ذلك موالاة الكفار والمنافقين وموادتهم ومصاحبتهم ومجالستهم والأنس بهم والانبساط معهم ، كل ذلك قد صار من قبيل المعروف عند أكثر الناس بل عند كثير ممن ينتسب إلى العلم والدين .

وأما الحب والبغض في الله والموالاة والمعاداة في الله وهجر أهل المعاصي لله والإكفهرار في وجوههم فكل ذلك قد صار عند كثير من الناس من قبيل المنكرات .

حتى أن كثيرا من المنتسبين إلى العلم قد صاروا يدندنون حول إنكار هذه الأعمال الفاضلة المحبوبة إلى الله تعالى ويعدونها من مساوئ الأخلاق ، ويعيبون على من يعمل بها ويذمونهم ويعدونهم أهل تعنت وشذوذ وتشديد وغلو في الدين، وقد سمعت هذا من بعض الخطباء والقصاص الثرثارين، ويحثون على حسن السلوك مع الناس كلهم واستجلاب مودتهم، وجعلوا هذه الأفعال الذميمة - موالاة الكفار- من حسن الخلق ومن مقتضيات العقل) .

هذا وإن أكثر علماء زماننا قد جهلوا دعوة الرسل فظنوا أن معاداة الكفار وقتالهم فتنة ، والحكمة في تركها ولم يعلم دعاة العلم السلفي أن الفتنة الحقيقية هي في موالاة الكفار وعدم معاداتهم كما أخبر الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ الأنفال: ٧٣.

بل إن موالاة الكفار وترك معاداتهم وقتلهم من الشرك والكفر الذي هو أعظم الفتن وأشد من القتل كما أخبرنا بذلك ربنا بقوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة: ٢١٧ ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ ﴾ البقرة: ١٩١ .

وقد ظنوا كما ظن أسلافهم أن الصلاة والحج والصدقات وبناء المساجد وخدمة الحجيج تغني عن عقيدة الكفر بالطاغوت ومعاداة الكفار وجهادهم أو أنها

تساميه وقد كذّب الله ﷻ دعواهم هذه بقوله: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ﴾ التوبة: ١٩.

وقالوا كما قال أسلافهم الأولون : إن معاداة الكفار والقيام بالتوحيد على حقيقته والكفر بالطاغوت مسبب لعداوة الكفار وحرب العامة والخاصة لنا حتى نتخطف من أرضنا : ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ القصص: ٥٧، وظنوا أن ذلك عذر مبيح للتخلي عن هذه الأصول ، وتناسوا أن هذا هو السبب الذي منع كثيرا من المشركين من اتباع الرسول ﷺ كما أخبر الله تعالى عنهم .

فظنوا أن خوف الكفار مجوّز للمسارعة في إرضائهم وتحقيق مساعيهم وتنفيذ مطالبهم فوقعوا فيما وقع فيه أوائلهم من المرتدين كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ المائدة: ٥٢.

فذهبوا يطلبون العزة من الكفار فوقعوا فيما وقع فيه أوائلهم من المنافقين كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله :﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ النساء: ١٣٨ - ١٣٩ .

فتأمل هذا الباب جيدا وأحذر أن يصل بك الحال إلى ما وصل إليه أكثر علماء زمانك فتهلك ولن تضر عندها إلا نفسك .

وقفة مع دعاة إنكار عقيدة الولاء والبراء:

لا عجب أن يعادينا الكفار لأن هذا هو الأصل ، بل ولا عجب أن يوجد من المسلمين من يتولى الكفار ويظاهرهم ويركن لهم ويتخذهم بطانة من دون المؤمنين

ويدافع عنهم ويتودد لهم ويحبهم ، والله ﷺ قد أخبرنا بوجود هؤلاء المرتدين والمنافقين وضررهم.

إنما المستغرب حقاً أن ترى من يحمل العلم ويدّعي التوحيد والدين والتمسك بالسنة والسلفية لا أقول يتولون الكفار فحسب إنما يدعون لموالاتهم ويحضون عليها بل يعادون من ينهى عن تولي الكفار وينكرون عقيدة الموالاة والمعاداة ويصنفون الكتب الداعية لعقيدتهم الكفرية هذه، وكم خرج علينا هذه الأيام من كتب لعلماء الضلالة والهوى الذين يهدمون فيها ما قعده أئمة أهل السنة في هذا الباب، بل ويصرحون أن ما عليه أهل التوحيد في هذه الأبواب ليس إلا من طرق الخوراج .

وإن خطر هؤلاء الشرذمة على الدين وحربهم لأهله أشد من غيرهم.

قال الشيخ عبد اللطيف:(فليتأمل من نصح نفسه الآيات التي تنهى عن اتخاذ الكافرين أولياء وليبحث عما قاله المفسرون وأهل العلم في تأويلها، وينظر ما وقع من أكثر الناس اليوم ، فإنه يتبين إن وفق وسدد أنها تتناول من ترك جهادهم ، وسكت عن عيبهم ، وألقى إليهم السلم ، فكيف بمن أعانهم، أو جرهم على بلاد أهل الإسلام، أو أثنى عليهم، أو فضلهم بالعدل على أهل الإسلام، واختار ديارهم ومساكنتهم وولايتهم،وأحب ظهورهم، فهذا ردة صريحة بالاتفاق) الدرر٨/ ٣٢٤.

حقيقة الفتاوى والكتب الهادمة للولاء والبراء:

لا أعلم حين يكتب هؤلاء وأمثالهم مثل هذا الكلام ويقررون ما يخالف عقيدة أهل السنة هل هذا كله جهل فيهم ؟! يتركون كتب السلف ويعتمدون على عقولهم الضعيفة أما كان الأولى بهم طلب العلم على أهله قبل التصدر ووضع كلام

يدل على جهل مركب وصاروا من الرؤوس الجاهلة التي ضلت وأضلت ، أو أن الأمر أشد من ذلك والعياذ بالله وهو دسيسة وخائنة خافية في نفوسهم وغليلة وغش في قلوبهم، ومسارعة إلى الكفر وأهله .

وعموماً فأصحابها دائرون بين الشهوات والشبهات وبين الجهل والنفاق .

وإن هؤلاء السفهاء الراغبين عن ملة إبراهيم لمّا لم تحملهم الرجولة وكرامة التوحيد التي يتحلى بها أهل التوحيد والجهاد وشعروا بالهوان والمسكنة والذلة للطاغوت والعجز عن إقامة دين الله وإظهار التوحيد والبراءة الصريحة من الكافرين والمشركين لجؤوا إلى تغيير هذا الأصل واستبداله بغيره فجعلوا ضابط الموالاة والمعاداة ما يعقلونه ويقومون به ، بل ذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك فأنكروا تكفير الكفار وتحرجوا من تسميتهم بالكافر إلى الغير والآخر وبعضهم صحح دين اليهود والنصارى، وطالبوا بالتعايش وحوار الحضارات والحوارات الوطنية وأقاموا الندوات لهذه الدعوات التي يقصد من ورائها جمع أكفر الناس من الشيوعيين والرافضة والمنافقين والقبورية والعلمانية مع المؤمنين ، إلا أن أهل التوحيد لم تنطلي عليهم هذه الألاعيب التي سخر الطواغيت فيها الجهود لإذابة التوحيد وصرف الناس عن الدعوة إليه وجعلت البراءة من المرتدين والمشركين والمنافقين وتكفيرهم هو مذهب الخوارج وأهل الضلال ، وهذا غير ضار بالصادقين ولا مثبط لهم ولهم قدوة فيمن سبقهم فتأمل قدح الطغاة الأوائل في كل إمام دعا للتوحيد والسنة وأنه خارجي تكفيري متعطش لدماء المسلمين كالصديق وابن حنبل وابن تيمية وابن عبد الوهاب وقدوتنا قبل ذلك رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، ثم إن هذا

تحقيق وتصديق لخبر الرسول ﷺ عن الطائفة المنصورة المجاهدة التي لا تـزال تقاتـل ولا يضرها من خالفها وحاربها من المرتدين والمنافقين وعلماء الـسوء الـذين مـنعهم حرصهم على الدنيا ومصالحهم عن الصدع بالحق، وزعم فقهاء هذا الزمان أنه ليس زمانا هذا بزمن جهاد، مصداقا لما أخبر به نبينا ﷺ عنهم ، ولقد سـمعنا هـؤلاء وهـم يقولون عن جهاد الصليبيين في العراق وفلسطين وغيرها لـيس بجهـاد وإنـما عبـث وفتن فيالله ما أقبحها من عقول عن الهداية غوت وعن شريعة الله تولت .

وكل ذلك من هؤلاء المنافقين ليس إلا لصد الناس عن التوحيد والولاء البراء فيه والجهاد الذي أمر الله به ، ولقد كثر في هذه الأيام صخبهم وعلا نباحهم، فلبسوا على الناس دينهم وصدوهم عن سـبيل الله، ألا فليتـق الله هـؤلاء وليرجعـوا لـربهم وليتوبوا من غيهم قبل أن يحال بينهم وبين ما يشتهون وقبل أن يتمكن أهل التوحيـد مـــن رقـــابهم: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ الأحزاب.

وليعلم هؤلاء الملحدون في آيات الله أنهم وإن خفي حالهم على كثير من الناس فليسوا بخافين عنه ﷻ كما أخبر: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ فصلت: ٤٠.

وإن الأولى بأهل الحق متى ما علموا بأحد من هؤلاء أن يردوا ضلاله ويبينـوا للناس فساده حتى لا يلتبس الحق بالباطل، وإن سكوت أهل العلم عنهم إمـا خوفـاً أو مجاملة على حساب الدين أو طمعا في رجـوعهم كـسراب بقيعـة لهـو مـن أعظـم أسباب رواج بضاعتهم الساجة الرخيصة .

فصل : شبهات المخالفين في الولاء والبراء

هذا كشف لشبه المرتدين من المجيزين لموالاة الكافرين ونقض لدعاوى أهل الإرجاء في عدم تكفير من تولى الكفار والجواب عن الآيات والأحاديث التي اتخذها المبطلون حجة.

الأولى : أن موالاة الكفار لا تكون كفرا إلا إذا كانت لأجل دينهم وأما توليهم طلبا للمصلحة الدنيوية واستحبابا في الحياة الدنيا فليست بكفر.

والجواب عن هذه الشبهة الباطلة أن يقال الموالاة والمعاداة قسمان :

موالاة ظاهره بالمناصرة والمحالفة للمؤمنين والمعاداة والمحاربة للكافرين.

وموالاة باطنه بالبغض للكافرين والمحبة والمودة للمؤمنين.

ولا يتم الإيمان إلا إذا استكمل المرء ركني الولاء والبراء.

ومحبة الكفار وما هم عليه ومحبة الكفر هذا ناقض بحد ذاته وجدت معه المناصرة لهم وتوليهم أو لم توجد هذه الموالاة الظاهرة، وأغلب النصوص التي جاءت بالتحذير من موالاة الكفار وتكفير الموالي المقصود بها الموالاة الظاهرة لدنياهم والتي لأجل المصالح الدنيوية، أما محبتهم ومحبة دينهم فهي أمور باطنة لا يعلم فاعلها إلا الله.

قال تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ النحل١٠٦.

فانظر كيف جعل سبب كفرهم هو طلب المصلحة الدنيوية واستحباب الحياة ولم يعذر من وقع في الناقض غير المكره.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله في الدلائل : " الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفاً منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرهم فإنه كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ويحب الإسلام والمسلمين) .

وقال الشيخ حمد بن عتيق:" إن مظاهرة المشركين ودلالتهم على عورات المسلمين أو الذب عنهم بلسان أو رضي بما هم عليه كل هذه مكفرات ، فمن صدرت منه من غير الإكراه المذكور فهو مرتد وإن كان مع ذلك يبغض الكفار ويحب المسلمين ". الدفاع عن أهل السنة والاتباع ص ٣١ .

وقال أيضاً في (سبيل النجاة والفكاك) ص ٨٩ : " أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن وهو ليس في سلطانهم وإنما حمله على ذلك إما طمعاً في رئاسة أو مال أو مشحة بوطن أو عيال أو خوف مما يحدث في المآل ، فإنه في هذه الحال يكون مرتداً ولا تنفعه كراهته لهم في الباطن " .

وتقدم في المسائل أن إرجاع صور تولى الكفار وموالاتهم لأجل محبة دين الكفار قول كفري سواء وقع المحذور من موالاة أو لا، لأنه إنكار أمر معلوم من الدين بالضرورة ، كما يقال في جاحد وجوب الصلاة كافر ولو صلى ومستحل الزنا كافر ولوما زنا.

وأما معنى قول الطبري : " توالونهم على دينهم ".

فمعناه أن موالاة الكفار وإن كانت للدنيا فإن مؤداها تكون لدينهم ونهاية أمرها لا بد أن تقوي دينهم وتنصره مهما كانت هذه الموالاة فتنبه ، وليس مرادهم ما فهمه بعض البله من أن الموالاة المكفرة هي التي تكون لأجل دينهم فحسب وأما الموالاة التي لا يقصد صاحبها محبة دينهم أو نصرته فليست بكفر مطلقا.

كذلك هذا أسلوب معروف وهي التي ليس لها مفهوم مخالفة من التي ترد مورد الحكم والأثر ، ولها أمثلة كثيرة .فليس المراد نفي الحكم عن غير الوصف ولا يدل الكلام على أن غير هذه الصفة ليست بكفر . فنزل الوصف منزل الغالب وليس لضبط الوصف .

ولو كانت الموالاة المكفرة مختصة بالمحبة وقصد الكفر لما صح الاستثناء منها ولما تصور التقية فيها ولذلك الطبري نفسه صرح بضابط التقية وهي لا تكون بفعل.

بل جعل موالاة الكفار لا تصدر إلا من راض بالكفر وهو يشبه قول من قال في الحكم بالقوانين أو تشريعها لا تصدر إلا من مستحل لها ومعتقد فضلها وخيريتها على حكم الله تعالى . وليس مراده هنا أن الموالاة لا تكون كفرا إلا إذا رضي بالكفر فإن هذا ترتيب للشيء على نفسه فيصير المعنى لا يكفر من تولى الكفر وهو راض به إلا من رضي به . وإنما المراد أن الموالاة كفر لأنها لا تصدر إلا من راض بالكفر .

الثانية : الاستدلال بقوله تعالى ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ آل عمران: ٢٨ .

وإعذار متولي الكفار بالجهل والخوف من الكفار والتأويل ودعوى الإكراه :

وقد بسطنا الجواب عن هذه الشبهة في باب المظاهرة ، والحق أن الله لم يعذر الخائف ومن يخشى الكفار فيسارع فيهم ولا المتأول ولا الجاهل ولم يعذر إلا المكره المتقي والذي تحق فيه شروط الإكراه المعتبر ولم يبيح لهم سوى التكلم دون الفعل .

قال تعالى :﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ المائدة: ٥٢ ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ﴾ المائدة: ٣ ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ التوبة: ١٣ ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٧٥ .

وقال الشيخ سليمان في الدلائل: (ذكر تعالى أن موالاة الكفار موجبة لسخط الله والخلود في النار بمجردها وإن كان الإنسان خائفاً ، إلا المكره بشرطه ... فذكر تعالى أن موالاة الكفار منافية للإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه ، ثم أخبر أن سبب ذلك كون كثير منهم فاسقين ، ولم يفرق بين من خاف الدائرة ولم يخف ، وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردتهم كثير منهم فاسقون، فجر ذلك إلى موالاة الكفار والردة عن الإسلام ، نعوذ بالله من ذلك) الدرر ٨/ ١٢٨ .

قال الشيخ حمد بن عتيق: (وأمّا ما يعتقده كثير من الناس عذراً، فإنه من تزيين الشيطان وتسويله وذلك أن بعضهم إذا خوّفه أولياء الشيطان خوفاً لا حقيقة له ظنّ أنه يجوز له إظهار الموافقة للمشركين والانقياد لهم).

الثالثة : أن الإسلام دين سلام وسلم لا عدوانية فيه ولا معاداة :

وهذا باطل وتكذيب بالقرآن والسنة وهدي الرسل ﷺ وملة إبراهيم والأدلة التي أوردناها والنقولات من كلام أهل العلم التي سقناها تبين ذلك .

الرابعة : وجود المعاهدات بين النبي ﷺ والكفار.

وهذا حجة على المخالف لا له ، فإن الحلف المؤقت بمدة والعهد دليل على أن الأصل هو المعاداة والقتال ، والعهد فيه ترك القتال بين الطرفين وليس الولاء بينهما وهو جائز بشروط وله فوائد ، وأما هؤلاء فيريدون أن يستدلوا لردتهم ويجوزوها ويقعدوا لها بأدلة هي عليهم ، فأين العهد والحلف الدائم الذي فعله النبي ﷺ أكثر من عشرة سنين ويتعاقبه جيل بعد جيل، ويقوم على الاعتراف بالكفار والتعاون المشترك معهم ومصادقتهم وموالاتهم مطلقاً .

وأما عقد الذمة فقبل أن يستدلوا به لينظروا في الشروط العمرية ، وقبلها الأمر بإصغارهم حتى في الجزية، ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ التوبة: ٢٩.

فليتأملوها ويروا ما قاله السلف فيها وسيرون أنه حجة عليهم تدمغ باطلهم.

الخامسة : زيارات النبي ﷺ لبعض الكفار والهدايا بينهم :

ليست مقصودة بذاتها فالنبي ﷺ فعلها تألفاً ودعوة، أو لمصلحة قتال.

السادسة : تسامح النبي ﷺ مع الكفار يوم فتح مكة :

النبي ﷺ عفا عن الكفار تألفا لهم لا ذلاً، وقد أمر بقتل أناس منهم ، وأمر بإخراج المشركين من مكة ومن جزيرة العرب.

السابعة : أن المحبة الطبيعية جائزة :

ويرد بقوله تعالى :﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ المجادلة: ٢٢ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ التوبة: ٢٣.

وهذه الآيات تقطع على المبتدعة الحجة وتبطل القول الإرجائي أن محبة الكفر في الكفار لأجل دينهم إذ المذكور فيها الأب والابن ونفت مولاتهم إن كانوا كفاراً وأوجبت معاداتهم وعدم مولاتهم .

وأما استثناء الاستغفار لأبيه في قوله ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾، فهذا على أنه مجرد دعاء بالمغفرة كان قبل تبين حال والده وأنه عدو لله ، والدليل:﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ التوبة: ١١٤، ولم نؤمر بالتأسي بإبراهيم في هذا الدعاء. وكل كافر فهو عدو لله.

وفي هذا رد على من زعم تجويز المحبة الطبيعية للوالد والولد الكافرين .

قال ابن حجر: (البر لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه) الفتح ٥/ ٢٧٦.

وقال سليمان في أوثق عرى الإيمان : (الله لاينهى المؤمنين عن بر من لم يقاتل من المساكين والنساء، وأما موالاتهم ومحبتهم وإكرامهم فلم يرخص الله في ذلك) .

قال ابن باز :(المحبة الطبيعية للأب ونحوه من الموالاة لا تجوز) سبل السلام.

وأما آية:﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ القصص ، فالمقصود أحببت هدايته لا أحببته.

وأما قوله ﷻ: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم: ٢١، فليس فيها تجويز المحبة للزوجة الكافرة ، وإنما هي في بيان آية تدل على قدرة الله لا شرعه وهي خاصة بين أهل الدين الواحد.

الثامنة: زعمهم عدم كفر محب الكفار بدليل: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ ﴾.

والجواب أن الآية في محبة المؤمنين للمنافقين الذين لا يعلمون بنفاقهم ولم يظهر لهم كفرهم فيحبونهم لما يظهرون من الإيمان قال ابن كثير عند هذه الآية : (أي أنتم أيها المؤمنون تحبون المنافقين بما يظهرونه لكم من الإيمان فتحبونهم على ذلك وهم لا يحبونكم لا باطنا ولا ظاهرا) .

عليه فليس في الآية أدنى متمسك على عدم كفر من يحب الكفار ويودهم بل صرح الله بكفر محبهم ومن يوادهم كما في قوله : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ المجادلة: ٢٢.

التاسعة : قول الرسول ﷺ في رسالته إلى هرقل (عظيم الروم) .

والجواب أن هذا ليس من التعظيم والموالاة لأمرين :

الأول : أنه ﷺ لقبه بلقبه عند قومه ، مثل قولك : (فلان) رئيس كذا ، فليس فيه تعظيم له، بل وصف فقط، ثم إنه قال (عظيم الروم) فنسبه إلى قومه ولم يطلق (عظمته) ، ولم يقل : (هرقل العظيم) .

الثاني : أنه لم يزد على ذلك اللقب ألفاظاً تدل على تعظيمه له والتي يزيدها المعظمون للملوك مثل السيد أو صاحب الجلالة والفخامة ونحو ذلك .

العاشرة : الاستدلال بقصة حاطب. وقصة أبي لبابة مع بني قريظة.

وقد رددنا على هذه الشبه في باب المظاهرة .

الحادية عشرة : أن معاداة الكافر خاصة بالكافر الأصلي دون المرتد.

وتقدم الجواب عن هذه المسألة .

الثانية عشرة : أن معاداة الكافر خاصة بالمحارب دون المسالم والمعاهد :

والاستدلال لذلك بقوله تعالى في سورة الممتحنة : ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾ الممتحنة: ٨ .

وتقدم جوابنا وبياننا لهذه المسألة في المسائل في مبحث أحكام معاملة الكفار.

وقلنا : أن الأصل التحريم في موالاة الكفار وأما الإحسان للمسالم الكافر فهذا لا يعد من باب موالاة الكفار المحرمة فلم يقل (تولوهم) وإنما قال (تبروهم) وفرق بين الأمرين، ومع ذلك فهو للإباحة والإحسان له شروط :

١ - أن يكون قريباً كما هو سبب النزول في أسماء مع أمها أو يكون البر في غير القريب ويكون محتاجا ذليلا أو يكون المقصود دعوته للدين.

٢- أن لا يكون محارب .

٣- أن لا يقارن البر مودته ومحبته ونصرته وإظهار كفره.

ومما هو مقعد أن الأصل معاداة الكافر وبغضه والغلظة معه والشدة عليه مطلقاً وهذا هو الأصل والعزيمة، وأما بر الكافر والإحسان إليه إذا توفرت فيه شروط جواز ذلك فإن هذا من باب الرخصة المستثناة من الأصل ، ومن هذه القاعدة تعلم ضلال هؤلاء المنغمسين في الدنيا والفسق والابتداع الزاعمين أن الإسلام دين سلام ورحمة وذلة مع الكفار فنزعوا عنه لباس العزة .

قال القرافي في الفروق: (نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على موادات القلوب ولاتعظيم شعائر الكفر، فمتى أدى إلى أحد هذين امتنع وصار مما نهي عنه).

الثالثة عشرة : الاستدلال بآية : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ البقرة: ٢٥٦ ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ يونس: ٩٩ ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ الكهف: ٢٩ .

أولاً : أن هذه الآيات منسوخة بآيات القتال كقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ التوبة: ٥ ﴿ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ ﴾ الفتح: ١٦.

ثانياً : أن هذه الآيات خاصة بأهل الكتاب مع دفع الجزية .

ثالثاً : أن الآيات في سياق التهديد والإنكار والبراءة لا الإقرار .

وللشنقيطي في دفع الإيهام كلام جيد في الآيات السابقة.

الرابعة عشرة : زعمهم أنه جاء الإقرار والاعتراف بدين الكفار في آية : ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ الكافرون: ٦ .

وقد قدمنا الرد على من ظن أن سورة الكافرون اقتضت تقرير الكفار على دينهم ودعوى أنها منسوخة بآية السيف .

وذكرنا أن معاداة الكفار وإظهار البراءة منهم من أصول الدين التي اتفقت عليها جميع الرسل وأن المقصود منها البراءة من الكفار وليس معنى لكم دينكم إقرارهم على كفرهم كما أنها لا تقبل النسخ أصلا .

قال ابن تيمية : (وليس في هذه الآية أنه رضي بدين المشركين ولا أهل الكتاب كما يظنه بعض الملحدين ، ولا أنه نهى عن جهادهم كما ظنه بعض الغالطين وجعلوها منسوخة بل فيها براءته من دينهم وهذا أمر محكم لا يقبل النسخ). الجواب الصحيح ٢/ ٣٠ .

وقدمنا كلام ابن القيم وابن تيمية في ذلك في مسائل الولاء.

الخامسة عشرة : زعم المرجفون من دعاة المصلحة الدعوية أن تحقيق الولاء والبراء قد يؤدي إلى نفور الكفار عن الإسلام. والجواب :

١ – أن قواعد الدين ومبادئ الإسلام التي أمرنا الله تعالى بها يجب فعلها مطلقاً ولا تترك إلا عند العجز المتحتم ، ولا ينظر لخلاف ذلك لأنه سبحانه هو العالم بمصالحنا حيث أمرنا وليست عقول هؤلاء العقلانيين .

وهو الذي شرع بغض الكفار ومعاداتهم والبراءة منهم واعتزالهم والنفور منهم ومخالفتهم ، ولم نعادهم إلا لكونهم حادوا الله وعادوه وكفروا به وبدينه .

٢ – أن المصلحة الحقيقة في الالتزام بهذه العقيدة والشعيرة بل وفيها من أسباب ظهور الدين وعزته ودخول الناس فيه ما ليس في تركها .

ولهذا الأصل أمثلة كثيرة منها قصة محيصة حين قتل ابن سنينه اليهودي وكانت سبب في إسلام أخيه حويصة حين قال لو أمرني الرسول ﷺ بقتلك لفعلت.

كذلك اليهود ذلت وخنعت وهابت المسلمين وعظمتهم منذ أن قتل كعب ابن الأشرف وكان مشركي مكة يكفون عن أشياء مؤذية للمسلمين خشية هجاء حسان بن ثابت ولم يكن منهم من يستقبل كعب بن الأشرف لما ذهب لمكة كان كلما نزل عند أهل بيت هجاهم حسان فيخرجونه حتى لم يبق بيت بمكة يؤيه.

قال ابن تيمية :" وإذلال المسلمين لأهل الكتاب وأخذ الجزية منهم فهذا قد يكون داعياً له أن ينظر في اعتقاده ، هل هو حق أو باطل حتى يتبين له الحق " المجموع ١٨/ ٢٩٣.

٣– أن معاداة الكفار تجب بسبب ما يحملونه من معاداة الله ومعاندته.

السادسة عشرة:أن موالاة الكفار أمر لابد منه سياسة ومداراة لكي لايتسلطوا علينا ولنسلم من كيدهم وبطشهم التودد لهم يحقق خيرات ومصالح متعددة.

والجواب :

١ – أن هذه الشبهة دائمة التجدد بألوان مختلفة وصور متنوعة وكثيراً ما يلبسها أصحابها بثوب النصح والشفقة وليست بجديدة وقد ذكرها الله لنا عن هؤلاء المنافقين فإذا طلب منهم أن يدعوا موالاة الكفار لأن فيها﴿ فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ الأنفال: ٧٣، بل ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ البقرة: ١١ ، فالله ﷻ أخبر أن في موالاة الكفار فساد بل وفساد كبير زعموا أنهم يريدون الإصلاح ، فلم يأتوا بجديد فهم على خطا أسلافهم.

كما أخبر تعالى عنهم أيضاً بقوله ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ المائدة: ٥٢ والمرض هنا هو النفاق والريب والشك والكفر كما قاله السلف والمسارعة فيهم أي المبادرة إلى موالاتهم .

٢ – أن الأمر على النقيض من ذلك فإن موالاة أعداء الله تعالى سبب الذل والصغار وأنواع الشرور كما أن معاداتهم ومجانبتهم سبب الغلبة والتمكين والتأييد وحصول الخير .

قال ابن تيمية " والمعتبر بسيرة نور الدين زنكي وصلاح الدين كيف مكنهم الله وأيدهم وفتح لهم البلاد وأذل لهم الأعداء لما قاموا من ذلك بما قاموا به وليعتبر بسيرة من والى النصارى كيف أذله الله تعالى وكتبه " المجموع ٢٨/ ٦٤٣

وقال في النبوات : (فمن فر من حكم الله ورسوله أو ارتد عن الإسلام وأبغض شرائعه خوفاً من محذور في عقله أو عمله أو دينه أو دنياه كان ما يصيبه من الشر أضعاف ما ظنه شراً في أتباع الرسول).

السابعة عشرة: النبي ﷺ كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء:

والجواب : أن محبة الرسول ﷺ لموافقة أهل الكتاب خاص به لأنه يعلم ماعندهم من حق وخير أو باطل وشر وقد نهى أمته عن موافقتهم وأمرهم بمخالفتهم، ويجب علينا أن نعمل بأمره ونهيه .

ثم إن ذلك قد نسخ بالأمر الصريح بمخالفتهم والنهي عن التشبه بهم وموافقتهم، وإخباره ﷺ أنه سيقع في هذه الأمة من سيتبع سنن أهل الكتاب منكرا ذلك ومنفرا عنه .

الثامنة عشرة : أن الموالين للكفار يقولون لا إله إلا الله :

ويرد على هذه الشبهة من وجهين :

أحدهما: أن (لا إله إلا الله) لا تنفع قائلها حتى يعتقد معناها، ويعمل بمقتضاها، ومن أعظم معانيها ومقتضياتها الولاء والبراء ومعاداة الكفار .

الثاني : أن أهل السنة اجمعوا على تكفير من وقع في فعل يناقض الإسلام وعدم انتفاعه بكلمة التوحيد .

التاسعة عشرة : أن موالاة الكفار من الكفر العملي .

١- أن السلف يقصدون بالعملي ما تعلق بالعمل ومنه كفر أكبر ومنه أصغر.

قال ابن القيم في الصلاة: (أما كفر العمل فينقسم إلى ما يضاد الإيمان وإلى ما لا يضاده، فالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان).

٢- أن ظاهر القرآن يفيد خروج الموالي للكفار من الملّة ومنها :

قوله تعالى : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ آل عمران: ٢٨.

قال الطبري في تفسيرها : (يعني فقد برىء من الله ، وبرىء الله منه ، بارتداده عن دينه ، ودخوله في الكفر) .

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ المائدة: ٥١ .

قال القرطبي في التفسير: أي من يعاضدهم ويناصرهم على المسلمين ، فحكمه حكمهم في الكفر والجزاء، وهذا الحكم باق إلى يوم القيامة، وهو قطع الموالاة بين المسلمين والكافرين) .

٣- أن أصل الحنيفية ملّة إبراهيم عليه السلام التي أمرنا بإتباعها ينقضها موالاة الكافرين ، إذ أنها قائمة على ركنين ، وهما عبادة الله وحده ، والبراءة من المشركين وآلهتهم ، فمن والى المشركين فقد خرج عن دين الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

العشرون :اشتراط قصد الكفر في التولي:

تزعم المرجئة أن فاعل الكفر في موالاة الكفار وغيرها من النـواقض لا يكفـر إلا إذا قصد الكفر وتعمده ، وهذا باطل وفيه تعطيل العمل بالنصوص.

قال ابن تيمية في الصارم : (وبالجملة من قال أو فعل ما هو كُفْر كَفَـر بـذلك وإن لم يقصد أن يكون كافراً، إذ لا يقصد الكفر أحد إلا ما شاء الله) .

وقال فيه أيضا : (فإن قيل : فقد قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾، قيل وهذا موافق لأولها، فإنه من كفر من غير إكراه فقد شرح بالكفر صدراً، وإلا نـاقض أول الآية آخرها، ولو كان المراد بمن كفر هو الشارح صدره وذلك يكون بلا إكراه، لم يستثن المكره فقط، بل كان يجب أن يستثنى المكره وغير المكره إذا لم يشرح صدره ، وإذا تكلم بكلمة الكفر طوعاً فقد شرح بها صدراً وهي كفر).

وقال:(أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم إنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له، بل كنا نخوض ونلعب، وبين أن الاستهزاء بآيات الله كفر ولا يكون هذا إلا ممـن شرح صدره بهذا الكلام ولو كان الإيمان في قلبه منعه من أن يتكلم بهذا الكلام).

وقال : (ومعلوم أنه لم يرد بالكفر هنا اعتقاد القلـب فقـط لأن ذلـك لا يكـره الرجل عليه... وقـال تعـالى في حـق المـستهزئين: ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾ التوبة: ٦٦ ، فبين أنهم كفار بالقول مع أنهم لم يعتقدوا صحته).

وقال محمد بن عبد الوهاب في أنه لا يشترط في تكفير المرتد علمه بأن ما عمله ينقض الدين : (وأما كونه لا يعرف أنها تكفره فيكفي فيه قوله : ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾ ، فهم يعتذرون من النبي ﷺ ظانين أنها لا تكفرهم).

الحادية والعشرون : قولهم إن المحرم في التشبه إذا قصد المتشبه التشبه بهم :

وهذا باطل فالنهي عن التشبه جاء عاما ولم يخصص بوجود قصد التشبه، ثم إن علل تحريم التشبه موجودة في الحالين فيمن نوى المشابهة وفيمن لم ينوها .

قال ابن تيمية:" ما نهى عنه من مشابهتهم يعم ما إذا قصدت مشابهتهم أو لم تقصد ، فإن عامة هذه الأعمال لم يكن المسلمون يقصدون المشابهة فيها، وفيها ما لا يتصور قصد المشابهة كبياض الشعر). اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٧٣ .

الثانية والعشرون : الجمع بين تحريم القتال في سبيل الوطن، ووجوب الدفاع عن ديار المسلمين وكذا مشروعية القتل دون المال والعرض.

لا تعارض لأن هناك فرق بين حب الأوطان والحنين إليها وهو مشروع، وبين أن يعقد الولاء والبراء على أساس الانتماء للأوطان ، فمكة كانت أحب البقاع إلى الرسول ﷺ، ولكن الله أحب ، ولما حصل الاختيار بين الإقامة في الوطن وبين الهجرة إلى الله آثر مرضاة الله تعالى والهجرة إليه، واقتدى به الصحابة والمؤمنون بعدهم .

كما أن هناك فرق بين أن يقاتل دفاعا عن شيء في سبيل الله وإعلاء كلمته، وأن يقاتل دفاعا عن شيء في سبيل هذا الشيء وحمية له من دون أن يرد الأمر إلى الله ، فالأول هو الذي شرعه الله ، وأما الثاني فهو باطل وشرك لأنه يتضمن صرف الأعمال لغير الله، بحيث يكون الوطن غاية تصرف في سبيله الأعمال ،فيعيش عبد الوطن له ويموت له ويوجب له ويحرم له فيقول عابده واجب وطني وشهيد الوطن وخدمة الوطن وهذا لا يشرع لما يتضمن من إشراك الأوطان مع الله تعالى في الإرادة وصرف العمل ، فتصير بذلك الوطنية دين يقوم على عبادة الوطن.

الفهرس

الفصل الأول : تعريف الولاء والبراء وحقيقته

الفصل الثاني : الأدلة الدالة على وجوب الولاء والبراء وكفر تاركه

الفصل الثالث : كلام العلماء الولاء والبراء

الفصل الرابع : حكم الولاء والبراء وتولي الكفار

الفصل الخامس : مكانة الولاء والبراء ومنزلته وأهميته وفوائده

الفصل السادس : علاقات الولاء والبراء بالأمور الشرعية والمسميات الدينية

السابع:دلالات كلمة التوحيد على الولاء والبراء ودخوله في الشرك والتوحيد

الفصل الثامن : أركان الولاء والبراء

الفصل التاسع : أقسام الولاء والبراء

الفصل العاشر : أهل الولاء والبراء المشروعين والممنوعَين

الفصل الحادي عشر مقتضيات وأسباب ودوافع ومبررات ونواقض الولاء والبراء

الفصل الثاني عشر : صور الموالاة وأمثلتها

مباحث متعلقة بالولاء والبراء

مبحث : التشبه بالكفار

مبحث الهجرة

الفصل الثالث عشر : حالات الناس مع الولاء والبراء

فصل : شبهات المخالفين في الولاء والبراء